بسم الله الرحمن الرحيم

المرجعية الفقهية والاستقرار الاجتماعي

في

فكر وفتاوى الشيخ أحمد حماني

ملتقى جيجل 2012

منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

- **الملتقى الوطني الثاني (6-7 شعبان 1433هـ/ 26-27 جوان 2012م) حول المرجعية الفقهية والاستقرار الاجتماعي في فكر وفتاوى الشيخ أحمد حماني – تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف – الجزائر .**

© حقوق النشر محفوظة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف – الجزائر - 2013

الفهرس

المقدمة 7

الكلمة الافتتاحية لوالي ولاية جيجل 9

الفصل الأول : الشيخ أحمد حماني – حياته وأعماله .

1- **الجهود الإصلاحية والأعمال الوطنية للشيخ أحمد حماني قبل وبعد استرجاع الاستقلال الوطني .**

د. أحمد حداد 13

2- **العلامة الشيخ أحمد حماني وبعض الجوانب الخفية من حياته .**

د.التواتي بن تواتي 49

3- **مساهمات الشيخ أحمد حماني في وسائل الإعلام الجزائرية – دراسة وتحليل .**

د. أحمد شاطر باش 59

الفصل الثاني : الوطنية في فكر الشيخ أحمد حماني .

4- **مرتكزات الوحدة الوطنية الإسلامية في فكر الشيخ أحمد حماني .**

أ.أمينة بوبصلة 87

5- **الشيخ أحمد حماني والاستقرار الاجتماعي " الأسرة نموذجا" .**

د.بلقاسم شتوان 99

الفصل الثالث : منهج الشيخ أحمد حماني في الإفتاء .

6- **منهج الشيخ أحمد حماني في الدعوة والإصلاح .**

د.عمر خلفة 121

7- **قراءة في منهج الشيخ أحمد حماني الإصلاحي من خلال لعض الفتاوى .**

د. محمد بن زعمية 139

8- **المرجعية الفقهية في فتاوى الشيخ أحمد حماني**

د.رابح زرواتي 151

9- **فتاوى العلامة الشيخ أحمد حماني مثال لرشد التحليل وسداد التعليل .**

أ.عثمان أمقران 163

10- **فتاوى الأزمة وأزمة الفتاوى في الواقع الإسلامي المعاصر .**

أ.مولود محصول 177

قصيدة شعرية :

حلق على الخلد .

شعر الأستاذ محمود بن حمودة 193

البيان الختامي 197

المقدمة

نقدم للقارئ والباحث الكتاب الثاني الذي تدور موضوعاته حول الشيخ أحمد حماني، وهو مجموع المحاضرات التي قدمت في الملتقى الوطني الثاني حول المرجعية الدينية والاستقرار الاجتماعي في فكر وفتاوى الشيخ أحمد حماني .

فهو استكمال لبحوث سابقة استكتبناها من أصحابها مشكورين ومأجورين إن شاء الله على ما بذلوه من جهد وحرص في الكتابة والمشاركة إلقاءً ومناقشة، كما ساهموا معنا في تقديم خطاب ديني للشباب يعتمد الوسطية والالتزام بالمرجعية واحترام مشايخ الجزائر وأئمتها. وذاك ما يحرص عليه معالي الوزير في توجيهاته وتدخلاته دون أن يعني ذلك رقابة على البحوث أو الحد من حرية الرأي والقول، ولعل ما يبعث أكثر على الغبطة والأمل هو أن أغلب البحوث المنشورة في هذا الكتاب أو ما أصدرته الوزارة -وقد وصل منتوجها إلى حد ساعة كتابة هذه السطور 53 عنوانا- لباحثين شباب من كليات الجامعات الجزائرية ومن باحثين ينتمون لقطاع الشؤون الدينية.

أملنا كبير أن تكون هذه السلسلة التي أسميناها "**سلسلة القوافل العلمية**" مقدمات فاتحة لمسيرة علمية تستلهم تراث سبعينيات القرن الماضي، الأصالة وملتقيات الفكر الإسلامي، وروح عشرية الألفية الجديدة للنهوض بالقطاع وحمايته.

هذه الروح التي استرجع المنبر والقول الديني وحماها من التطرف والعبث السياسي، نريد لهذه السلسلة -بحول الله- أن تكون ذهبية تتوشح بها صدور شبابنا ويفخرون بها ويهتدون بمراجع جزائرية

ترى في وحدة أمتها واستقرارها قاعدة أصولية تضبط الفتوى والخطاب والاجتهاد، كما يكون المستقبل ورؤيته بعين العلم واستثمار الوسائط الاقتصادية والتكنولوجية الجديدة شرط هذا الاجتهاد وتقدم البلاد وانتشار الوعي بالمواطنة والحفاظ على حريتنا واستقلالنا هذا، وسنوفر إن شاء الله للقارئ والباحث نصوصا في إطار هذا المشروع لعلماء جزائريين فسيصدر كتاب عن الشيخ العربي التباني مدرس الحرم المكي المكافح عن خصوصيته التاريخية والمذهبية، والشيخ مصطفى الرماصي الذي اعتمد شرحه اللاحقون في المغارب والمشارق، وبعثنا إلى الحياة نوازل المازوني، وفقه الكنتي، وإن تيسرت الحال وشاء الله فسنمكن المكتبة الجزائرية والعربية والإسلامية من نصوص مغمورة شكلت استثناء علميا واجتهادا متميزا في الفقه والتفسير والقراءات.

ترى هل بعد هذين الكتابين-في إطار السلسلة المشار إليها- عن شيخ الإفتاء الجزائري أحمد حماني وبعد طبع أعماله من طرف مخلصين له ولتراثنا، يمكن أن نفكر في ملتقى دولي نوعي في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، ونشر ما لم ينشر وإنتاج فيلم وثائقي عن حياته الجهادية والعلمية، ذاك هو المطمح والمقصد وهو قليل من كثير قدمه هذا الشيخ للإسلام ولوطنه.

وعلى الله قصد السبيل.

أ.د/ بوزيد بومدين
مدير الثقافة الإسلامية

كلمة الافتتاح للسيد والي ولاية جيجل

أ.علي بدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد،

ممثل معالي السيد/ وزير الشؤون الدينية والأوقاف،
السيد/ رئيس المجلس الشعبي الولائي،
السادة / أعضاء البرلمان بغرفتيه،
السادة/ الأساتذة والضيوف الأفاضل،
السادة الأئمة،
السادة رجال الإعلام،
السيدات والسادة الحضور،
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،

يسعدني في البداية- أصالة عن نفسي، ونيابة عن كل إطارات ومواطني ولاية جيجل، أن أرحب بجميع الحاضرين من سلطات محلية ومنتخبين، وأساتذة، وأئمة ورجال إعلام، وبجميع الحاضرين، متمنيا لهم إقامة طيبة، وللتقانا هذا التوفيق والنجاح .

إنه لشرف كبير، وفخر عظيم لولاية جيجل أن تسعد باحتضان هذا الملتقى الوطني الثاني للشيخ أحمد حماني حول " المرجعية الوطنية والاستقرار الاجتماعي " خاصة وأنه يتزامن والأمة الجزائرية تعيش أبهى أيامها وأحسن أوقاتها، وهي تحتفل بالذكرى الخمسين لعيد الاستقلال المصادف ليوم 05 جويلية من كل عام، والذي سيكون هذه السنة " عيدا لكل الجزائريين " .

أيتها السيدات، أيها السادة :

تعتز الأمم بعظمائها، من العلماء والمفكرين والسياسيين وتفتخر بهم، وبما تركوه من بصمات في عصرهم، سواء بأعمالهم أو بسيرهم وأخلاقهم، ومؤلفاتهم.

ومن الذين تركوا بصمة في تاريخ الجزائر الثقافي والديني والنضالي، هو العالم الجليل والمجاهد أحمد حماني الجيجلي .

وإن من أكثر الجوانب خصوبة وغنى في مسيرة هذا العالم الكبير، جانب" المرجعية الوطنية والاستقرار الاجتماعي " الذي اختاره القائمون على هذا الملتقى ليكون موضوعا للدراسة والمناقشة، لقد قدم فيه جهدا عظيما أهله لأن يكون مرجعا فيه، ومدرسة تتعلم منها الأجيال.

ومن هنا جاء تنظيم هذا الملتقى **وترسيمه كل سنة**، علّه يساهم في توحيد مرجعيتنا الدينية، واستقرارنا الاجتماعي

إننا نثمن مثل هذه الملتقيات والمبادرات التي تسعى إلى التعريف بعلماء الجزائر وأعلامها، وخدمة تراثهم، ونشد على أيدي القائمين عليها، وسوف لن ندخر جهدا في دعمها بكل ما نملك من إمكانيات .

وفي الختام أجدد لكم الترحاب في ولاية جيجل، وأتمنى النجاح والتوفيق لأشغال هذا الملتقى، ولضيوفنا الكرام الإقامة الطيبة والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

الفصل الأول

حياة الشيخ أحمد حماني وأعماله

الجهود الإصلاحية والأعمال الوطنية للشيخ أحمد حماني قبل وبعد استرجاع الاستقلال الوطني

د.أحمد حداد
جامعة منتوري - قسنطينة

سأتناول في هذه المداخلة شخصية إصلاحية ووطنية، ساهمت في الحفاظ على هوية الشعب الجزائري. وسأتطرق للأفكار والقيم والمناهج التي اتبعها الشيخ أحمد حماني في مسيرته النضالية، في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي لبلادنا وبعد استعادتنا للسيادة الوطنية .فحياته كانت كلها نضالا بل وجهادا حقيقيا على جبهات متعددة:

الجبهة الأولى، مقاومة الجهل والأمية ،اللذين فرضا على المجتمع الجزائري من جراء وجود الاحتلال الفرنسي ،الذي اتبع منذ أن وطئت أقدامه أرض هذا الوطن:سياسة التجهيل والإقصاء وتشريد الشعب الجزائري برمته.

أما **الجبهة الثانية،** فكانت صراعا ضد البدع والخرافات التي سيطرت على عقلية الأمة الجزائرية، منذ إلحاقها قسرا بالاستعمار الفرنسي الذي كان يستهدف الهوية الوطنية بالاعتماد على المشعوذين وبعض شيوخ الزوايا، الذين دجنوا بعد الهزائم السياسية والعسكرية التي ألحقت بهم ،في نهاية الربع الثالث من القرن التاسع عشر.

أما **الجبهة الثالثة،** فهي مقاومة الاحتلال الفرنسي ذاته.

وبعد الاستقلال واصل مترجمنا جهاده وعمله الدؤوب على **جبهة رابعة**، وهي جبهة البناء والتشييد ومقاومة ما رسخ في أذهان من بقي من أعوان الاستعمار من أفكار غريبة بعيدة كل البعد عن المجتمع الجزائري العربي المسلم.

وفي هذه الجبهات الأربع برزت أعمال الرجل وفكره الإصلاحي تارة، وفكره الثوري تارة أخرى، حيث كان يجمع بين العمل الإصلاحي لما أصاب الأمة في دينها ولغتها وتاريخها، وبين العمل الوطني الثوري لوقف مسيرة الاحتلال الفرنسي نفسه، سواء قبل ثورة الفاتح من نوفمبر1954 أو بعد اندلاع شرارتها الأولى.

تتمثل إشكالية هذا المداخلة في دراسة علم من أعلام الإصلاح والثورة والبناء، هدفها البحث عن الأعمال، المواقف والمبادئ التي تميزت بها شخصية مترجمنا وتحديد المعالم الكبرى للمجهود التاريخي والفكري الذي تركه الشيخ أحمد حماني، وبصماته في تاريخ الجزائر الحديث، خاصة وأن مترجمنا مخضرم عاش فترة الاحتلال الفرنسي لبلادنا مدة سبع وأربعين (47) سنة، كما عاش مرحلة الاستقلال بنحو ست وثلاثين (36) سنة، وأفرغ طاقاته فيها معا حتى أصيب بنزيف دماغي سنة 1995 بسبب الإرهاق الناجم عن العمل المتواصل.

1- التعريف بالشيخ أحمد حماني: 1333- 1419هـ/ 1915- 1998م:

I. **الميلاد والنشأة :** ولد أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني يوم الاثنين 26 شوال 1333هـ الموافق لـ 6 سبتمبر 1915 م بقرية آزيار من دوار تمنجر دائرة الميلية بلدية العنصر(*). لكن والده غيّر تاريخ الميلاد إلى 1920 حتى يكمل دراسته قبل أن يدركه التجنيد الإجباري الذي يسمى ظلما وزورا الخدمة العسكرية[1] . ينتسب الشيخ أحمد إلى عائلة مشهود لها بمقاومة الظلم ،ومنه الظلم الاستعماري، فقد رأى بنفسه بعض أنواع الأسلحة المحفوظة عند عمّه الصادق وهي لجدّهم الذي عاصر الاحتلال الفرنسي للمنطقة وقاومه بتلك الأسلحة، كما لم يسجل التاريخ طوال الاحتلال أن واحدا من العائلة تعاون-

(*)- تبعد قرية آزيار بنحو 6كلم عن دائرة العنصر(ولاية جيجل) ،توجد في مكان وعر شديد الانحدار، عسير الطريق معزول تماما، يبتدأ في قمة أحد الجبال التي يرى منها البحر المتوسط ثم ينحدر نحو الوادي العميق والمكان كله جبال خضراء.

1- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة، ج2، ط1،دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984، ص287.

بالعمل في وظيفة بسيطة أو خطيرة- مع الفرنسيين حتى كتبت التقارير الفرنسية في تحرياتها عن المنتمين إلى عائلة حماني بأنهم من عائلة مشبوهة[1] .

ويذكر حماني في مذكراته، حرص عائلته على تعليم أبنائها إلى جانب تدريبهم على الحياة ومشاقها من البداية، يقول :" كنّا نقرأ القرآن ونعمل: نشارك في الحياة بمقدار جهدنا، إذا أُخرجنا من الكُتاب أعطي لنا قطيع الجديان والخرفان للرّعي، وإذا جاءت غلة الزيتون عطلنا القراءة، وشاركنا في أعمال الجمع والالتقاط والعجن، ولما أخذنا ندرك تعلم الصلاة، علّمنا والدي رحمه الله فرائضها وسننها وعلمنا رسم القرآن، ولما شببنا عن الطوق شاركنا بعمل أكثر في رعي قطيع الحيوانات وإطعامها العلف والحصاد والدرس وحراسة الحقول"[2].

هذه التنشئة في بيئة ريفية، لقّنت حماني دروسا لا تقدر بثمن، فتعلم معنى الصبر على الشدائد في وسط طبيعي تكثر فيها الصعاب، والأكثر من ذلك تعلم الإخلاص وصفاء السريرة كصفاء ونقاوة هواء البادية القليلة السكان، التي عادة ما تكون سالمة من الشرور، التي تجد طريقها في مجتمعات كثيرة العدد، لكن دُوّار **ازيار** أين تربى حماني حوالي خمسة عشر سنة، سكانه معروفون والنظام القبلي لازال سائدا به، وعزلة هذه القرية فضل من الله على القرية وسكانها، وفي هذا الإطار يقول حماني: " وكانت هذه العزلة من فضل الله على السكان إذ كانوا لا يعرفون عن "الروامة" وشرورهم إلاّ بالسماع ولا يرون منهم إلاّ حارس الغابة، أو بعض رجال الدرك الذين كانوا يزورون الدوار لمطاردة الهاربين من شر فرنسا راكبين خيولهم. كما أن أخبار القرية وشؤونها لا يصل إلى مسامع العدو إلا قليلا حتى القايد قد أبعد الله شره عنها لأن مقره في "بني فنح" على بضعة أميال، وبينها وبين ازيار غابات ووديان فإذا جاء الفصل المطير انقطعت الطرق، لذلك كان سكان "ازيار" يعيشون في شبه جمهورية، لهم قوانين، ورئاسة العقلاء يطيعونهم

1- المرجع نفسه، ص285.

2- أحمد حماني، وثيقة مكتوبة بالآلة الراقنة، تحصلت عليها من أرشيف عائلته.

في المعروف"[1]، وكانت تلك السنوات كافية لتحصينه حين يباشر السفر طلبا للعلم، فيأمن شرور النفس ويتقوى على الشدائد التي تعترضه ومنها الفقر و قلة المال.

II. **تعليمه ورحلاته:** تلقى الشيخ أحمد حماني تعليمه الأول في مسقط رأسه على يد والده محمد الذي تتلمذ لمدة سبع سنوات في قسنطينة على يد محمد الصالح بن مهنا(*)، ثم دخل كُتاب القرية وعمره خمس سنوات فتعلم شيئا من القرآن الكريم وبعض مبادئ التوحيد والفقه، أولا على يد الشيخ حمو بن العربي بودن، وثانيا على يد معلم جديد قدم من "ميلة"، حيث حفظ القرآن هناك، هو الشيخ يوسف بن المختار حماني، وهذا التغيير في المعلمين أحيانا راجع إلى أن بعضهم لا تكفيه أجرة التعليم الزهيدة فينقطع ليحصل على أجرة أكبر في موسم الحصاد[2].

بعد خمسة عشر سنة قضاها أحمد حماني بدوار ازيار، انتقل هو وابن عمه الصادق سنة 1930 رفقة أخيه الشيخ محمود، تلميذ ابن باديس(*)، إلى مدينة قسنطينة ، أين درس فيها أربع سنوات، كان ينهل أثناء تواجده بها، من مراكز

1- أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس، والشيخ الصادق حماني، قصر الكتاب، 2004، ص69.

(*)- ولد محمد الصالح بن مهنا بقسنطينة سنة1854، كان من أكبر علماء عصره، واصل تعليمه بالأزهر بمصر ثم رجع إلى قسنطينة بفكرة الإصلاح التي بثها الشيخ محمد عبده .توفي في 11 أفريل1910. المرجع:عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، دار الهدى، 2002، ص126.

2- أحمد حماني، المصدر السابق، ص7.

(*)– هوعبد الحميد بن باديس(1889-1940) نذر نفسه-وهو في رعيان شبابه- لخدمة الجزائر دينيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا، ينتمي لعائلة تاريخية قسنطينية عريقة في المجد، مارست الحكم منذ العصور الإسلامية حتى الاحتلال الفرنسي. درس ابن باديس في جامع الزيتونة مدة ثلاث سنوات وتخرج منها بشهادة التطويع، وعلى عادة خريجي الزيتونة علم ابن باديس سنة كاملة بها ليعود لمسقط رأسه قسنطينة ويباشر التدريس بها ونتيجة لظروف معينة سافر إلى المشرق لأداء فريضة الحج أين احتك بمشايخ وعلماء نصحوه بالعودة إلى الجزائر التي تعاني الاحتلال الفرنسي المسيحي، وفعلا عاد الشيخ عبد الحميد بن باديس ليواصل معاركه في إزالة حجاب الجهل عن الجزائريين ويرشدهم لمنابع الإسلام الصافية، وأسس لهذا الغرض جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي يعتبر أحمد حماني أحد تلاميذها. المرجع: عبدالكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، صص13،27.

العلم المنتشرة بأرجائها ومنها الجامع الأخضر وسيدي قموش. في البداية تعلم على يد الشيخ "أحمد الحبيباتني مرازقة" الذي كان يلقي درسه في مختصر خليل بزاوية عيساوة مع درس في التوحيد، فلازم دروسه لأن الزاوية العيساوية أقرب إلى الزاوية الطيبية، أين كان يقيم الطالب أحمد، ثم أصبح يتنقل ليحضر درس التفسير في الجامع الأخضر الذي يلقيه الشيخ عبد الحميد بن باديس وأول درس للتفسير سمعه عنه حول قوله تعالى: " **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاه لَآ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ** "(*) كما كان الشيخ يلقي دروسا في التربية من أحاديث صحيحة تحت عنوان من جوامع الكلام النبوية أو من أبيات شعرية، ويذكر حماني أنه سمع منه شرح قوله صلى الله عليه وسلم:"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ولا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله ما شاء فعل"[1] ومن الشعر شعر حسان، النابغة الجعدي، المتنبي...وغيرها من الأشعار التي تبعث العزة في النفوس وتعلم الحكمة، وتغرس حب العرب والعربية ومن العلماء الذين أخذ عنهم العلم في هذه الفترة السعيد الزموشي والشريف الصائغي: عن الأول أخذ النحو والصرف والفقه والتوحيد وعن الثاني الحساب والجغرافية والتاريخ، كما كان يستفيد من دروس الفيلالي الحنقي، الفضيل الورتلاني، محمد ميهوبي، محمد المليلني، عبد العالي الأخضري.. البرامج الدراسية هي دواوين شعر العرب، الأجرومية بشرح الشيخ خالد، الرسالة بشرح أبي الحسن، والصرف بمتن الزنجاني بشرح العزى والأربعين نووية. وخلال تواجده بقسنطينة كان الشيخ أحمد حماني مداوما على دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر، يبتدئ الدرس الأول على الساعة الخامسة والنصف صباحا، والويل لمن لا يحضر في الموعد، فقد كان الشيخ مهاب الجانب والطلبة يخشون الوقوف أمامه لسماع توبيخه أو تقريعه. كانت الدراسة تستمر حسب الطبقات المتوالية للجلوس أمامه،

(*)- سورة الكهف، الآية60.

1- أحمد حماني: المصدر السابق، ص ص12،11.

ويحضر الجميع صلاة الظهر حيث يستمعون منه، سرد كتاب المنذرى(الترغيب والترهيب) فقد كان يقرأ بعض الأحاديث دون شرح أو تعليق ومما يذكره حماني حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما " ثم تستأنف الدراسة على الساعة الواحدة والنصف إلى صلاة العصر، ثم يخلد الجميع إلى الراحة واسترجاع الطاقة لحضور دروس التفسير والقوانين الفقهية بعد العشاء والتي يحضرها عامة الناس وأئمة جميع مساجد قسنطينة.[1] وخلال تلك السنوات الدراسية أصبح الصراع عنيفا بين جمعية العلماء وخصومها من الاستعمار وأعوانه خاصة بعدما يئسوا في سنة1932 من تجديد المجلس الإداري للجمعية بأعضاء يكونون في خدمة الاحتلال الفرنسي .

1- أحمد حماني :شهداء علماء معهد ابن باديس،المصدر السابق، ص14.

وفي السنة الدراسية الأخيرة(1933-1934) واصل أحمد حماني الدراسة على يد معلمه عبد الحميد بن باديس الذي ارتقى بهم إلى ألفية بن مالك، مختصر خليل، وجوهرة التوحيد في العقيدة وفي الأصول درسهم مفتاح الوصول إلى تطبيق الفروع على الأصول للشريف التلمساني، وكان الشيخ معجبا بهذا الجزائري الذي درس على يد الشاطبي صاحب الموافقات، وفي الأدب كان الأستاذ يعتمد على كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وكان عبد الحميد يتولى تفسير ما يرويه من نثر أو شعر، ومما درسهم في الشعر معلقة عنترة بن شداد، وكان يثير فيهم الحماسة وأخلاق أجدادهم العرب الذين رغم جاهليتهم إلا أن بعض أخلاقهم كانت رفيعة كإغاثة الملهوف، إكرام الضيف، نجدة المستغيث، الشجاعة... ويبدو أن تعلق حماني بالشعر يعود إلى هذه الفترة، ويصرح لاحقا بمدى ولعه وحبه لشعر المتنبي، وكان الشيخ في مداخلاته غالبا ما يستشهد بأبيات من ديوانه.[1]

وبالموازاة مع التحصيل العلمي كان أحمد حماني خلال هذه السنة الدراسية الأخيرة يتكون ميدانيا وذلك بقراءة المقالات والردود، وزياراته إلى إدارة الشهاب ومطبعتها، ومشاركته في التحولات والصراعات التي شهدتها الساحة القسنطينية، أبرزها حضوره الفعال للمظاهرة الشعبية الكبرى بقيادة عبد الحميد بن باديس وبن جلول والتي كانت ضد القرارات الفرنسية التعسفية القاضية بإغلاق المساجد في وجه العلماء والمدرسين، كما كان شاهدا على حوادث أوت1934 الدامية بقسنطينة والتي أذلت اليهود، كل ذلك ترك أثره الواضح في تكوين شخصية أحمد حماني علميا وسياسيا حيث يقول في هذا الصدد: "كل هذا ترك أثره الواضح في تكويننا.."[2]. وفي هذه السنة حضر الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة بدعوة ممضاة من الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولأول مرة يحضر مثل هذه الاجتماعات ويستمع لعلماء القطر، أدبائه، كتابه وشعرائه منهم

1- شهادة محمد الهادي الحسني (رفيق الشيخ) في الملتقى الوطني الأول الذي حمل اسم أحمد حماني وخصص للخطاب المسجدي في الجزائر، نظمته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بجيجل يومي08-09 جويلية2007.

2- أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة، ج2، المصدر السابق، ص289.

البشير الإبراهيمي، السعيد الزاهري، محمد العيد آل خليفة، وشارك في هذا الاجتماع بأول عمل له إذ عين في لجنة الانتخابات كأصغر الأعضاء العاملين بجانب المهدي البوعبدلي وقدور ابن هونة.[1]

بعد إنهاء تعليمه بمدينة قسنطينة، قرر محمد حماني أن يرسل ابنه أحمد وابن أخيه الصادق[*] لمواصلة الدراسة بتونس، بالرغم من الإمكانات البسيطة التي يمتلكها، قضى أحمد حماني السنة الدراسية الأولى بجامع الزيتونة (1934-1935) كطالب حر، إذ وجد أن دراسته بقسنطينة كانت ناقصة من بعض المعارف الخاصة بالجامع الأعظم، فاستدركها خلال هذه السنة وكان يحضر دروس مشايخ الزيتونة بالإضافة إلى انتسابه للمدرسة الخلدونية التي كانت قريبة من الزيتونة وفيها درس الرياضيات على يد صالح رضا الأحمر، وبلحسن بن شعبان مدرس الإنشاء كما درس فيها الفرنسية، وبعد أيام التقى الشيخ أحمد بالشيخ محمد بن الصادق جلولي الملياني[**] الذي جاء لتونس للتحصيل العلمي وهو من الطلبة الذين كانوا يحرسون ويرافقون الشيخ عبد الحميد ابن باديس بعد محاولة اغتياله من طرف العليويين في ديسمبر1926 وأنتقل الثلاثة أحمد والصادق والملياني للإقامة بنهج الطعمة رقم8، مقابل30 فرنكا للشهر. وكان أحمد يدرس من الثامنة صباحا إلى منتصف النهار ثم يعود إلى البيت لإعداد الطعام والأكل ليرجع إلى الدراسة بالزيتونة على الساعة الثالثة مساء حتى الخامسة، وبعد استراحة ينتقل طوعا للاستزادة في العلم بالمدرسة الخلدونية أو غيرها. وهكذا قضى العام الأول في الجد والاجتهاد حتى شارك في امتحان السنة الرابعة ليدخل كطالب نظامي وكان موضوع الامتحان المفعول معه وأحكامه والإظهار وأحكامه[2].

---

1 - أحمد حماني: شهداء علماء معهد ابن باديس، المصدر السابق، ص23.

(*)- يعتبر الصادق حماني ابن عمه ورفيق مشواره التعلمي والتعليمي من أعز أصدقائه، لذلك كتب عنه كتابا نشر بعد وفاته بعنوان شهداء علماء معهد ابن باديس والشيخ الصادق حماني.

(**)- ولد في 12افريل1901 ببلدية جندل ولاية عين الدفلى وهو أحد تلامذة بن باديس توفي في 30 أكتوبر 1984.

2- أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة،ج2، المصدر السابق،ص ص289،287.

أما في السنة الدراسية الثانية (1935-1936) فأصبح الشيخ أحمد حماني طالبا نظاميا، درس خلالها الجزء الثاني من كتاب ابن عقيل على العلامة الشاذلي النيفر، كما درس أقرب المسالك للعلامة الدردير وكتبا أخرى تحضيرا للشهادة الأهلية، لكن إضرابا مفاجئا عطل الدراسة لشهرين، بعدها دخل الطالب امتحان الشهادة الأهلية وكان عدد الطلبة خمسمائة طالب ونجح حماني بترتيب ثالث بعد الأستاذين الشاذلي المكي وأحمد دويرة[1].

وفي السنة الدراسية الثالثة (1936-1937) درس الشيخ أحمد حماني الأشموني على الألفية وهو كتاب في آداب اللغة وقواعدها، العاصمية في فقه القضاء، اقرب المسالك الجزء الثاني، التلخيص بشرح سعد الدين التفتزاني ، وفي هذه السنة تخلى عن دروس الخلدونية لأن الدروس بالزيتونة أصبحت كثيرة وممتعة، لكن هذه المتعة ما لبثت أن قطعت بإضراب أتى على كل مجهودات هذه السنة الدراسية.

وعاد حماني إلى الجزائر أين عمل لفائدة مجلة الشهاب كمتجول وكناشط شاب يحث الشباب على طلب العلم ودراسة تاريخهم الإسلامي، وأول محاضرة ألقاها في أوت1937 في موضوع الشباب المسلم، في ناد مليء بالشباب بسكيكدة وقد نشرت هذه المحاضرة في الشهاب تحت عنوان"واجب شبابنا" ومما جاء فيها:"إن الشباب هو الروح المتحركة الناشطة الفعالة في الأمة فإن أنت-أيها الشباب- أخلدت إلى التكاسل والبطالة واستعذبت النوم والجهالة، فاعرف أي ذنب بل أي جرم جنيته على أمتك وبلادك. لقد كان الشباب المسلم في أول حياة الإسلام أنشط الشباب وأقدره على تسيير دفة السياسة، وإحراز الفوز والنصر ونشر المدنية والعلم، ورفع راية الدين فكان له الفضل في نشر الإسلام والتبشير به حتى فتح نصف الكرة الأرضية في نصف قرن، فهل سمعتم بشباب يفعل مثل هذا؟ اقرؤوا تاريخكم-أيها الشباب- لتعلموا أعمال الشباب مثلكم في تاريخ الإسلام فلعلكم تجعلونها نبراسا لكم...فلقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم الراية لأسامة بن زيد

1- أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس، المصدر السابق،ص32.

على جيش فيه أفاضل الصحابة وعمره لم يبلغ العشرين سنة فغزا وانتصر ورجع ظافرا"[1]. تمكن أثناء تجواله لصالح مجلة الشهاب من جمع بعض المال يدخره للدراسة في العام الموالي وبذلك خفف من الأعباء المالية التي أرهقت والده.

في السنة الدراسية الرابعة (1937-1938) استأنف الطالب أحمد دروس السنة السابقة لأنه لم يسمح له كبقية الطلبة بامتحان آخر السنة، وفي مارس 1938 وصلته رسالة من أحمد بوشمال يخبره بأن جريدة البصائر تعاني من ضائقة مالية وأن "علي مرحوم" المسؤول عن جمع اشتراكاتها قد دخل المستشفي ، فهل بإمكانه تعويضه لبعض الوقت، فاستجاب أحمد حماني لنداء الوطن ونداء الحاجة، فهو كذلك يجد صعوبة في تمويل دراسته بتونس. انقطع أحمد حماني عن الدروس عائدا إلى قسنطينة وما إن انتهت مهمته حتى عاد إلى الزيتونة، وقد أعانه ابن عمه الصادق على استدراك مافاته، وجاءت امتحانات آخر السنة، التي أربكت حماني وفي هذا الصدد يقول:" ما شككت مرة في نتيجة الامتحان كيومي ذاك إذ سألني الممتحن في فن المنطق القديم وكان كتابه (التهذيب) أبغض الكتب إلى نفسي، فأجبت وارتقى معي الأستاذ في السؤال، فأجبت وزاد في التدقيق فهجت لمعلوماتي الهشة وأسأت الأدب، ولكنه كان واسع الصدر، فاكتفى بالإنكار علي، وتابع أسئلته حتى نهاية الامتحان. وكان أستاذي إنسانا عدلا معتدلا فلم يؤاخذني وظهرت النتيجة وطلع اسمي في قائمة الناجحين"[2]. وبعد هذا النجاح قفل عائدا إلى قسنطينة وهذه المرة كانت عطلته الصيفية أكثر تكثيفا من سابقاتها إذ قام بجولة صحفية أخرى لفائدة جريدة البصائر، شملت غرب العاصمة وشرقها، بلاد القبائل الكبرى ثم عمالة وهران، وفي مقالاته المنشورة بذات الجريدة كان يكتب لمحة وجيزة عن القرية أو المدينة التي يحل بها، يصف حالتها الاجتماعية، الدينية والثقافية، كما يبين الخلافات والمشاكل التي تعاني منها الحركة الإصلاحية، ويقترح حلولا لوحدة

1- أحمد حماني: واجب شبابنا، مجلة الشهاب، المجلد الرابع عشر، السنة الرابعة عشر(1936-1937)،ط1، دار الغرب الإسلامي ، 2001 ،ص82.

2- أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس، المصدر السابق،ص40.

وتماسك المجتمع، فمثلا أثناء وجوده بقرية سيدي عيسى لاحظ حماني وجود مسجدين بها، بالرغم من صغر مساحتها، فنبه إلى الخلاف الذي حدث بسبب ذلك بقوله: "كان ينبغي أن يتعاون القائمون على المسجدين ويتحدوا في بناء واحد فقط، ولكن لم يقدر لهما هذا الإتحاد، وراح كل منهم يقوم بمسجده مستقلا، ونشأ من ذلك بينهم خلاف نرجو أن يزول سريعا. ونتمنى أن يسود بينهم الوداد والتفاهم وأن يتعاونوا في كل مشاريعهم إذ بالتعاون تدوم المشاريع وبالتخاذل تضمحل"[1]. وهكذا نلمس من هذا النموذج أن الشيخ أحمد حماني كان يؤدي عملا صحفيا لكن بشعور بالانتماء إلى هذا الوطن المقيد، ومن واجبه تنبيه قرائه وإرشادهم إلى كل ما يضر ببلادهم المحتلة، وخاصة الاختلاف الممقوت الذي يراهن عليه الاستعمار. ولما وصل في جولته الصحفية إلى سيدي بلعباس حان وقت عقد الاجتماع العام لجمعية العلماء، فسافر إليه وفد كبير من وهران ومن ضمنهم الشيخ أحمد حماني. ويعتبر هذا الاجتماع الثاني الذي حضره، وعين فيه كاتبا لوقائعه، ومن الأحداث التي عاشها في هذا الاجتماع وقوف الشيخ الطيب العقبي في الحاضرين الذين غصت بهم القاعة، معلنا استقالته من الجمعية التي كان مكونا لها لا لأنها هي التي كونته - كما قال- فقال له ابن باديس بين سبب استقالتك، لكن الطيب قال لا أستطيع وأعلن تأجيله إلى يوم الأحد، ولما انتهى من كلامه وقف ابن باديس وقال أما أنا فأستطيع، ثم بين رحمه الله برقية قدمت إليهم، ليقدموا فيها شواهد الإخلاص لفرنسا كما قدمها غيرهم، وأكد أنه رفض أن يمضي هذه البرقية وأن اليد التي تمضيها تستحق القطع. وكان الذي جاء بالبرقية الشيخ الطيب العقبي، وصرح إما أن تمضى هذه البرقية وإما أن ينسحب من الجمعية ويستقيل. وقد وافق الحضور على كلام ابن باديس، ورفضت البرقية بالإجماع. وبصفته مراسلا للبصائر كتب الشيخ حماني مقالا عن تلك الوقائع بين فيه أسباب استقالة العقبي من الجمعية، فخفف بذلك من أثر الانشقاق في مجلس

1- البصائر :حديث المتجول، السنة الثالثة،العدد126، ليوم 12-8-1938.

العلماء، على أنصار الجمعية[1]. ثم عاد أحمد حماني إلى جولاته الصحفية وهذه المرة كلف بجنوب عمالة قسنطينة: الوادي وبسكرة، ولما اقترب الموعد الدراسي بالزيتونة شد الرحال إلى تونس.

وكانت السنة الدراسية الخامسة (1938-1939)، سنة دراسية عادية بالرغم من تعرضها لبعض العواصف التي سرعان ما تسكن، وأمكن السير بها حتى شهر جويلية إذ تمت دورات الاختبارات الفصلية والامتحانات السنوية في مواعيدها وتمكن الشيخ أحمد من النجاح فيها بسهولة لينتقل إلى السنة السابعة وهي سنة الترشح لنيل شهادة التحصيل. وخلال سنة1939 نالت ثلة من الجزائريين(*) تلك الشهادة، ولما رجعوا اجتمع بهم الإمام عبد الحميد بن باديس في احتفال رسمي، خطب فيهم خطبة مؤثرة، كانت آخر خطبة له وآخر لقاء له بالجمهور، ثم قدم الشيخ عبد الحميد للخطابة، "علي مرحوم" معتزا به قائلا عنه"..كالصخرة الصماء يثير الغبار حوله حيثما نزل" وبعد انتهاء علي من خطبته، قدم بن باديس مترجمنا النحيف الجسم أحمد حماني بهذه الكلمات:"..هذا الابن الذي لا يكاد يزن أربع أواق من اللحم ومع ذلك وقف في بعض الحلاقيم الكبيرة كالشجى ولم تستطع ابتلاعه"[2] ويشير الشيخ إلى رجال المخابرات الفرنسية - إدارة الشؤون الأهلية بالجزائر- الذين تتبعوه بسبب نشاطه الصحفي في جرائد تونس، لكن لم يتمكنوا من معرفته، لأنه كان يكتب بلقب مستعار لقبه به بن باديس وهو العيشاوي(*).

أثناء تواجده بقسنطينة - سبتمبر 1939- أخبر حماني بأن أباه طريح الفراش يستدعيه ليكون بجانبه، ففعل، ومكث معه حتى قبضت روحه في 2 نوفمبر1939، بعد دفنه وجمع غلة الزيتون، رجع إلى قسنطينة، متأثرا بوفاة والده

---

1 - أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس، المصدر السابق،ص42.

(*)- منهم مولود النجار من القرارم، الأعور يوسف القلي، عمار بوصبيعة القلي، عمار سنقوقة السلطاني، الخير حرشي.

2 - عبد اللطيف بن العربي: المقال البرهاني في ثناء أهل العلم والفكر على العلامة أحمد حماني، البصائر ،السلسلة الرابعة، السنة السابعة، العدد347 ، من9 إلى16 جويلية2007،ص9 .

(*)- هذا الاسم نسبة إلى جبل مسيد عيشة القريب من مسقط رأس الشيخ أحمد حماني.

فراح يدبر أمره بفتور، وقد كان لابن خاله محمد بن عبد الله الزاهي دور في تعبئة الشيخ حماني والرفع من معنوياته، من أجل إكمال دراسته بتونس، يذكر حماني أنه في نوفمبر1939 قضى الليل كله مع الزاهي بدكانه بقسنطينة والذي مافتئ يعظه ويرشده، وكان حديثه الهادئ والرزين، العذب المسلي يواسي جراحاته، حتى استطاع أن يبعث في نفسه الأمل ويحبب إليه المغامرة ثانية، فاندفع حماني نحوها، وتهيأ بقليل من الزاد وانطلق إلى تونس من جديد، ترن في آذانه كلمات أبيه رحمه الله التي تعتبر آخر ما سمعه منه " يا أحمد تابع دراستك وأكملها "[1]. وهذه المرة سيمكث في تونس 5 سنوات تقريبا حتى أفريل1944، تحصل خلالها على شهادة التحصيل1940 وشهادة العالمية1943 .

III. **وظائفه ومسؤولياته** : يعتبر الشيخ أحمد حماني ثمرة من ثمار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعضوا فيها منذ نشأتها[2] ومن الوظائف التي تقلدها قبل الاستقلال - واستمرت معه بعد الاستقلال- وظيفة التدريس، فقد عين في المجلس الإداري لمدرسة التربية والتعليم وأستاذا بها، عضو لجنة التعليم العليا التابعة للجمعية ورئيسا لها من 1955 إلى1957 وهو تاريخ اعتقاله، عين كاتبا عاما لشؤون جمعية العلماء المسلمين على مستوى عمالة قسنطينة[3]. أستاذا بمعهد عبد الحميد بن باديس وخلال أدائه لوظيفته بالمعهد كاد الشيخ حماني أن يقتل، إذ أصبح المعهد بعد اندلاع الثورة مشبوها وحياة من له صلة به مهددة، ففي سنة 1956 نفذ الإعدام في حق ثلاثة عشر مسلما من بينهم أحمد رضا حوحو، محمد الطاهر العجابي، الحاج رابح بوشريط، الحاج إسماعيل بوعلاق، بسبب اغتيال جبهة التحرير الوطني لمدير شرطة قسنطينة سان مارسيبي الكورسيكي الذي عامل الأهالي المشبوهين بوحشية، فانتقاما له قام الفرنسيون الكورس بإعدام

---

1 - المرجع نفسه، شهداء علماء معهد بن باديس، ص84.

2 - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1996،ص15.

3- المصدر نفسه، ص209.

ثلاثة عشر جزائريا، وعزمهم على إعدام خمسين آخرين من بينهم العربي التبسي، أحمد حماني، أحمد بوشمال، إبراهيم مزهودي، لكن الوالي الفرنسي الذي كان اشتراكيا ناقش الكورسكيين في القائمة وأقنعهم بالاكتفاء بمن ألقوا عليهم القبض[1].

لكن السلطات الاستعمارية ستلقي عليه القبض سنة1957 وسلطت عليه أنواعا شتى من العذاب من ذلك ما أصابه في سجن الكدية حينما حاولوا نزع المصحف الشريف منه وحرمانه من تلاوته، فتمسك به فأشبعوه ضربا وركلا إلى أن تدخل ضابط من الحراس، أشفق عليه ورد إليه المصحف. ولم يطلق صراحه إلا بعد وقف إطلاق النار، في 4 أفريل 1962، بعد ذلك عين في ماي من نفس السنة تحت إشراف الولاية الثانية وقيادتها، عضوا في اللجنة المسؤولة عن التعليم في مدينة قسنطينة، ومديرا لمعهد ابن باديس، فأعاد الشيخ أحمد حماني تنظيم التعليم بالمعهد، الذي استقبل في تلك السنة ألفي طالب، من صغار التلاميذ وكبارهم وحتى الكهول إناثا وذكورا، والحماس يحذوهم في طلب العلم ورفع حجاب الجهل في البلد الحر، الذي طالما انتظروا فك قيوده، وقد نجح عدد كبير من الفتيان والفتيات في الامتحان الاستعجالي الذي نظم لهم، وتأهلوا للتعليم فورا في الأقسام الابتدائية بعد دورة تكوينية سريعة أشرف عليها أحد أساتذة المعهد هو عمر جعفري، بتكليف من الشيخ أحمد حماني، الذي استدعي بعد تأسيس الحكومة الجزائرية الأولى إلى الجزائر العاصمة لوظيفة المفتش العام للتعليم العربي[(*)]، وفي مطلع سنة 1963، لما أسس معهد الدراسات العربية بجامعة الجزائر سمي حماني أستاذا به، ولما باشر عمله وجد أن تأسيس المعهد مازال كفكرة في الأذهان، فسعى مع مجموعة من زملائه للمشاركة في وضع أسسه المتينة، وتغير فيما بعد اسمه إلى كلية الآداب. قضى في الجامعة10 سنوات كاملة من 1963 إلى1973. وفي 1972 استدعي ليكون رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى[(**)]

1- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2، المصدر السابق،ص300.

(*)- عينه وزير التربية آنذاك محمدي السعيد.

(**)- أنشأ هذا المجلس سنة 1966 بأمر من الرئيس هواري بومدين الذي رأى تنظيم هيئة من العلماء لاستشارتها والاستعانة بها في بعض الأمور التي تخص الدين الإسلامي وأن لا يترك هذه الشؤون الخطيرة تسير حسب آراء

وأثناء وجوده على رأس هذه المؤسسة، مثل الشيخ أحمد حماني الجزائر في ملتقيات عالمية بتونس، ليبيا، مصر، السعودية، الهند، أفغانستان، بلجيكا، موسكو، .... عين الشيخ في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني سنوات 1983،1984،1985. كان أحمد حماني منذ الاستقلال على اتصال بوزارة الشؤون الدينية يبذل في خدمتها النصيحة والمشورة والفتوى - مثل ترأسه للجنة تصحيح المصاحف بذات الوزارة- حتى أن آخر ما تولى بها بعد تقاعده سنة1989 رئاسة لجنة الإفتاء[1]. كما أنتخب عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، التي يتواجد مقرها بمكة المكرمة وهو ثاني جزائري يتحصل على العضوية في هذه الهيئة، بعد محمد البشير الإبراهيمي[2] وعضوا مؤسسا للمجلس الأعلى العالمي للمساجد ورئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تم بعثها في26 مارس1991 ومديرا للسان حالها جريدة البصائر في سلسلتها الثالثة[3].

I. وفاته، خصاله وآثاره : توفي الشيخ أحمد حماني يوم الاثنين 05 ربيع الأول عام 1419هـ الموافق لـ 29 جوان 1998م على الساعة الثانية بعد الزوال،

من عملهم سياسي محض، كان المجلس تابعا لوزارة الشؤون الدينية وبعد دستور 1989 الذي انتقل بالنظام السياسي من الأحادية إلى التعددية أصبح المجلس مؤسسة دستورية تابعة لرئاسة الجمهورية، من مهامه- قبل التعددية الحزبية- تنظيم احتفالات المواسم والأعياد، الوعظ والإرشاد، إصدار الفتاوى للشعب والإدارة، وبعد التعددية يحدد الدستور مهام المجلس الإسلامي الأعلى في الاستشارة القانونية، و هو عمل إداري و تقني، و في الاجتهاد الذي يقتضيه الإسلام المعاصر فيما يواجهه من مشاكل راجعة إلى التحولات الاجتماعية والثقافية الكبرى. وينصب هذا الاجتهاد في موضوعات متعددة يقع ضبطها حسب الأسبقيات والتعرض لها بالبحث والنقاش والتشاور. لكن عثرت مؤخرا على أن فكرة المجلس كان ورائها المرحوم ابن القاضي أحد علماء جامع الزيتونة الذي أقام بمناسبة تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1958 احتفالا ببيته بتونس حضرها مسئولون عن الثورة وعدد من العلماء على رأسهم الإبراهيمي والطاهر بن عاشور وبعد أن أكد ابن القاضي للحاضرين أن انتصار الجزائر محقق بإذن الله أوصى الجزائريين بإقامة مجلس إسلامي أعلى للجزائر لما تستقل وقدم لهم قانونا أساسيا لهذا المجلس، آملا أن لا تقع الجزائر فيما وقع فيه غيرها من البلاد الإسلامية المستقلة حديثا من تبعية واستيلاب. المصدر عبد الرحمان شيبان: في الذكرى 40 لوفاة ابن القاضي،مجلة الأصالة، العدد57- ماي ،دار البعث، 1978،ص90.

1- أحمد حماني: فتاوى الشيخ أحمد حماني،ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1993،ص604.

2- أحمد حماني: محمد بن القاضي:العالم المصلح، مجلة الأصالة، عدد57، ماي1978 لدار البعث،1978،ص99.

3- بشير كاشة الفرحي: الشيخ أحمد حماني، دار الآفاق،الأبيار،الجزائر،2004،ص12.

وأذيع خبر وفاته في وسائل الإعلام المكتوبة المسموعة والمرئية، ووري التراب بحضور جمع غفير مثل الجهات الشعبية والجهات الرسمية.

كان الشيخ أحمد حماني يتميز بما يلي:

- **التواضع والوفاء**، يقول الدكتور محمد الهادي الحسني في مقال نشر بجريدة البصائر بعنوان الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد والفقيه المجتهد:"...أما أخلاق الشيخ أحمد حماني فيتصدرها خلقان كريمان هما التواضع الكبير حيث لم يكن يستنكف أن يصغي إلى كل ذي حاجة من ذكر أو أنثى، كبيرا أو صغيرا، ويبدو تواضعه في ملبسه ومسكنه، ولو شاء للبس الغالي وسكن العالي ولكنه فضل الآجلة وترك العاجلة ولسوف يعطيه ربه فيرضى، وأما الخلق الثاني فهو الوفاء غير المحدود..."[1] وبالرغم من تبحره في علوم الشريعة الإسلامية خاصة الفقه المالكي ويشهد على ذلك الشيخ محمد الغزالي[(*)] إلا أنه تواضعا يقول في كتابه الشهير الفتاوى:" أما بعد فهذه جملة من الاستشارات الواردة علينا وإنما سميناها استشارات لأنها في رأينا لا تعدو هذا الاسم ولا تبلغ أن تكون استفتاءات لأن الفتوى أنما يحق لها أن تسمى هكذا إذا صدرت ممن هو أهل للإفتاء وهو من بلغ درجة من الاجتهاد ولا يستحقها إلا من توفرت فيه الإحاطة بعلوم الكتاب والسنة وكان متبحرا في فنون العربية"[2]، كما أن الشيخ حماني لم يكن يخبر أولاده بما يقوم به من أعمال، ولا يسمعون عنها إلاّ من خلال أصدقائه أو من وسائل الإعلام[3]. إضافة إلى أن الشيخ حماني ليس من الذين ينسون الفضل عليهم، فيذكر في الإهداء الذي ورد في كتابه الفتاوى: " أهدي هذا الكتاب إلى أرواح أمي وأبي

1- محمد الهادي الحسني: الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد والفقيه المجتهد، جريدة البصائر، السلسلة الرابعة، العدد 56 من 25 جوان إلى 2 جويلية2001.

(*)- ذكر هذه الشهادة الذين كانوا يحضرون محاضرات الشيخ محمد الغزالي في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ومنهم عبد الحميد قليل (صحفي بجريدة النصر) الذي قال في الملتقى المذكور آنفا أن الطلبة كثيرا ما يستفسرونه في فقه الإمام مالك فيوجههم إلى الشيخ أحمد حماني الضليع في الفقه المالكي.

2- أحمد حماني : فتاوى الشيخ أحمد حماني، ج1، المصدر السابق،ص7.

3- مقابلة شخصية مع ابنه عمر، بمنزله بحي 5جويلية، الجزائر العاصمة، يوم 2006/9/4.

ومشايخي.... أما مشايخي فقد وجدت فيهم النصيحة، وأنا مدين لكل منهم، سواء من تلقيت منه مباشرة أو أفادني بما أخذت من كتابه"[1]. ولتواضعه الشديد كان يسكن في حي شعبي بالعاصمة وباب بيته مفتوح لكل من يريد مقابلته لاستفتائه[2].

- **زهده وورعه**، تجلّى ذلك من خلال ما أخبرني به أحد تلامذته وهو عبد الحميد ونيسي الذي استمرت علاقته بالشيخ حماني، وقد نقل عنه أنه بعد وصول الرئيس هواري بومدين إلى السلطة بعث إليه السيد عبد المجيد علاهم ليعرض عليه منصب وزير الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، فشكره الشيخ حماني على الثقة التي وضعها فيه الرئيس لكن لا يستطيع الإجابة لا بالقبول ولا بالرفض حتى اليوم الموالي، لأنه تعود صلاة الاستخارة في كل أم. لكن الرئيس لم ينتظر وعين مولود قاسم نايت بلقاسم[3]. فلم يكن الشيخ يطلب المناصب بل كان يعين فيها من دون علمه، مثل تعيينه عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى، يقول: وما رأيت اسمي إلا في جريدة الشعب بعد تأسيس المجلس والإعلان عن أعضائه"[4]. إضافة إلى ذلك فأحمد حماني لا يحب أن يشكر على شيء لم ينجزه مصداقا لقوله تعالى **(وَّ يُحِبُّونَ أَنْ يُّحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ)**(*) ونستدل على ذلك عندما نشر أحد الصحفيين بأن الشيخ أسس جيشا على الحدود الجزائرية التونسية متعاونا مع الألمان أثناء الحرب العالمية وخاض به انتصارات على الحدود، رد عليه بأنه خاطئ فيما يقول ونشر حقيقة ما وقع ولم يكن لينشره لولا تلك الكتابات التي تظن بأن الشيخ سيزهو بنفسه ويحب أن يحمد بما لم يفعل، والتباهي والزهو الحقيقي هو ما فعله الشهداء الذين دبروا الأمر حتى بلغوا بالجزائر

1- أحمد حماني: فتاوى الشيخ أحمد حماني، المصدر السابق، ص5.

2- مقابلة شخصية مع ابنه عمر، نفس المكان والتاريخ .

3- مقابلة شخصية مع ونيسي عبد الحميد في مقر مؤسسة ابن باديس، قسنطينة، يوم2006/8/26. وهو تلميذ للشيخ أحمد حماني بمعهد بن باديس من 1954 إلى1957 وهو تاريخ اعتقال حماني وغلق المعهد.

4- أحمد حماني: المصدر السابق،ص8.

(*)- سورة آل عمران ، الآية188.

شاطئ السلامة والحرية فهم الذين يستحقون المدح والثناء[1]. ومن المميزات الأخرى التي تميز بها الشيخ أحمد حماني، من دون أن أفصل فيها حسب شهادات مقربيه، والذين عرفوه: الجد والاجتهاد وغزارة العلم، الإستقامة وحسن السلوك، صبره على الأسقام والابتلاءات، ومن خصاله التي عرف بها التمسك برأيه عندما يقتنع به ولم يعرف عنه أنه تراجع عن موقفه في مجال الفتوى كما عرف عنه أنه لا يجامل ولا يداهن[2].

II. **آثـاره** : إن نشاطه الدؤوب وانشغاله بتكوين الرجال ضيق عليه الوقت لتأليف الكتب: له مقالات منشورة في الصحف والمجلات قبل استرجاع الاستقلال الوطني وبعده .

فأول ما نشر له مقالات تحت عنوان "حديث المتجول " في جريدة البصائر، السلسلة الأولى ومقال حول الشباب المسلم في الشهاب [3]، كما كتب في جريدة الشعلة التي كان يديرها ابن عمه الصادق، ونشر مقالات في الصحافة التونسية منها جريدة الإرادة[(*)] باسم مستعار هو العيشاوي وهو الاسم الذي اقترحه عليه الإمام عبد الحميد بن باديس، كما كتب في نشرية الثمرة الأولى التي أصدرتها جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس والتي تضمنت مواضيع إصلاحية ووطنية، الدافع إلى كتابتها الظلم الاستعماري وحماسة الشباب.

وبعد الاستقلال كتب في جرائد وطنية يومية وأسبوعية كجريدتي الشعب والعصر، وكتبت مداخلاته في الملتقيات التي شارك فيها، إذ عادة ما تجمع وتنشر

1- أحمد حماني :لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية، من كتاب أحمد حماني حياته وآثاره شهادات ومواقف، دار الأمة،2001، ص29.

2- محمد الأكحل شرفاء: الشيخ أحمد حماني بعد الرحيل، البصائر، العدد295، السلسلة 4، السنة6، الأسبوع من03 إلى10جويلية2006،ص10.

3- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2، المصدر السابق، ص291.

(*)- جريدة الإرادة لصاحبها محمد المنصف المنستيري الذي يقول عنه حماني: هو من أقدر الكتاب وأمهر الصحفيين في العالم العربي، له أفكار صائبة وعبارات عربية سليمة وقلم سيال ووطنية ملتهبة، ومن المقالات التي نشرتها الإرادة لمترجمنا مقال بمناسبة محاكمة الشيخ القبي بعنوان"صراع ثلاث سنوات" ومقال آخر يقارن فيه بين شخصية م.ميو مدير الشؤون الأهلية وشخصية بن باديس. المصدر،أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس،ص48.

محاضرات الملتقى على شكل كتاب ومنها الملتقى الذي عقد بالقيروان بتونس أيام25 و28 فيفري 1978 وشارك الشيخ حماني بمحاضرة بعنوان "العدل والإحسان أسس المجتمع الإسلامي "[1] إلى جانب المداخلات التي شارك بها في ملتقيات الفكر الإسلامي ونشرت في كتب الملتقى كما نشرت في مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الدينية مواضيع عدة منها "محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح، الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها، عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية، إرادة الشعب من إرادة الله، إضافة إلى نشره لمقالات في مجلة الثقافة الصادرة عن وزارة الثقافة من بينها "دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة العالم الإسلامي".

أما الكتب التي ألفها ونشر بعضها وهو على قيد الحياة والبعض الآخر بعد التحاقه إلى جوار ربه فهي:

1) كتاب الصراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس: طبع سنة 1984 .
2) رسالة الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية: طبع سنة 1984.
3) الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام وقضية إمام يجتهد في إبطال مذهب إمام.
4) فتاوى الشيخ أحمد حماني"استشارات شرعية ومباحث فقهية" : في ثلاثة أجزاء ،طبع اثنان منها سنة 1991 ضمن منشورات وزارة الشؤون الدينية، أما الجزء الثالث فنشرته دار قصر الكتاب سنة 2001 بعد وفاته بثلاث سنوات .
5) كتاب: شهداء علماء معهد بن باديس :صدر بعد رحيل أحمد حماني.

وكان للشيخ أحمد حماني حضور في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، لأنه أدرك مدى أهمية هذه الوسائل في التبليغ والدعوة إلى الفضيلة وإفتاء الناس

1- الدين والمجتمع (دراسات ومحاضرات قدمت في ملتقى الندوة الإسلامية بالقيروان من 25إلى27 فيفري1977)، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر،1978،ص181.

وتوجيههم وإرشادهم إلى الخير، ومالها من دور في تعميم الفائدة للمستمعين أو المشاهدين فقد كانت خطب الجمعة التي ألقاها في السبعينيات تذاع عبر الأثير[1] كما كان يُحدّث الناس في التلفزة من خلال حديث الاثنين، وفي التسعينيات سجل سبعين حصة بالتلفزة الوطنية خاصة بالإفتاء، بثت من خلال ندوة الجمعة في حصة "أنت تسأل والمفتي يجيب".[2]

2- أعماله الإصلاحية والوطنية قبل استرجاع الاستقلال الوطني:

I. **مواقفه الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية :** لما اندلعت الحرب العالمية الثانية (1939- 1945) كان الشيخ أحمد حماني يواصل دراسته بتونس، وكان يستمع لنشرات إذاعة برلين(*) التي جاء في إحدى نشراتها ليوم 02فيفري1940 ما يلي: أيها المغاربة لا تدافعوا عن طغاتكم..ارفضوا الخدمة العسكرية...فرنسا تريد استعمالكم طعمة للمدافع...فهي تضع جنودها في الخلف بينما تحتلون أنتم الخطوط الأمامية، ويرمى بكم في مقدمة ميدان القتال. وفي نشرة 23أفريل1940: تتجه الآمال نحو انتصار ألمانيا الذي هو نصر للعدل على الظلم وتحرر للعرب، لقد بعث الله الألمان لينتقموا لكم من الفرنسيين الملطخة أيديهم بالدماء. وفي نشرة 14ماي1940 قال المذيع: "اليوم تتوغل القوات الألمانية في فرنسا وتدمر خط ماجينو،...أيها المغاربة لقد اقترب خلاصكم، ولابد أن تزول فرنسا". وكانت الشعوب المستعمرة التي تصلها هذه الدعاية وحتى التي لم تصلها ساخطة على الاستعمار الفرنسي، وعلى جرائمه وسياسته الظالمة، وتعجب بهزائمه أمام ألمانيا بل والبعض منها يعمل مستغلا هذه الفرصة للنيل من فرنسا والتخلص من استعمارها، ومنهم أحمد حماني. فمن باب عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو،

1- أحمد حماني: إن خير الحديث كتاب الله، مجلة الأصالة، العدد56، السنة7، أفريل 1978، دار البعث، قسنطينة، 1978،ص79.

2- محفوظ بن الصغير: الشيخ أحمد حماني ومنهجه في الفتوى، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية قسم الفقه وأصوله، جامعة باتنة، غير منشورة، جوان 2002، ص68، نقلا عن مسؤول قسم الأرشيف بالتلفزة الوطنية.

(*)- كان الطالب أحمد حماني وابن عمه الصادق يذهبان لبيت أحد الرفاق التونسيين لمراجعة الدروس والاستماع إلى أخبار برلين يذيعها بحري يونس من الإذاعة الألمانية.المصدر: شهداء علماء معهد بن باديس،ص54.

كانت محاولات لبعض الوطنيين الجزائريين لربط اتصالات مع الألمان داخل الجزائر وخارجها ومن هؤلاء الشيخ أحمد حماني الذي بالرغم من علمه بأن الألمان يحتقرون العرب، والأمة العربية في فلسفتهم تأتي في الدرجة الرابعة عشر، يقر بحبه لهم لا لإحسانهم ولا لصدقهم ولا لإنسانيتهم، ولكن لمجرد أنهم ألحقوا الأذى بالعدو المشترك واحتلوا بلاده، واستعبدوه، وأذلوا قادته ورجاله[1] وعن هذه الاتصالات يقول :"أثناء وجود ألمانيا بتونس عام1942-1943 جاءنا أحد نشطاء حزب الشعب وهو محمد خليفاتي[2(3)]، الذي سيكون فيما بعد من أكبر رجال الثورة، واتصلنا به وعملنا معه، ولكنه بصرنا بفساد نية الألمان، ونهانا عن الاندفاع معهم"[4]، ونفس النصيحة أسداها لهم ممدوح الميداني، زعيم فرع الجيش العربي بتونس.[5(6)]

في هذه الظروف، ومستغلا فرصة الحرب العالمية الثانية، وضع الشيخ أحمد حماني قانونا أساسيا لحزب جزائري جديد هو الحزب القومي الجزائري، الذي كان من بين مؤسسيه الشيخ بورنان الدريدي، بولخراص سلطاني، الحاج ناصر، الداودي صفصاف، الزين قليش، مسعود بن بيده، هذا الأخير عين على رأس الحزب، وكان الغرض الأسمى من هذا التنظيم ما ذكر في قانونه الأساسي وهو العمل على تحرير الجزائر واستقلالها، والتعاون مع كل من يكون عونا لهم في بلوغ هذه الغاية. ويبدو أن الألمان لم يعجبهم هذا الأمر وأخذوا يعرقلون نشاط

1- أحمد حماني: لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية، المصدر السابق،ص29.

2-كان محمد خليفاتي مندوب حزب الشعب بمدينة تونس، يقيم بالقرب من رحبة الغنم، في نهج الجبح.

3-كان محمد خليفاتي مندوب حزب الشعب بمدينة تونس، يقيم بالقرب من رحبة الغنم، في نهج الجبح.

4- أحمد حماني: ابن باديس والثورة، مجلة الرسالة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، العدد الرابع،جانفي 1981،ص30

5- الجيش العربي أسسه مفتي القدس أمين الحسيني، ومن فروعه جيش تونس الذي كان من بين جنوده جزائريون منهم علاوة فنور ابن البلدة التي ولد بها حماني. لما تمت استعدادات الجيش العربي حاول الألمان أخذه إلى روسيا فأبى الزعيم الحسيني وقال لهم لا عداوة بيننا وبين روسيا، ولم يحتلوا بلادنا، وعند نزول الحلفاء بالمغرب العربي وتقدموا إلى تونس ضرب هذا الجيش أروع التضحيات في سبيل رد العدو عن البلاد العربية ومنها تونس. المصدر: أحمد حماني،لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية، مصدر سابق،ص ص31،30.

الجزائريين ومن الأمثلة على ذلك، عندما طلب "حماني" ورفاقه من القوات الألمانية في تونس، أن يخصصوا لهم حصة في الإذاعة، رفضوا قائلين: "أتريدون القيام بعمل ضد دولة فرنسا، نحن لا نسمح بذلك". أدرك حينها الشيخ أحمد حماني ورفاقه بأنه لا فرق بين فرنسا وألمانيا الأوربيتين وهذا ما أكدته رسالة هتلر إلى الماريشال بيثان يوم نزول قواته في تونس: "أننا نزلنا بتونس لنحافظ على إفريقيا لأوربا"[1].

كما كانت للشيخ أحمد حماني اتصالات بالألمان ضمن مجموعة من أساتذة الزيتونة: الشيخ العلامة محمد الشاذلي النيفر، الشيخ محمد الصالح النيفر والشيخ الهادي مجدوب، واتصل معهم بالقيادة الألمانية لتخفيف بعض ما كان يلقاه الشعب، والقيام بمساع لإطلاق سراح المعتقلين ومنهم الحبيب بورقيبة ورفاقه الذين اعتقلتهم فرنسا، ونقلتهم إلى سجونها منذ1939، فقد تدخل الوفد الزيتوني لدى قيادة الألمان في تونس وقال لها: "لا يمكن أن يعطف عليكم العرب وزعماؤهم في سجون فرنسا،أو تحت الإقامة الجبرية تحت حكمكم "، فكان لهذا الكلام وقع على الألمان، وفي نحو 24 ساعة أفرج عن بورقيبة ورفاقه[2].

ومن الاجتماعات التي حضرها حماني، ضمن وفد أساتذته بجامع الزيتونة، تلك التي استدعي إليها ضباط ألمان عند بعض المشايخ ومنهم " بيزينير" و"فوستر"، ومما قاله الشيخ أحمد: "نحن الجزائريين ليس لنا دولة معترف بها، بخلاف المغرب وتونس، فلهما كيان دولي، ولهذا فإننا نخشى أن تعاملونا كمجرد تراث فرنسي، لذلك نريد منكم أن تصرحوا بوعد تعترفون فيه، بتأسيس دولة لنا معترف بها"، فرد أحد الضباط الألمان: "أنت شاب صغير السن ولكنك بعيد التفكير، وما قلته هو من عمل السياسة العليا وليس لنا أمر فيه"، فقال حماني: "إن هذا في فائدتكم وباستطاعتكم استجلاب رضاء الشعب الجزائري كله وأنا ضامن لكم

1- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائرفي القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة،2004،ص69.

2- أحمد حماني: محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح، مجلة الأصالة،السنة السابعة،العدد57،ماي1978،دار البعث،1978ص ص98،97.

تسعين بالمائة من الرأي العام، فلو وافقتم فإنكم تحررون زعماء تونس المسجونين، بحيث يكون الحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور رئيسا لحكومة تجمع الجزائر وتونس، تعلنون الاعتراف بها، فلا يخالف أحد، لأنه سينظم إلى هذه الحكومة رجال الجزائر"[1]. وتجدر الإشارة إلى أن إطلاق سراح بورقيبة ورفاقه كان بعد هزيمة الألمان في ستالين غراد، ثم استعدوا لمغادرة تونس، واستمالوا بعض العرب للذهاب معهم ومنهم الهادي مجدوب الذي توفي في فرنسا.

إذن هذه هي حقيقة اتصال الشيخ أحمد حماني بالألمان في تونس أثناء الحرب العالمية الثانية، وألاحظ أنه كان ذكيا في تصرفاته الحذرة ولم ينساق وراء كل ما طلبته ألمانيا، التي مع الأسف استطاعت خداع رفيقين لحماني في تونس وغررت بهما باتخاذهما عملاء لها، وهما حسين مقراني، وإبراهيم بن سليمان.

بعد نزول الحلفاء ومعهم فرنسا بتونس أخذوا في البحث عن كل متعاون ومتصل بأعدائهم الألمان، حينها اختفى حماني في مدينة تونس، بعد تمكّن فرنسا من اعتقال رفاقه في المنظمة الجزائرية، واختبأ في بنزرت عند السيد السعيد قاسمي وساعده على ذلك دركي جزائري يدعى العمري، حيث أخفاه برغبة من المرحوم صفصاف الدوادي[2]، وبقي مختفيا من ماي1943 إلى مارس1945، وبالرغم من عودته إلى الجزائر في30 أفريل1944 إلا أنه بقي يتجنب الأنظار حتى سعى رجال جمعية العلماء المسلمين لتخليصه من هذا الحرج، بربطهم اتصالات بتونس، فإذا ما استدعي للمحكمة برّأته وكل شيء سار وفق ما خططت له الجمعية، فاستدعي المتهمون في قضية التعاون مع الألمان إلى محاكمة في المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس في 20مارس1945 ومنهم حماني، الذي خرج منها بالبراءة[3].

1- أحمد حماني: لست نازيا ولا عميلا للنازية، المصدر السابق،ص33.

2- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3- أحمد حماني: لست نازيا ولا عميلا للنازية، المصدر السابق،ص30.

ووضّح أحمد حماني قضية تعاونه مع الألمان بنفسه بعد استرجاع الاستقلال، على إثر نشر صحافي في جريدة السلام لمقال قال فيه بأن الشيخ تعاون مع النازيين وأسس جيشا يمتد على طول الحدود الجزائرية التونسية وخاض به معارك، انتصر فيها بشهادة الجيش الفرنسي نفسه. و زعم الصحافي أنه سمع ذلك من محمد الطيب العلوي، فردّ الشيخ أحمد حماني :"بأن هذا لم يكن أبدا وأنه لا يحب أن يحمد بما لم يفعل مستندا إلى قوله عز وجل: (**لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[1]. ولم يكن حماني لينشر ذلك الرد، لولا تلك الكتابات التي تظن بأن الشيخ سيزهو بنفسه ويحب أن يحمد بما لم يفعل، فرد عليها لإزالة الشبهات والتحريف الذي قد يلحق بالتاريخ، وقال: "التباهي والزهو الحقيقي هو ما فعله الشهداء الذين دبروا الأمر حتى بلغوا بالجزائر شاطئ السلامة والحرية فهم الذين يستحقون المدح والثناء"[2].

II. جهوده في التربية والتعليم بعد تأسيس معهد بن باديس: وقد كان الشيخ أحمد حماني من الأوائل الذين ضحوا في سبيل إقامة معهد بن باديس، ووضع قوانينه، والتدريس فيه، حتى إغلاقه سنة1957. فبعد عودته من تونس سنة1944، وكشأن العائدين من الجامع الأعظم، باشر رسالته في محاربة الأمية والسعي لنشر الوعي الديني، الأخلاقي، الاجتماعي، الثقافي والسياسي في سبيل النهوض بأمته الرازحة تحت نير الاستعمار، وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم، الذي يراه حافزا مهما في بث روح اليقظة في الأمة، لتتخطى وطأة الخرافات والبدع التي سخرها المستعمر لفائدته، فكان الميدان الخصب لأداء هذه الرسالة هو التعليم، فعين مدرسا في مدرسة التربية والتعليم[1] سنوات 1944- 1945-

---

1- سورة آل عمران، الآية 188.

2- أحمد حماني : لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية، من كتاب أحمد حماني حياته وآثاره شهادات ومواقف، دار الأمة، 2001، ص29.

1946 في عهد مديرها عبد الحفيظ الجنان[2]. وفي السنة الأولى تطوع لتقديم دروس لطلبة المدارس الرسمية الذين كانوا يأتونه في تكتم، خشية المستعمر من التنكيل بهم[3]. وقد ساهم حماني مساهمة فعالة في تأسيس معهد بن باديس الذي يعتبر أول ثانوية للتعليم العربي الحر، وسمي نسبة إلى باعث النهضة الجزائرية الحديثة الشيخ عبد الحميد بن باديس لمواصلة ما كان قد شرع في بنائه وترسيخه من أفكار ومنها على سبيل المثال، ما صرّح به سنة1936 رافضا سياسة الإدماج: "أن الجزائر ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، ولكنها أمة بعيدة كل البعد عن فرنسا، في لغتها وفي دينها وفي تاريخها"، وللمعهد عمل ايجابي فعال لإثبات هذه الحقيقة وإبرازها إلى حيز الوجود.[4] في سنة1947 كان أحمد حماني يشغل منصب كاتب عمالة قسنطينة التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبحكم هذه الصفة وضعت على كاهله مسؤوليات التحضير لافتتاح المعهد، وكان نشاطه مكثفًا من استقبال الطلبات، إلى إعداد برنامج الدراسة بالتنسيق مع الأساتذة، توزيع حصص الدراسة وتفويج الطلبة. افتتحت الدراسة في شهر ديسمبر، وحينها تسلم كتابة المعهد الأديب أحمد رضا حوحو[5](6) لإجادته الفرنسية والحاجة إلى ذلك ضرورية،

1- مدرسة التربية والتعليم : هي أم المدارس الحرة في الوطن، كانت لها جمعية تعرف بنفس الاسم، رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، تحصلت على الاعتماد سنة1932. مقرها كائن في نهج الأربعين شريفا. افتتحت المدرسة في هذا المقر الجديد في26 شوال1355هـ الموافق ل9 جانفي1937 المصدر: محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر ،ط1،دار الأمة،1999،ص60.

2- عائشة بوتريد: التعليم العربي الحر في الجزائر ومؤسساته من1947إلى1962، قسنطينة نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت سنة2004 بجامعة قسنطينة،ص77.

3- أحمد حماني:الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص298.

4- أحمد حماني، شهداء علماء معهد بن باديس، مصدر سابق،ص37

5- أحمد رضا حوحو(1911-1956): ولد بسيدي عقبة قرب مدينة بسكرة، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم بقسنطينة. غادر الجزائر إلى الحجاز سنة1934، ولم يعد إليها إلا بعد سنة1945، تولى الكتابة العامة بمعهد ابن باديس، كان أول من ألقي عليه القبض من رجال جمعية العلماء، استشهد بعد سنتين من اندلاع الثورة التحريرية. للمزيد أنظر معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،ج2، لعبد الكريم بوصفصاف وآخرون ،ص82.

وتفرغ أحمد حماني للتدريس وشؤون الجمعية [1]. فعمل به أستاذا من 1947 إلى1957 وكان يدرّس شتّى العلوم الإنسانية يضفي عليها صبغة خاصة تميزت بغرس الروح الوطنية والثورية، والتركيز على الدور الفعال الذي يلعبه الشباب في النهوض بالأمة خاصة وأنه أيامها كان شابا مفعما بالحماس،ونستشف هذه المميزات ممن درسوا على يديه أو زملائه بالمعهد. ومن التلاميذ الذين تتلمذوا على يديه أبو عبد الله غلام الله الذي يقول عن مترجمنا: "دخلت المعهد في اكتوبر1954 وكانت دروس أحمد حماني في التاريخ والجغرافيا كلها في الوطنية، لا يقول كلمة في التاريخ، سواء في تاريخ الجزائر أو تاريخ الإسلام أو التاريخ الأوربي أو في التاريخ الأمريكي إلا من حيث الصراع القائم بين الشعوب والاستعمار، وكان يذكرنا ما هي الجهود وما هي التضحيات التي بذلتها الشعوب سواء في أمريكا أوفي كندا أوفي الشرق، وفي ذلك الوقت كان الحديث كثيرا عن باكستان وانفصاله عن الهند وما هي الأعمال والتضحيات وأن الاستقلال ليس شيئا يعطى وليس شيئا يتحصل عليه، وإنما هو نتيجة التضحيات والدماء والإخلاص والتضامن[2]. كان يحيي ما كان يدرسه بجميع حواسه ويدفع تلامذته لتذوق الأدب العربي، وفي هذا المجال يواصل غلام الله شهادته قائلا "كان يدفعنا لتذوق الأدب، خاصة القومي وأدب الملاحم، أدب المتنبي، وكان يتناوله من حيث الفحولة والبطولة، ومن الناحية الفنية، واشهد أنني أخذت منه فيما يخص التذوق الفني ما لم أخذه من بقية الأساتذة الذين تعلمت عليهم فيما بعد"[3]. كما كان محبا لعمله بالرغم من أن المعهد كان من حين لآخر يتعثر ماديا، فلا يدفع أجور الأساتذة، لذلك كان رئيس الجمعية دائم الإلحاح على الأمة في التمويل، ويشهد عبد الحميد ونيسي أحد تلامذته بأن أستاذه الشيخ حماني، كان متفانيا في عمله على غرار بقية الأساتذة، لكن

1- أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ج2، مصدر سابق، ص298.

2- شهادة وزير الشؤون الدينية أبو عبد الله غلام الله:الشيخ أحمد حماني شهادات ومواقف،مرجع سابق،ص ص200-201.

3- المصدر نفسه،ص201.

حماني بالذات كان يتميز عنهم في احتكاكه بالطلبة وبنكته أحيانا فيحس التلاميذ بذوبان ذلك الحاجز بينهم وبين أستاذهم ولكن في إطار من الهيبة والاحترام [1].

وخلال تواجده بالمعهد لم يدخر جهدا في تعليم الطلبة موظفا كفاءاته العلمية، وشهد عليه الشيخ البشير الإبراهيمي إذ قال، بأن إدارة الجمعية اختارت للتدريس بالمعهد أكفأ الأساتذة المتخرجين من الزيتونة[2]. كان الشيخ أحمد حماني يحمل هم التعليم بالمعهد والوصول به إلى أرفع المستويات، وفي هذا المجال كان له اقتراح علي الإبراهيمي أتى بثماره وهو إلحاق المعهد بجامع الزيتونة بتونس، ليكون فرعا له، فوافق الإبراهيمي الذي أرسل رسالة إلى جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين سنة1947، يخبرهم فيها بأن جميع التحضيرات قد تمت ليفتح المعهد أبوابه في شهر أكتوبر من السنة نفسها، وطلب من رئيس جمعية الطلبة عبدالرحمان شيبان أن يتقدم من مدير جامع الزيتونة فضيلة العلامة محمد الطاهر بن عاشور، ويطلب منه الاعتراف بالمعهد كفرع من فروع الزيتونة[3]، ولتنفيذ هذه المهمة الدقيقة والعظيمة، أقامت الجمعية بناديها الكائن بنهج عبد الوهاب بتونس، حفلة تكريم الإمام محمد الطاهر بن عاشور، وأثناء الحفلة عرضت عليه رغبة جمعية العلماء، فأكبر هذه المبادرة العلمية، وأعرب عن اغتباطه الشديد، بأن يعترف بمعهد يحمل اسم أحد تلامذته الأصفياء- عبد الحميد بن باديس- كفرع لجامع الزيتونة[4]، وقد كان في برنامج الجمعية كخطوة أولى ربط الصلة بالزيتونة ثم توثيق صلاته بجامعات القاهرة والإسكندرية ودار العلوم والأزهر وعين شمس بمصر، وجامعة دمشق بسوريا،وبغداد بالعراق، والسعودية، الكويت الأردن والمغرب وليبيا[5].

1- مقابلة شخصية مع عبد الحميد ونيسي بمقر مؤسسة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة يوم:2006/8/26

2- محمد البشير الإبراهيمي: معهد عبد الحميد بن باديس: ماله وماعليه، البصائر،العدد44، السلسلة2. يوم السنة1 يوم 21 جوان1948.

3- ابن عتيق محمد الصالح: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 1990. ص71.

4- عبد الرحمان شيبان: الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي، مجلة الأصالة، العدد57، ماي 1978،دار البعث،1978،ص88.

5- المصدر نفسه،ص89.

كما كان حماني دائم النشاط خلال تواجده بالمعهد كمدرس به، ونائب ثان لمديره العربي التبسي، بعد الشيخ محمد خير الدين، وكعضو مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكاتب عام لمكتب الجمعية لعمالة قسنطينة، وكمثال لهذا النشاط تكرار اسمه في ثلاثة مواضيع مختلفة، في عدد واحد لجريدة البصائر[1] هي على التوالي :

- ✓ "...كانت إقامة الاحتفال بالمولد من مديره الحازم الشيخ العربي التبسي ...إذ عهد إلى اثنين من مدرسيه النجباء هما العباس بن الشيخ الحسين وزميله أحمد حماني...بإقامة احتفال ليلة المولد... وتقدم أحمد حماني فألقى كلمات ارتجالية موضوعها "الإسلام دين الحرية والتحرير" فأحسن وأفاد.
- ✓ "...الميلية تحتفل بمدرستها الجديدة...ثم جاء دور أحد شيوخ المعهد البادیسي أحمد حماني فمتع السامعين بدرس قيم موضوعه " آيات بينات من كتاب الله عز وجل، وكان له الأثر البالغ..."
- ✓ والموضوع الآخر بقلم الشيخ أحمد حماني كاتب مكتب الجمعية لعمالة قسنطينة، هاجم فيه هجوما حادا القائد ورجل من الأمن –الشنبيط- اللذين أهانوا المسلمين في يوم احتفالهم، بالمولد النبوي بمنطقة الجناح، وفي الأخير يقول حماني: " يجب أن يقف أمثال هذا القائد عند حدودهم، أو يوقفوا كما يقتضيه الحق والعدل والسياسة الرشيدة، عن أعمالهم وإلا فإن يوم الحساب آت لا ريب فيه"[2].

مؤديا تلك الوظائف التي يصعب جمعها، واصل الشيخ نشاطاته بالمعهد حتى1957 وهي السنة التي أختطف فيها مديره العربي التبسي، فخلفه حماني لبضعة أشهر، ليتم القبض عليه هو الآخر في نفس السنة. وخلال تواجده على

1 - البصائر : العدد23، السنة الثانية ،السلسلة الثانية ، ليوم 15 فيفري1948.

2- المصدر نفسه،ص7.

رأس المعهد حول حماني دار الطلبة[*] إلى مقر للاجتماعات السرية للثورة ولما اكتشف أمرها حولها الاستعمار إلى مركز للاستنطاق والتعذيب.

ولما أسست لجنة التعليم العليا[**] التابعة لجمعية العلماء المسلمين، لم يكن مقرها ثابتا، فتارة العاصمة، وتارة أخرى قسنطينة، وترأسها حماني في 1955، 1956،1957 إذ كان يسافر أسبوعيا، بين قسنطينة والعاصمة للقيام بأعمالها إضافة إلى الاتصالات التي كان يكلفه بها العربي التبسي الذي كان على علاقة بالعقيد عميروش فكان حماني همزة وصل بين الولاية الثانية والولاية الرابعة[1].

III. **أعماله ومواقفه بعد استرجاع الاستقلال الوطني:** سأركز في هذا العنصر الأخير على بعض التضحيات التي قام بها الشيخ أحمد حماني في سبيل الحفاظ على عروبة وإسلام الجزائر ومنها: قانون الأسرة الذي لم يصادق عليه إلاّ سنة1984، وذلك لمعارضة أقلية نافذة في دوائر الحكم له، ووقوف مترجمنا مع القضايا التي تعزّز مقومات الشخصية الوطنية في إطار الانتماء الواسع للأمة الإسلامية.

فقد احتدم الصراع حول قانون الأسرة، وعُطِّل لسنوات كثيرة، فقد كانت للشيخ حماني جهود جبارة في تعديله أولا، لأنه كان نسخة طبق الأصل للقانون

(*)- منذ تأسيس المعهد ومشكلته الرئيسية الإمداد المادي وعدم توفر سكن للطلبة، مما دفع إدارة المعهد على العمل الدؤوب من أجل حل هذه المعضلة فشرعت في بناء دار الطلبة تشتمل على 4طوابق ومطعم وحمام ، أنجزت في سنوات وفتحت في عيد وطني سنة1953 .جاء لحضوره وفود من سائر أنحاء الوطن ووفد من جامع الزيتونة، على رأسه نائب شيخ الجامع الأستاذ علي النيفر.المصدر:أحمد حماني،شهداء علماء معهد بن باديس،مصدر سابق،ص50.

(**)- لجنة التعليم العليا: تشكلت سنة1946 وكان بأكورة أعمالها توحيد التعليم. رئيسها إسماعيل العربي تخرج من معاهد القاهرة، ومن أعضائها:الصادق حماني، محمد الغسيري، عبد القادر الياجوري، أحمد حماني بوكر الحاج عيسى الأغواطي، أحمد قصيبة، بن ذياب أحمد، محمد الشبوكي، باعزيز بن عمر، العباس بن الشيخ الحسين، علي المغربي ثم لحق بهم إبراهيم مزهودي وعبد الرحمن شيبان بابا أحمد محمد...أوكل لهذه اللجنة وضع برنامج موحد لجميع المدارس، والعمل على توحيد الجمعيات وانتخاب المعلمين وشروطهم، وإنشاء تفتيش للتعليم، والتفكير في توحيد المرتبات على حسب مكانة المعلم وشهادته وصون كرامته واستقلاله وحمايته. المصدر: شهداء علماء معهد بن باديس،ص64.

1- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة، ج2، مصدر سابق، ص299.

الفرنسي، وكان ذلك في الملتقى الذي نظمته وزارة العدل حول إثراء قانون الأسرة المنعقد بقصر زيغود يوسف يومي27 و28 مارس1973، حيث انتقد بشدة النصوص المعروضة في الملتقى، والتي في غالبيتها كانت منقولة عن القانون المدني الفرنسي أو من قانون11جويلية1957 الخاص بالولاية أو الوصاية، أو من قانون الآنسة سيد قارة الصادر في 04 أفريل1959، ومرسوم التطبيق الصادر في17سبتمبر1959 الخاص بالزواج والطلاق أو ما سمي بانحلال الزواج وحتى بعض ما في مواد هذا القانون من حسن قد مسخ واستبدل مثل اشتراط القانون الفرنسي في عمل الزوجة أن لزوجها حق الاعتراض وأن رضاه مشروع بينما يقول مشروع اللجنة المكلفة بإعداد القانون عكس ذلك ويعطيها حق العمل دون رضا زوجها فمثل هذا نشوز وخروج عن الطاعة[1]، ويستدل حماني، بعدما فصل في القوانين التي تركها الاستعمار، بأقوال رئيس مجلس الثورة هواري بومدين حيث قال يوم 13مارس1971: "إن التشريعات التي فرضها النظام الاستعماري على بلادنا مدة قرن وربع قرن والتي سلبنا بها مكتسباتنا، قد بقي معظمها جاريا به العمل بمقتضى قانون31ديسمبر1962 وهي الغريبة عن ديارنا، والآن وقد انفكت الأغلال وملكنا زمام أمرنا فعلينا أن نتخلص نهائيا من القوانين الدخيلة علينا"[2] وبناء على ما سبق اقترح حمّاني ما يلي:

1- إعادة النظر جذريا في المشروع المعروض على الملتقى.
2- أن يوضع الأصل باللغة العربية ليعبر تعبيرا جيدا عن نصوص الشريعة الإسلامية ومصطلحات الفقه، دون تحريف يقع من الترجمة.
3- تُشكل لذلك لجنة من المختصين المتضلعين في الفقه الإسلامي والقانون من وزارتي العدل والتعليم الأصلي والشؤون الدينية، مهمتها تحقيق ما سبق ووضع القانون في صيغته النهائية.

1- بشير كاشة الفرحي، المرجع السابق، ص59
2- المرجع نفسه، ص60.

وفعلا أخذت تلك الاقتراحات بجدية وبعد اليومين الدراسيين، جمعت الملاحظات والاقتراحات التي ساهم بها المشاركون في الملتقى المذكور، وأعيدت صياغة القانون على ضوئها وأصبح جاهزا لمصادقة الحكومة عليه سنة1975، وهي السنة التي تمّ خلالها المصادقة على العديد من القوانين ما عدا قانون الأسرة الذي أُجل بسبب معارضين له في دوائر الحكم، الذين أزعجتهم أحكامه المستمدة من الشريعة الإسلامية[1]، والنقاط التي لم تهضمها الأقلية هي: تعدد الزوجات المنصوص عليه شرعا، حضور الولي الذي يعد ركنا من أركان الزواج الإسلامي، الشريعة تمنع التبني، وتمنح الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهادة الرجل تقابلها شهادة امرأتين، ولا تسافر المرأة إلا بمحرم وهذا ما جعل تلك الفئة ترفض الأحكام الإلهية وتعطل قانون الأسرة الذي لم يصدر كقانون واجب التطبيق إلا في 9 رمضان1404هـ الموافق لـ 9جوان1984، ولم يكن ليمر دون ضجة، مما أجبر الرئيس "الشاذلي بن جديد" على إعادته إلى البرلمان لقراءة ثانية، ثم التوقيع النهائي عليه[2]، وخلال سنوات تعطيل القانون كان الشيخ أحمد حماني يقوم بجهود مضنية، رفقة الأوفياء للجزائر العربية المسلمة لشرح أهمية الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان ولكل القوانين ومنها قانون الأسرة، كما رأى أنه من واجبه التصدي لمن يحاول تغيير مسار الدولة الجزائرية أو تغييب الإسلام عن القضايا الهامة مثل قضايا الأسرة، فقدم ملاحظته في الموضوع بصفته رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى، أنتقد فيها بعض القوانين التي تتصادم مع نصوص الشريعة الإسلامية واقترح حلولا وبدائل لتلك القوانين، ووجه ملاحظاته الكتابية واقتراحاته في مراسلتين إلى السيد محمد الشريف مساعدية، عضو اللجنة المركزية وأمين اللجنة الدائمة لحزب جبهة التحرير الوطني: الأولى بتاريخ 27 أفريل1983 والثانية في 2 جوان من نفس السنة[3].

1- المرجع نفسه،ص51.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- أحمد حماني، الفتاوى،ج2، ص.ص559-560.

وتصب الملاحظات والاقتراحات التي قدمها الشيخ حماني على مسودة مشروع قانون الأسرة قبل المصادقة عليه، في ضرورة الرجوع إلى الفقه الإسلامي، وعدم استنساخ قوانين غريبة عن مجتمعنا وفي هذا الصدد يقول : " أولا في آخر الصفحة الأولى وأول الثانية جاء ما نصه: إن القوانين التي تتجاهل الواقع في كل جزئياته تصبح قوانين نظرية في انعزال عن الحياة ولا يختلف الفقه الإسلامي في هذه القاعدة عن المنظومة القانونية الأخرى.

الاقتراح: حذف هذه الفقرة تماما واستبدالها بما نصه: وليس كذلك الفقه الإسلامي، لمرونته ويسره وصلاحه لكل زمان ومكان. لماذا؟ لأنه من غير اللائق أن يوضع الفقه الإسلامي-كما في الفقرة- مثل هذا الوضع المهين مساويا للقوانين الوضعية، متهما معها بمناقضة الواقع المعاش وبالانعزالية، والصواب أن الفقه الإسلامي، مصدره نصوص قرآنية أو سنة نبوية، أو هو مستخرج من قواعد صحيحة سليمة مستمد منها مسند عليها"[1].

ومعارضو قانون الأسرة يركزون دائما على ثلاثة عناصر، يريدون من خلالها إثارة ضجة، ومن ثمة التراجع عن فقه الشريعة الإسلامية، هذه القضايا الثلاث هي: التبني، الطلاق، تعدد الزوجات، وهذه القضايا الخطيرة، إذا ما خرجت عن فقه الشريعة الإسلامية، فمعناه تكسير روابط الأسرة الجزائرية، لذلك تصدى أحمد حماني بكل عنف وفعل ثوري لكل محاولات تغييريه من أجل الحفاظ على سلامة النص الذي صيغ كنص سياسي أولا، ثم رافقه مع أبنائه إلى المجلس الشعبي الوطني من أجل الحفاظ على قانون الأسرة، المبني على أساس الشريعة الإسلامية[2].

وحتى بعد إقرار قانون الأسرة سنة1984، بقيت الفئة المعارضة تعمل في الخفاء محاولة إلغاءه، وأصبحت تجاهر بعدائها لكل ما هو مستمد من الشريعة الإسلامية بعد أحداث أكتوبر1988 وانتظمت في حزب جهوي يدعي أنه قبائلي،

1- المصدر نفسه ،ص563.

2- شهادة بشير خلدون حول الشيخ حماني، في كتاب دار الأمة حول الشيخ حماني، مصدر سابق،.ص205.

ما انفك يطالب بإلغاء قانون الأسرة، بكل الوسائل وأوجد لهذا الغرض أكثر من عشر جمعيات نسوية وهمية، للمطالبة بتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، كما صرّح رئيس ذلك الحزب للصحافة[1] بأنه ضد القوانين المجحفة في حق المرأة والتي تجسدت في قانون الأسرة، وهذا ما أدّى بالشعب الجزائري إلى تنظيم مسيرة احتجاج في العاصمة، ضمت أكثر من مليون شخص حسب تقدير وكالة الأنباء الألمانية، أما الصحافة الفرنسية فقلصت العدد إذ قدرته جريدة لوموند الفرنسية الصادرة يوم1989/12/13 بنصف مليون فقط[2]. والذي قاد تلك المسيرة الشيخ "أحمد سحنون" رفيق حماني في جمعية العلماء المسلمين الذي قال :"قانون الأسرة لا ينسخه إلاّ كفر بالله".

ومما قام به الشيخ أحمد حماني بعد الاستقلال - إلى جانب رفاقه- تفعيل دور وزارة الشؤون الدينية، التي تعد قلعة أخرى من القلاع التي ساهمت بشكل كبير وفعال، في تعزيز مقومات المجتمع الجزائري العربي المسلم، فهذه الوزارة ما لبثت أن أصبحت محل انتقاد وكان الشيخ أحمد حماني من أشد المدافعين عن ما كانت تقوم به، وقد تعرض برنامج الحديث الديني المقدم يوميا خلال شهر رمضان، والذي تشرف عليه الوزارة المذكورة إلى انتقاد حاد، نشر في صحيفتين وطنيتين، أسبوعية ويومية، الأول تحت عنوان"الكلام لفظ مفيد" والثاني بعنوان" التوجيه الديني والتفتح على الواقع"، ومضمون المقالين متشابه مفاده أن الأحاديث الدينية أو بعضها كلام لا معنى له، غثة المعاني والألفاظ مكررة، معادة مجترة قيلت آلاف المرات، ورد الشيخ حماني عليهما بقوله: " نحن لا نتهرب من النقد النزيه البناء المبني على قواعد علمية، وأن النقد الذاتي- حيث يعترف المخطئ بخطئه على رؤوس الملأ- عنوان قوة الأمة ومناعة الأخلاق فيها،... ونحن في الوزارة لا ننكر أن ينتقد أعمالنا أحد ويبين لنا نقصنا في أداء وظيفتنا لنتجنب ذلك ونصححه ....، ولكن إذا أراد شخص أن يحطم ويهدم ويسد بابا من أبواب الخير في وجوه عباد

1- أجرت جريدة الشعب حوارا معه صدر في عدد يوم 19مارس1989.

2- أحمد بن نعمان : فرنسا والأطروحة البربرية، دار الأمة ،ط2، ،ص98.

الله فإننا من حقنا أن لا نقبل الهدم وواجب علينا أن نبين له (أن بني عمك فيهم رماح)"[1].

ثم يشرع الشيخ حماني في الرد على الاتهامات الموجهة للحصص الدينية فعن تكرار المواضيع بتكرار المناسبات، يرى الشيخ بأن ذلك ليس عيبا، وأن المناسبة نفسها هي موضوع الحديث، ولكل مقام مقال، فأي موضوع أولى باهتمام الحديث الديني في رمضان من الحديث عن القرآن وهدايته لأنه أنزل في رمضان، وعن التهجد والقيام وحث المسلمين على التوبة والتسابق إلى الخيرات[2]، كما رد الشيخ حماني بالدليل والحجة على من زعم أن الأحاديث الدينية لا معنى ولا جدوى منها لعدم الاهتداء بها وتطبيق ما جاء فيها، متسائلا: "متى كانت الدعوة- وحتى على ألسنة الأنبياء والمرسلين- عاصمة للناس أجمعين، رادعة لكل المفسدين؟ فعلى الدعاة أن يقوموا بواجبهم الديني، وليس عليهم حمل الناس على إتباع أقوالهم فالهداية من الله "قل إن الهدى هدى الله"[3] وعن اتهام ما جاء في تلك الأحاديث بالمبالغات والخرافات يتأسف حماني لانزلاق المتهمين عن الجوهر والأخلاقيات الحقيقية في التربية الدينية، ولئن قصدوا ما فعله الرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عندما رمى المشركين بقبضة من التراب أصابت أعينهم، فالقرآن نص على ذلك بقوله تعالى: "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" فإذا كان في القرآن مبالغات وخرافات في رأي المنتقدين فإننا نقول فيهم: "آمنا به كل من عند ربنا"، كما أن ما كانت تقوم به وزارة الشؤون الدينية من برمجة الأحاديث الدينية نالت رضا الجماهير التي طالبت بأن تذاع في التلفزة يوميا في غير رمضان، ولكن الوزارة لا ذنب لها في حرمان عموم الشعب من ذلك ولو أفسح لها المجال لاستجابت بسرعة وكفاءة [4].

1- احمد حماني: كلامنا لفظ مفيد كاس تقم، مجلة الأصالة، السنة7، العدد53 ،جانفي1978،ص66.

2- المصدر نفسه ص68.

3- المصدر نفسه، ص70.

4- المصدر نفسه،ص ص 71، 72.

ومن خلال هذا الرد الأخير نتبين أن صراعا كان قائما بين المدافعين عن مقومات الأمة ومكتسبات الثورة، وعلى رأسها الإسلام الذي يبلغ عن طريق وسائل الإعلام ومعارضين لذلك التبليغ ووصل هذا الصراع إلى حد المقايضة أحيانا ونلمس ذلك من خلال ما بينه مولود قاسم نايت بلقاسم بقوله: " لقد أوقفنا سنة 1390هـ/ 1970م استعمال مكبر الصوت في آذان الفجر، وقلنا إننا نود مقابل ذلك أن يوقف بقاء الحانات مفتوحة طوال الليل، وأن توقف مزامير الأعراس، مع أنه لا مجال هناك لأية مقارنة، ولكن لما لم يستجب أحد لذلك، رغم طلبنا المتكرر، وعلى جميع المستويات، أرجعنا استعمال مكبر الصوت في آذان الفجر، وأعلنا ذلك في الصحف، وذكرنا حتى المقارنة العرجاء العوجاء التي لا محل لها من الإعراب والإعجام"[1].

إضافة إلى ذلك فوسائل الإعلام والتلفزة خصوصا كانت هي الأخرى تجرح مشاعر عموم الجزائريين، فمثلا خلال شهر رمضان كانت تعرض بين القرآن وأذان المغرب وقبل الحديث الديني أغاني فيها من الكلام ما هو كاف لتفريق الأسرة الجزائرية المحافظة[2] وكم من مرة نبهت وزارة الشؤون الدينية وعلى جميع المستويات والمسؤوليات، وعلنا وفي الجرائد المجلات، المحاضرات والملتقيات من أجل الحفاظ على مقومات الأمة وعدم استفزاز مشاعر المسلمين كإلصاق الإعلانات الإشهارية وعليها الصور الخليعة أمام مرأى الجميع[3] وقد أدرك حماني ورفاقه مقاصد تلك المؤامرات الداعية لإلغاء الدين ونشر الإباحية بحجة التفتح والثقافة، ووقفوا في وجهها بالبرهان والحجة.

الخـــاتمة: في ختام هذه المداخلة التي كان محورها شخصية مجاهدة وثورية شاركت في التمهيد لاستقلال الجزائر، وانخرطت في ثورتها، كما لم تدخر جهدا في إزالة مخلفات الاستعمار بعد استرجاع السيادة الوطنية، للحفظ على مكتسبات

1- مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية ،ج2،مصدر سابق،ص16.
2- المرجع نفسه،ص101.
3- المرجع نفسه، ص17.

الثورة، إذ أدرك الشيخ أحمد حماني ورفاقه، أنه بالرغم من أننا انتزعنا استقلالنا انتزاعا، فإن الاستعمار القديم الجديد يسهر على بقائه استقلالا ناقصا، لذلك كان حرصهم على استقلال الشخصية الجزائرية الممتدة في التاريخ، والتي غيبها الاحتلال الفرنسي منذ 1830، الذي أعد جيلا لمرحلة ما بعد الاستقلال لتأدية الأدوار نفسها والمهمات ذاتها ولكن بوسائل أخرى، في المقابل واصل الجيل الجزائري الذي تربى وفق التراكمات منذ المقاومات الشعبية ووصولا إلى الثورة التحريرية، واصل نضاله من أجل تحرير العقول وتحقيق الاستقلال الشامل.

لقد عاش الشيخ حماني مرحلة الاستقلال، ونذر نفسه للدفاع عن مقومات الشعب الجزائري بالرغم من مختلف التحولات التي شهدتها البلاد، مستعملا العقل والحكمة، وتمكن بعد الاستقلال مباشرة من التغلغل هو ومجموعة من رجال جمعية العلماء المسلمين في هياكل الدولة الجزائرية لمواصلة تأدية رسالتهم، التي تجسدت في وزارة الشؤون الدينية وإشرافها على ملتقيات الفكر الإسلامي التي أصبحت تعقد سنويا ويحضرها علماء من شتى الملل والنحل وتناقش قضايا لها علاقة بالشخصية الوطنية، وكيفية الحفاظ عليها من المسخ والتشويه .

العلامة الشيخ أحمد حماني
وبعض الجوانب الخفية من حياته

د.التوتي بن تواتي
جامعة الأغواط

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ،

الحمد لله الذي أنزل الأحكام لإمضاء علمِه القديم، وأجزل الإنعام لشاكر فضله العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر الرحيم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالدين القويم، المنعوت بالخلق العظيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أفضل الصلاة والتسليم.

أيها العلماء الأجلاء والأستاذة الأفاضل، والسيدات الصالحات السلام عليكم ورحمة الله، إنّ كلمتي هذه لا ترقى إلى مستوى محاضرة، ولا تصلح أن تكون بحثا علميا أكاديميا، وإنما هي حديث عن بعض الجوانب الخفية من حياة رجل عظيم من عظماء الجزائر، فإن شاقت فذا ما كنت أبغي وكان ذلك من حسن حظي، وإن شقّت فإن العفو من الكرام مأمول وأنتم أهله، وما دمنا نتحدث عن نجم أفل فقد ورد عن ابن مسعودﷺ أنه قال: «موت العالم ثلمة لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار»، كما روي عن أبي الدرداءﷺ أنه سمع من رسول اللهﷺ أنه قال: «موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وهو نجم طمس وموت قبيلة أيسر لي من موت عالم»، رواه الطبراني في الكبير.

وعليه فإننا نجتمع اليوم وقلوبنا خاشعة في ذكر عالم من أعلامنا، وعظيم من عظمائنا، ذلكم الذي اتخذ الفقه المالكي سلاحا، وتسربل العقيدة الصحيحة وشاحا، فكان يجابه من يرى مجابهته واجبا ولا يخشى في الله لومة لائم، فكان همه أن

يسطع نور الحق من فمه ومن قلمه، وتقتشع السحب ويرتفع صوت الحق، وقد اجتمعت في الشيخ حماني صفتان: صفة الرجل وصفة العالم.

وهذا يدعونا أن نعرف اللفظين: أي: لفظ: "الرجل" ولفظ: "العالم"، لنعرف من هو الشيخ أحمد حماني.

I. ما هي حقيقة لفظ "الرجل"، وعليه فإننا لا نريد أن نعرف لفظ "الرجل" تعريفا لغويا أو فلسفيا فهما لا يفيان بالغرض إذ ليس الرجل هو الذكر البالغ من بني آدم كما يعرفه الأقدمون، فالذكور قديما وحديثا بهذا المفهوم كثرة كاثرة، أما الرجال الحقيقيون فهم ندرة غالبة، ولقد يمر جيل أو تمر أجيال بشعوب عدة لا تعرف فيها رجلا، إنما الرجل الحق أيها السادة الفاضل والسيدات الصالحات هو الرجل الذي يعيش بفكره، ويحيا بقلبه، ويشعر بإدراكه، وهو الذي ينشأ لغاية ويعمل لهدف، ويسعى لعظيم، ويتخذ من كلّ قواه سلما تتدرج عليه الأمة مهما أساءت إليه، وذلكم هو الشيخ أحمد حماني، وبهذه الصفات التي ذكرت، وبهذا التعريف نستطيع أن نمر سراعا كما يشاء الوقت لا كما نشاء نحن بحياة هذا الرجل العالم، الذي حمل رسالة الإسلام وبقي ثابتا على المنهج الذي أخذه عن شيخ العلامة ابن باديس، ومقتفيا أثره في فكره وفي فتاواه الفقهية.

II. ما هي حقيقة لفظ "العالم"؟ ومن هو العالم الحقيقي؟

- ✓ إن العالم الحقيقي في نظري يدعو إلى المحبة والمودة والألفة والتسامح والتضامن.
- ✓ إن العالم الحقيقي يدعو إلى إصلاح ذات البين، وإلى رأب الصدع.
- ✓ إن العالم الحقيقي يدعو الأمة إلى نبذ الخلاف، والتعصب المقيت.
- ✓ إن العالم الحقيقي يبني ليسكن الناس، ويشقى ليسعد الناس، ويسهر ليستريح الناس.
- ✓ إن العالم الحقيقي لا يبيع دينه بدنياه، يأخذُ منه المجتمعُ، ولا يأخذ من المجتمعِ شيئا.

- ✓ إن العالم الحقيقي لا يدعو إلى النعرات بين الطوائف، بل يدعو إلى تجاوزها لبناء مجتمع خال من الكراهية.
- ✓ إن العالم الحقيقي في نظري هو الذي فهم فهما صحيحا مقاصد الشريعة ويفاضل بين المصالح، ويقارب بين الآراء المختلفة ليجمع كلمة الأمة فيما اختلفت فيه من فهوم.

فذلكم ما كان عليه الشيخ أحمد حماني-رحمه الله تعالى- وإن المطلع على كلّ ما كتب هذا الرجل العالم يدرك الحقيقة ما ذكرته، فقد كان يدعو إلى نبذ الخلاف المقيت بين المذاهب، ولا يستنكف من الإفتاء بالمذهب المخالف لمذهبه المالكي إن رأى الحقيقة فيه، كرؤية هلال رمضان والاعتماد على الحساب على المذهب الشافعي، وفتوى الشيخ الجيطالي من الإباضبية. راجع مجلة الأصالة...

وبعد هذا التمهيد اسمحوا لي أن أقدم لكم عناصر المداخلة حتى أُمَكِّنَكم من متابعتِها، فأقول: لمّا كان هذا الملتقى شعاره المرجعية الدينية والاستقرار الاجتماعي في فكر وفتاوى الشيخ حماني، فإن مداخلتي **" العلامة الشيخ حماني وبعض الجوانب الخفية من حياته"** .

1. **من هو الشيخ أحمد حماني**: إن الشيخ أحمد حماني قد كتب عنه كثير من الأساتذة الأفاضل فأفادونا بنسبه ومكان مولده، وهذا لم يعد خافيا على أحد، وإنما الذي يهمنا في هذه العجالة مكانة الشيخ حماني العلمية فإن الرجل يعد بحقّ علما من أعلام الأمة الجزائرية، وفقيها مالكيا بشهادة العلماء وبآثاره مع توزعها في المجالات التي يكتب فيه وبالأخص مجلة الأصالة، مما يبوّئه مكانة بين الفقهاء المالكية الكبار، وقد بيّن منهجه في الإفتاء في مقدمة كتابه الموسوم "فتاوى الشيخ حماني: استشارات شرعية ومباحث فقهية"، فمن أراد المزيد في هذا الجانب فعليه الرجوع إلى هذا الكتاب القيم، وأنصحه أن يقرأه بتأن ليدرك مكانة الرجل.

2. **أخلاقه**: أما عن أخلاقه فيكفي أن أشير إلى منقبتين:

أ)- إحجامه عن الفتوى بحضور شيخه: هذا جانب لا يعرفه كثير من الناس، ويجب أن يذكر كمنقبة من مناقب الشيخ، إذ حدث أن زار الشيخ أحمد حماني- رحمه الله تعالى- مدينة الأغواط، وهناك التقى بالشيخ العلامة أبو بكر الحاج عيسى الأغواطي، ولما جلس على المنصة، قدّم نفسه وشكر من استضافه، وبدأ الناس يوجّهون أسئلة فقهية إليه، وكيف لا، وقد حلّ بين ظهرانيهم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وهو أعلى هيئة للإفتاء في الجزائر لكن الناس فوجئوا أن الشيخ امتنع عن الإفتاء، وهنا بدأ التساؤل مثلما أنكم تتساءلون لما امتنع، وقد عرف الشيخ- قدّس الله ثراه- بالجرأة على قول كلمة الحق، أتعلمون أيها السادة الفضلاء، والسيدات الصالحات، لما امتنع عن الإجابة؟ ذلكم لأنّ الشيخ أبا بكر كان شيخه بجامع الزيتونة سنة 1937م، فلما ألَحّ القوم عليه، قال لهم: كيف تطلبون مني الإجابة وشيخي بجانبي؟ فطلب منه الشيخ أبو بكر أن يجيب القوم فقال: يا شيخ يكفيني أن أكون بجانبك فحسب، ولم يجب.

ولما توفي الشيخ أبو بكر الحاج عيسى كتب الشيخ حماني تأبينا يترجم عن إخلاص ووفاء فقال: إن الشيخ أبا بكر بمنزلة الشيخ ابن باديس والإبراهيمي علما، وقد أخذت عنه المحصول في علم الأصول للرازي وكان يحفظه عن ظهر قلب، وذلك سنة 1937م وكنت مبتدئا بالزيتونة، ثم قال: عزائي فيه لأهله وذويه غير أنّني ممن يعزى فيه.

الشيخ حماني يمتنع عن الإفتاء بحضور شيخه...!، تصوروا- رحمكم الله تعالى- موقف بعض الناس اليوم ممن نالوا شهادة من الشهادات، في موقف مثل هذا....بدون تعليق...

ب)- رده على خصومه: قرأت سؤالا وجّه إليه من طرف أحدهم نيابة عن مجموعة من الأساتذة، والسؤال في كتاب الفتاوى للشيخ من أراد الرجوع إليه... أما جواب الشيخ حماني لم يكن إساءة بإساءة وشتما بشتم، وإنما كان تصحيحا للغة السائل، وهو نموذج لكثير من الناس، قال الشيخ مجيبا: فتواي

صحيحة في الحكم الشرعي، أجبت عنه بما علمني الله وأخذته من الكتاب والسنة، فراح يشتمني، ويقول: عيبك الكبير أنك جهول... والأحرى (لك) يا سي حماني أن تطالع ما جد في العالم و(دراسة) الواقع المعيش، وموقفنا نحن العرب عامة والجزائر خاصة من التفوق التكنولوجي (المعلوماتي)، ثم بعد ذلك أفت بما يتماشى والعصر المعيش لا العصور الغابرة يا عجوز. هذه وقاحة وما بعدها وقاحة، وتحامل على عالم كان من الواجب توقيره واحترامه... فردّ الشيخ حماني قائلا: لقد وضعت كل كلمة فيها خطأ في التهجي بين قوسين، ومجمل الكلام شاهد على درجته في العلم والتربية...

أرجو منكم أيها السادة الأفاضل والسيدات الصالحات الرجوع إلى ذلك في الجزء الثاني ص: 462 وما بعدها، لتدركوا مدى الوقاحة لبعض الناس، واللباقة والآداب الإسلامية الرفيعة التي تحلّى بها الشيخ.

3. **مكانته العلمية**: لقد انتصب شيخنا ممثلا لأعلى هيئة إسلامية في الجزائر، مدركا مدى خطورة المسؤولية التي تحملها أمام الله تعالى، ولم تك فتاواه التي يصدرها مجرد فتاوى يستوحيها من كتب الفقه المالكي إنما كانت مرتبطة بكيفية تلك الفتاوى بمنهجها بالفكر العالية التي تميلها وتهدف إليها فقد كان فهمه للقرآن الكريم وهديه صورة صادقة عن الرجل القرآني ولعل محاضرته التي ألقاها بمكة المكرمة "القرآن الكريم وهديه"المنشورة في مجلة الأصالة: وإليك أيها السادة الفضلاء، والسيدات الصالحات نموذجا من هذه المحاضرة: فبعد أن عرض آيات من سورة آل عمران وآيات من الحج وآيات من سورة العنكبوت قال: "فلو أقبل الإنسان على هذه الآيات يتدبرها ويدرسها ويستخرج منها الحقائق والعبر لاهتدى إلى أقوم السبيل في دينه ودنياه، وآمن بخالق الكون وعبده وحده وصدق برسالة النبي واقتدى بهداه، ولكنه إذا عطل هذه الموهبة الإلهية عن عملها، وأبطل آلة التفكير، وأغلق بابها وهي ميزته التي كرم بها، فضل على سائر المخلوقات بها- انحط إلى درجة الأنعام بل كان أضل منها".

وقال: "ومن هدي القرآن إن الحياة في سنن الله الكونية مغالبة وجهاد لا تنال طالبها بالتمني، ولكن بالسعي المتواصل، والاجتهاد في الكد، والعلم والخبرة". واستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم.

ولقد كُتب لي أن لقيته يوما وبالتحديد في ملتقى أقامه معهد أصول الدين بالخروبة وكنت من المدعوين فقلت له: يا شيخ إني أحب أن يخالفك الناس فيما تصدره من فتوى، فقال لي: ولم؟ فقلت له: ما خالفك القوم إلا ازددت عمقا في البحث، وتأصيلا للفتوى، وأتيت بفرائد ما كنا لنصل إليها إلا عن طريق ما يصدر عنك، ونبهتنا إلى كثير من الكنوز في تراثنا الفقهي كنا في غفلة عنها.

وهناك أمر هام حز في نفسه كثيرا وآلمه ويبدو أنّه كان الدافع فيما بعد إلى تأسيس معاهد تكوين الأئمة فقد ذكر في محاضرة له بأسلوب تحس فيه امتعاضَ الشيخ والأسى وذلكم أيها السادة الفضلاء والسيدات الصالحات حين تساءل هل نستورد حتى الأئمة؟!

ودعا المسؤول الأول في البلاد إلى تأسيس معاهد لتكوين الأمة والعلماء تكوينا علميا كافيا بقدر يفي بحاجة الأمة ويعصمها من النقص وفساد التوجيه وحتى لا نصل إلى درجة استيراد الأئمة أو دفن أمواتنا بدون صلاة.

4. **بعض جوانب من مواقفه**: فيكفي أن نتعرض إلى أمرين هامين وهما محلّ تساؤل اليوم:

أ)- **موقفه من قانون الأسرة**: قد يظن كثير من الناس أن الشيخ حماني رحمه الله تعالى- كان يفتي وفق ما يرضي الحكام وأنّه كان على وفاق دائم معهم فهذا غير صحيح بالمرة، إذ في عهد الرئيس بومدين- رحمه الله تعالى- قُدّم للمجلس الإسلامي الأعلى مشروع مقتبس من قانون الأسرة لدولة أجنبية مترجم إلى العربية فرفضه الشيخ حماني، وقال: لن أوقع على قانون مترجم من لغة أجنبية، وغير مستقى من روح الشريعة الإسلامية.

ولما استكملت الدولة الجزائرية مؤسساتها، وتأسست لجنة وضع قانون الأسرة، خاطبها الشيخ حماني قائلا: إن اللجنة الموكل إليها وضع نص لقانون الأسرة يجب أن تكون مقيدة بروح الشريعة، وليس لها أن تخرج عن ذلك إلى النسخ لنصوص القرآن والمسخ لأحكام الفقه والتنكر لماضينا الطويل في الإسلام. مجلّة الأصالة من ص: 11 إلى 17 العدد 13 السنة الثالثة مارس –أفريل 1973، ورفض المصادقة على ذلك القانون لكونه مترجما من لغة أجنبية ومخالفا لنصوص الشريعة الإسلامية، وقدم اقتراحات أرى من المفيد ذكرها هنا:

- ✓ إعادة النظر جذريا في المشروع المعروض علينا.
- ✓ أن يوضع الأصل باللغة العربية ليعبر تعبيرا جيدا عن نصوص الشريعة ومصطلحات الفقه دون تحريف يقع من الترجمة.
- ✓ تشكيل لجنة من المختصين المتضلعين في الفقه الإسلامي والقانون من وزارتي العدل والتعليم الأصلي والشؤون الدنية مهمتها تحقيق ما سبق ووضع القانون في صيغته النهائية. وختم كلمته-رحمه الله تعالى- قائلا: هذا ما رأينا أن من واجبنا الديني والوطني أن نصدع به حتى لا يقال: لقد تمّ العمل بإجماع ولم تقولوا.

وفي سنة 18-04-1983م، الموافق 05-07-1403هـ كتب في هذا السياق مخاطبا محمد الشريف مساعديه-رحمه الله تعالى-قائلا له: إن المجلس الإسلامي الأعلى يرى أن الكلمة في قانون الأسرة من اختصاصه ومن أوكد واجباته بصفته الإسلامية، وبصفته المؤسسة الرسمية ذات الاختصاص التي يرجع إليها في الاستشارة والفتوى، ولا يتم واجبه في النصح لإمام المسلمين والمسلمين إلاّ بها.

وعليه فإن الملاحظة الأولى أن المقدمة كتبت بلهجة عنيفة، وفي بعض ما جاء فيها مساس بماضينا و بشريعتنا، و بفقهنا وفقهائنا، وقد مست حتى بعض النصوص القرآنية، وأشياء فعلها رسول الله ﷺ وانتهينا منها الآن والحمد لله، فلماذا

ننبش ماضينا بكيفية تزهد أجيالنا، ومن المفروض أن نربي فيهم العزة والكرامة والنخوة.

وفي الملاحظات الأخرى على صلب الموضوع والأبواب الثلاثة، وقد ذكرنا بالتفصيل ملاحظات أساسية لا بد من اعتبارها... وذكر الشيخ ملاحظات كثيرة يرجى الرجوع إليها للتحقق من ذلك.

ب)- موقف حماني من التعامل الربوي: صندوق التوفير، الرهان الرياضي، سئل الشيخ عن صندوق التوفير، فقال: مؤسسة ربوية، ووجه إليه سؤال مفاده: "يمنح الصندوق الوطني للادخار والاحتياط للذين وفروا فيه قروضا من أجل البناء، وهناك فوائد رمزية يأخذها الصندوق من أجل هذا القرض من جهة، وتمنح فوائد للمدخرين من جهة ثانية، ما رأي الشريعة الإسلامية في هذه الفوائد من الناحيتين (الأخذ والعطاء)؟ "

أجاب- رحمه الله تعالى- : الفائدة على القرض ربا؛ لأن القرض لا يكون إلاّ لله، ولا يجوز أن يجر نفعا، فمن أقرض غيره وقبض فائدة فهو آكل للربا، ومن اقترض من غيره ودفع له فائدة فهو مؤكل للربا وكلاهما أعني آكل الربا وموكله ملعون من الله ورسوله ففي الصحيح وغيره عن عبد الله بن مسعود قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله » زاد غير مسلم «وشهديه وكاتبه».

وسئل عن الرهان الرياضي فأفتى بحرمته، وقد سمعته بأذني يقول: إن كثيرا من فتاواي التي لا ترضي البعض يعتم عنها، ولا يريدون لها الصدور.

ج)- موقفه من التبني: لقد اتهم الشيخ أحمد حماني بأنه أفتى بجواز التبني وهذا غير صحيح وهذه فتاواه بين أيدينا تدلّ على أنّ الرجل كان أمينا فيما يصدر عنه من فتوى، ملتزما روح الشريعة الإسلامية، بانيا فتواه على أصول مذهب مالك، لم يخرج عنه إلا عند الضرورة.

ولم يقتصر عمله-رحمه الله تعالى- على الإفتاء فحسب بل ما من شأن من شؤون له علاقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية إلاّ وله توجيه: ومما نشر له توجيهاته لطلاب الجامعة، ودعوتهم إلى الالتزام بفضائل الأخلاق، والتسلح

بسلاح العلم ولم يكن يهمّه انصاعوا لتوجيهه أم لم ينصاعوا؟ فهذا لا يهم بالنسبة له، وإنما يكفيه أنّه رحل من الدنيا مؤديا الأمانة على أكمل وجه، ولم يبخل بالتوجيه الرشيد لأبناء أمته، وها نحن بحمد الله تعالى نذكره بخير، ونحيي ذكراه معتزين بمواقفه الجليلة.

وأخيرا إن كثيرا من الناس كان يعتقد أنّ الشيخ حماني هو موظف للدولة، أو ما يطلقون عليهم بلهجة السائر علماء القصر، والمصالح الخاصة لا والذي بعث محمدا ﷺ بالحق لم يكن الشيخ أحمد حماني- قدس الله سره- كذلك بل كان يصدع بالحق وهاكم طرفا من يحق الحق ويبطل تقول المتقولين قال-رحمه الله تعالى- موجها خطابه لإطارات الدولة المدنية والعسكرية: " أنتم يا أبناء جبهة التحرير ومناضليها، ويا قادة الجيش وجنوده الذين وضعتهم الميثاق والدستور وألزمتم رئيس الدولة بالقسم على حفظ ما يهم، فألزموا ذلك واحترموا الإسلام ومجدوه وكونوا حماته، إن المجلس الأعلى يرى من القيام بواجبه والوفاء لمهمته أن يتقدم إليكم بمقترحات ومطالب:

- ✓ إدخال التعليم الإسلامي في جميع مراحل التعليم، وتعيين أقسام خصيصا في الثانويات.
- ✓ المبادرة بفتح لجامعة الإسلامية.
- ✓ العناية بحفاظ القرآن الصغار وحلّ مشاكلهم بما يسمح لهم بمتابعة دروسهم.
- ✓ العناية بتحفيظ القرآن والإذن لجمعيات شعبية بمباشرة هذا النشاط.
- ✓ تحريم رواج أو عرض كلّ ما يهاجم الإسلام وتعظيم شعائر الله وحمايتها في كلّ أنحاء الوطن من المسؤولين في الدولة، ومعاقبة من يستهين بها، فإن المسؤولين هم نواب رئيس الدولة الذي أقسم على احترام الإسلام وتمجيده.

وأذكر أني لما دللت على مواقفه وفتواه الفقهية بعض من كان له موقف اتجاهه استغفر الله تعالى ودعاه أن يسامحه الشيخ في قبره إذ كان يظن به الظنون، لذلك أدعوكم أيها السادة الأفاضل وأيتها السيدات الصالحات بالرجوع إلى ما كتبه

هذا الرجل العظيم وقراءتها قراءة علمية فاحصة بدون خلفيات وأحكام مسبقة فسوف تجدون أن الرجل كان فقيها كبيرا متضلعا في فقه مالك إمام دار الهجرة بانيا فتواه على أصول مذهبه.

وختاما أدعو في هذه العجالة ومن هذا المنبر القائمين على نشر التراث الوطني في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل الدكتور بومدين بوزيد مدير الثقافة بالوزارة على تكوين لجنة لجمع مقالات الشيخ المنشورة في مجلتي القبس والأصالة الصادرتين عن الوزارة تخليدا لهذا الرجل العظيم ووفاء بحقه، كما أدعو إلى إعادة طبع كتابه فتاوى الشيخ حماني طباعة جيدة، وإقامة ندوات للتعريف بهذا الكتاب القيم.

أستسمحكم عن كلّ تقصير، كما أدعو الله تعالى أن يجازي الشيخ أحمد حماني خير الجزاء، إذ تسبب في جمعنا هنا لنذكر مناقبه، مترحمين عليه، معتذرين له عن تقصيرنا في حقه، مستغفرين الله تعالى في تحاملنا عليه، راجين من الله تعالى أن يتغمد روحه الطيبة الطاهرة في أعلى عليين لما قدمه من خدمة لهذا الدين، ومجابهة لمن كان يضمر حقدا دفينا للإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

مساهمات الشيخ أحمد حماني في وسائل الإعلام الجزائرية
" دراسة وتحليل "

أحمد شاطرباش(*)
جامعة الجزائر3.

مقدمة :

يعتبر المرسل أو رجل الإعلام الوسيط المبدع الذي يقدم معلومات وأفكارا وآراء للجمهور في أشكال فنية متعددة ومتنوعة، بحيث توضع هذه الأفكار والمعلومات في قالب رمزي هو "اللغة".

وحتى يحدث هناك تجاوب من قبل الجمهور حول هذه المعلومات، خاصة في الإعلام الديني باعتباره إعلاما متخصصا في الجانب الديني له جمهوره الواسع، يجب على المرسل وضع هذه الأفكار في شكل رموز يفهمها المتلقي، باعتبار اللغة "جهازا من الحروف والكلمات والصيغ والعلاقات النحوية في مجتمع ما، يتعامل معها الفرد ويكتسبها فيدخل بذلك في علاقة اجتماعية. أما الكلام فهو التنفيذ الفردي والاستعمال الشخصي لهذا الجهاز، وبذلك تكون اللغة حقيقة اجتماعية، بينما يكون الكلام عملاً فردياً يشمل ما ينطقه أو يكتبه الفرد"، وبالتالي يتطلب الكلام توافر عناصر هي: المتكلم، الموضوع، الكلام، والوسيلة.

ويعد القائم بالاتصال في وسائل الإعلام أهم عنصر في الكلام، لذا يجب عليه الإلمام باللغة وأصواتها ووظيفتها والمعنى الدلالي لها، وكيفية استعمالها استعمالا صحيحا وفعّالاً.

(*)- تم إعداد وعرض هذه المداخلة بالاشتراك مع الطالبة زينب ياقوت، وهي متحصلة على شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، وأستاذة مؤقتة بجامعة المدية.

والشيخ أحمد حماني ـ رحمه الله ـ لم يكن مناضلا سياسيا، وعالم دين (مفتي وواعظ ومرشد)، ومصلحا اجتماعيا فحسب، بل كان كذلك رجل إعلام، وقائدا للرأي في مجال الإعلام الديني من خلال ما قدّمه عبر وسائل الاتصال الجماهيري (صحف، إذاعة، تلفزيون)، وكذا من خلال ما ساهم به في مشاركاته الواسعة في الندوات والملتقيات سواء داخل الوطن أم خارجه. وهو ما يضفي عليه بحق شخصية قائد الفكر والدين والإعلام معا.

حضرت فكرة العمل البحثي في هذا الموضوع على إثر مناقشة ودية جرت مع بعض الإخوة الأفاضل بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، أين برزت الحاجة والقيمة العلمية لتغطية شخصية المفتي أحمد حماني من المنظور الإعلامي البحت، وهو الجانب الذي وجد أنه غائب نوعا ما، وذلك لأن من جملة المهتمين بالبحث، وجد غياب المختصين في علوم الإعلام والاتصال وحتى في العلوم السياسية، لاسيما وأن هناك جانبا على قدر كبير من الأهمية في حياته وهو الذي يتعلق بمفهومه للسياسة واهتمامه بالقضايا السياسية ونظرته لرجل السياسة، واجتهاداته في إطار عملية الإعداد للحياة السياسية وما يتعلق بها من مسائل الهوية والانتماء والوطنية والتنشئة السياسية ...، وما إلى ذلك من الجزئيات التي نجد لها آثارا في فتاواه على وجه الخصوص.

موضوع هذا البحث هو محاولة لتوجيه النظر إزاء حياة الشيخ أحمد حماني لاسيما من خلال منهجه في الفتوى لإبراز معالم شخصيته الإعلامية، ولذلك اختير لهذه المداخلة عنوان : **الشيخ أحمد حماني رجل فتوى وإعلام**، كمحاولة لجمع وتحليل عينة من مساهماته بوسائل الإعلام الجزائرية.

ولذلك يسعى هذا الموضوع إلى:

- ✓ إبراز مكانة وأهمية الإعلام الديني في المجتمع، وهي مكانة يلعب فيها المرسل الدور الحاسم.
- ✓ إبراز مساهمات الشيخ أحمد حماني في وسائل الإعلام الجزائرية (صحافة مكتوبة، إذاعة، وتلفزيون).

- ✓ إبراز الشخصية الإعلامية للشيخ أحمد حماني.

ولتحقيق أهداف البحث، تم تحديد العناصر التالية:

تحديد الإطار النظري ويتناول ثلاثة عناصر: الأول يتعلق **بوسائل الإعلام في الجزائر**، نبذة تاريخية عن الصحافة المكتوبة، والإذاعة، والتلفزيون، والعنصر الثاني يتناول **تعريفا وجيزا للإعلام الديني وأبرز خصائصه ووظائفه**، والعنصر الثالث يعالج موضوع **القائم بالاتصال في الإعلام الديني**.أما العنصر الرابع والأخير فيعالج أساسا **مساهمات الشيخ أحمد حماني في وسائل الإعلام الجزائرية وخصائص اللغة الإعلامية في فتاواه.**

I. نبذة تاريخية عن وسائل الإعلام الجزائرية.

يعود ظهور الصحافة الجزائرية إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، بظهور جريدة الممرّن الجزائري عام 1834م التي كانت تُكتب باللغة الفرنسية، وأحياناً تُدرج بعض الترجمات الدارجة فيها.

وبعد 17 سنة من الاحتلال اضطر المستعمر إلى إصدار جريدة باللغة العربية سمّاها "المبشر"، تتولى عملية التبشير في عديد من المدن الجزائرية، حيث صُنفت ثالث جريدة باللغة العربية في الوطن العربي بعد جريدة "جورنال العراق" التي أنشأها الوالي داوود باشا الكرجي باللغتين العربية والتركية عام 1816م. وصحيفة "الوقائع المصرية" التي أنشأها محمد علي باشا في: 03 ديسمبر1928م باللغتين العربية والتركية كذلك.[1]

تصدر المبشر في الجزائر من طرف أقلام فرنسية بلغة تختلف عن لغة الصفحات المترجمة في جريدة الممرن، وبأسلوب ركيك إلى درجة كبيرة، وتَصادَف ظهورها مع وضع الأمير عبد القادر سلاحه في شهر ديسمبر 1847م[2]. وقد أصدرها لويس فيليب تحت شعار "وارد الأخبار من جميع الأقطار" في أربع

(1)- نجيب أبوالليل، الصحافة الفرنسية في مصر. القاهرة: (د. ن)، 1983، ص131.

(2)- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء4. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص45.

صفحات ذات ترجمة ركيكة تقريباً للنص الفرنسي[1]. حيث أنها لم تصدر محبةً للغة العربية أو تقديراً لها، ولكن لكونها اللغة الوحيدة التي كان يفهمها الشعب الجزائري في تلك الفترة[2]. وفي سنة 1899م ظهرت صحيفة "النصيح" الأسبوعية، واختفت بعد عام من ظهورها بعد نشرها 62 عددا، وهي جريدة كانت تصدر يوم الجمعة باللغة العربية تحت شعار "احترام الدين اتحاد الجنسين". وقد أصدرها مستعرب فرنسي من أصل يهودي اسمه "أدوار غزان"، ومن مؤلفاته "قاموس فرنسي-عربي" بالعامية[3]. وقد تميز تعبيرها بأسلوب عامي ركيك لعدم خضوعه لأي من قواعد اللغة العربية[4]، هذا ما جعلها تفشل في الاستمرار لاستعمالها الدارجة التي لا يفهمها عامة الناس، خاصة وإن العامية الدارجة كثيرة الأنواع تختلف من قطر لآخر ومن مدينة لأخرى، حتى إنها تختلف من حارة إلى حارة، ومن جماعة إلى جماعة في المدينة الواحدة[5].

وبعد أشهرٍ من تطبيق قانون 29 جويلية 1881م المنظم لحرية الصحافة في فرنسا على الأقاليم المحتلة ظهرت أسبوعية المنتخب (El Mountakhab) بمبادرة من الأعيان المسلمين بقسنطينة باللغتين العربية والفرنسية في 25 أفريل 1882م، إلاّ أنها تعرضت لمضايقات عديدة أدت إلى توقيفها في جانفي 1883م[6]. وفي السنوات الأخيرة عرفت الصحافة المكتوبة في الجزائر تطوراً ملحوظاً، وهذا ما يبيّنه الجدول الموالي:

---

(1)- مروة أديب، تاريخ الصحافة العربية. بيروت:(د. ن)، 1962، ص395.

(2)- محمد صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية (1847- 1654). الجزائر: دار ألفا، 2006، ص11.

(3)- مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر.(تحقيق:أحمد حمدي). الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا، 2003، ص35.

(4)- سيف الإسلام، مرجع سابق، ص69.

(5)- ساطع الحصري، "قضية الفصحى العامة"، مجلة اللسان العربي، المجلد13. الرباط: مكتب تنسيق التعريب ، 1976، ص31.

(6)- صالح خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر(1830-1962). الجزائر: دار القصبة للنشر، 2009، ص291.

جدول رقم(01) يوضح عدد العناوين الصحفية بالجزائر وهذا إلى غاية 15 فيفري 2010م.

العدد والنسبة / دورة الصدور	العدد	النسبة
الصحف اليومية	80	40,82%
الصحف الأسبوعية	59	30,10%
الصحف النصف شهرية	07	03,57%
الصحف الشهرية	50	25,51%
المجموع	196	%100

المصدر: وثائق وزارة الإعلام والاتصال.

وعرفت الجزائر الإذاعة سنة 1929م، أما نشأة الإذاعة المحلية وتطورها فيرتبط تاريخها بوجود الإذاعة الجزائرية ككل. حيث يبدأ التأريخ للإذاعة الجزائرية بميلاد الإذاعة السرية بالجزائر المعروفة تحت تسمية "صوت الجزائر المكافحة أثناء ثورة التحرير المباركة (1954- 1962م) وبالضبط إلى تاريخ 16ديسمبر 1956م"[1]. وقد تم بث أول إرسال إذاعي من الجزائر المستقلة بتاريخ 28 أكتوبر 1962م، وفي تاريخ 23 جانفي 1963م تم توقيع اتفاقية بين الحكومة الجزائرية والحكومة الفرنسية تنص على تبادل البرامج بين الحكومتين.

وبناءً على المرسوم الوزاري المؤرخ في 01 جويلية 1986م، تم تقسيم مؤسسة الإذاعة والتلفزيون إلى أربعة مؤسسات رئيسية هي:

(1)- عبد القادر نور، شاهد على ميلاد صوت الجزائر، ط1. الجزائر:منشورات الإذاعة الجزائرية، 2006، ص33.

- المؤسسة الوطنية للتلفزيون
- المؤسسة الوطنية للإذاعة
- المؤسسة الوطنية للبث الإذاعي والتلفزيوني
- المؤسسة الوطنية للإنتاج السمعي البصري

ويبلغ عدد القنوات الإذاعية الوطنية إلى غاية 15 فيفري 2010م (49 قناة وطنية)، منها 32 إذاعة منطوقة باللغة العربية، حيث تمتلك الإذاعة الوطنية ثلاث قنوات ذات طابع وطني، وقناة دولية بالإضافة إلى شبكة من المحطات الجوارية، يبلغ عددها 45 إذاعة محلية واثنتان موضوعيتان. وتتمثل القنوات الوطنية في:

- **القناة الأولى** منطوقة باللغة العربية، تبث عن طريق الموجات المتوسطة وعن طريق القمر الصناعي.
- **القناة الثانية** منطوقة بالأمازيغية، تبث كذلك عن طريق الموجات المتوسطة والقمر الصناعي.
- **القناة الثالثة** منطوقة باللغة الفرنسية، تبث أيضاً بالموجات المتوسطة وعن طريق القمر الصناعي.

في حين تبث القناة الدولية برامجها بعدة لغات، هي: العربية، الفرنسية، الإسبانية، والإنجليزية عن طريق الموجات المتوسطة والقمر الصناعي. أماَّ القنوات الجوارية والبالغ عددها 45 محطة جهوية فتقع مقراتها بعواصم الولايات، منها 15 محطة تبث بمختلف اللهجات: الأمازيغية واثنتان موضوعيتان (إذاعة القرآن الكريم، والإذاعة الثقافية)، بالإضافة إلى ثلاث محطات في طور الإنجاز لسنة 2010م من أجل تكملة خريطة الإذاعات المحلية لكل ولاية إذاعة، ومجموع هذه المحطات تبث عن طريق الترددات المتوسطة.

أما التلفزيون فلم يعرف في الجزائر إلاَّ في ديسمبر عام 1956م خلال الفترة الاستعمارية عندما تم إنشاء مصلحة بث محدودة الإرسال، كانت تعمل ضمن المقاييس الفرنسية، ويعد استحداثها اهتماماً بالجالية الفرنسية المتواجدة بالجزائر

آنذاك، كما اقتصر بثها على المدن الكبرى للجزائر أين أنشئت محطات إرسال ضعيفة تقدر بـ 819 خطا على المدى القصير موزعة على ثلاثة مراكز: في قسنطينة، والجزائر العاصمة ، ووهران.

وكانت البرامج التي تبث في تلك الفترة ترتكز على قاعدة تقنية بدائية، وجزء كبير منها يُجلب من فرنسا وهي تركز على إيجابيات المستعمر مبرزة مشاهده الثقافية وفي الوقت ذاته تعمل على إبراز علاقات الهيمنة على المجتمع الجزائري مشوّهة في أغلب الأحيان نضاله السياسي ورصيده الحضاري.

وحتى تطبق فرنسا هذه السياسة جهّزت العاصمة بمركز إرسال لكنه ضعيفا ثم امتد الإرسال إلى قسنطينة ووهران سنة 1940م. إلى أن وضع جهاز أقوى بالعاصمة عام 1942م وعليه امتدت السياسة التوسعية هذه إلى قسنطينة ووهران، كما أقيم فيما بعد جهاز إرسال قوته 200 واط بعنابة.

ومن جهته كان الشعب الجزائري متفطنا للمؤامرة الفرنسية التي حيكت ضده من أجل طمس هويته عبر البرامج المُبثوثة، حيث لم تلبث الدولة الجزائرية غداة الاستقلال أن اتخذت التدابير اللازمة من أجل استرجاع مبنى الإذاعة والتلفزيون، لما يمتلكه هذا القطاع الحساس من أهمية في نقل السيادة الجديدة للدولة الجزائرية، وفي ترسيخ القيم الثقافية الخاصة بالشعب الجزائري بعيدا عن المسخ الذي استعمله المستعمر طويلاً، وفي 28 أكتوبر1962م قامت الدولة الجزائرية حديثة النشأة ببسط سيادتها على مبنى التليفزيون.

وأمام هذا التوجه الذي يتعلق بأداة من أدوات السيادة الوطنية، قام إطارات وتقنيون وعمال جزائريون في 28 أكتوبر 1962م برفع التحدي والتغلب على صعوبات التكوين مشكلين يدا واحدة، تحدوهم الروح الوطنية فالتزموا بتحقيق السير الحسن لأجهزة الإذاعة والتلفزيون من أجل استمرار الإرسال أمام اعتقادات الإطارات والتقنيين الفرنسيين أن ذهابهم سيتسبب في عرقلة الإرسال لمدة طويلة.

تجدر الإشارة إلى أن التلفزيون الجزائري عرف ظروفا صعبة خلال تلك الفترة لكون الأمر يتعلق بقطاع حساس أصبحت تتوقف عليه الأمور في بناء أنظمة وإسقاط أخرى. فبعد أن كانت بنود اتفاقية إيفيان تقضي ببقاء مؤسسة التلفزيون تحت السيطرة الاستعمارية بعد الاستقلال، ظلت تحمل اسم مؤسسة الإذاعة والتلفزة الفرنسية، إلى أن صدر المرسوم المؤرخ في الفاتح من أكتوبر1962م تحت رقم 67-234 وبموجبه تحولت المؤسسة إلى مؤسسة البث الإذاعي والتلفزيوني ثم إلى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون إلى غاية صدور المرسوم رقم 86-147 المؤرخ بـ 01 جويلية 1986م، والذي بموجبه أُنشئت المؤسسة العمومية للتلفزيون.

ويمتلك التلفزيون الجزائري اليوم خمس قنوات من بينها واحدة هرتزية وأربعة تبث عن طريق القمر الصناعي، منها ثلاث قنوات منطوقة باللغة العربية، وهذا طبقاً للمرسوم رقم 91-100 المؤرخ في 20 أفريل 1991م، الذي يحول المؤسسة الوطنية للتلفزيون إلى مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري، وهي تشتمل على:

1. القناة الوطنية الأرضية المنبثقة عن توحيد البرامج الجهوية عام 1970م، تبث بالعربية.
2. قناة الجزائر (وكانت تسمى عند انطلاقتها ألجريانتيفي، لتصبح سنة 1998م كنال دالجيري)، شرعت في الخدمة منذ سنة 1994م وفق برنامج تم إعداده خصيصاً لفائدة الجزائريين المقيمين بأوروبا، وتقدم خدماتها بلغات أجنبية أبرزها الفرنسية.
3. القناة الجزائرية الثالثة الموجهة للجالية الجزائرية المقيمة بالشرق الأوسط، شرعت في البث سنة 2001م باللغة العربية، ونادرا ما تستعمل الإنجليزية.
4. القناة الرابعة بالأمازيغية والتي شرعت في البث سنة 2009م .
5. قناة القرآن الكريم، والتي بدأت البث سنة 2009م باللغة العربية، وهي مخصصة لبث شبكة برامجية ذات طابع ديني. كما توجد قنوات أخرى

موضوعاتية قيد الدراسة والتحضير، وانطلق بعضها في البث منها قناة الشروق، قناة النهار، وقناة الجزائر الإخبارية.

II. الإعلام الديني ومواصفات القائم بالاتصال.

الإعلام الديني هو أحد فروع الإعلام المتخصص في مجال معين في مرحلة معينة من تطور معطيات هذا المجال وتحولها إلى حياة كاملة غنية ومتنوعة ومتجددة، تتحول التراكمات الكمية إلى تبدل نوعي، يشق طريقه ويكتسب ملامحه عبر عملية بطيئة ومتدرجة ومتصاعدة.

أما ظهوره فكان نتيجة تطور الحياة الدينية في المجتمع وتعقدها بفعل قوة حضور الدور الذي يقوم به الدين في حياة الفرد والجماعة، وتعدد الجهات الناظمة لهذا الدور والمحددة له، وتنوع المؤسسات المعنية بالقيام بهذا الدور، وامتداده ليطال مجالات الحياة كافة المادية منها والروحية.

لذا استدعى غنى الحياة الدينية وتميزها وجود إعلام ديني متخصص، ويمكن تحديد أبرز سماته على النحو التالي:

1. مجال الإعلام الديني: إن الحياة الدينية بكل جوانبها وتضاريسها ومعطياتها هي ساحة الإعلام الديني ومجاله.
2. الموضوع الديني: يتميز الموضوع الديني بقدر كبير من الحساسية بسبب ارتباطه بالمقدس.
3. الخطاب الديني: يمتلك الخطاب الديني قوة ذاتية معطاة مصدرها قوة النصوص والرموز الدينية.
4. جمهور الإعلام الديني: إنه جمهور محدد ومعروف ومؤيد ومهيأ لاستقبال الخطاب الديني بدون مقاومة، وبدون موقف نقدي وبأقل قدر من تأثير العوامل الوسيطة، بل إن جميع العوامل الوسيطة في ذهن المتلقي ووجدانه تعمل في الغالب لصالح هذا الخطاب.

5. القائم بالاتصال الديني: يقف القائم بالاتصال الديني على أرضية ثابتة. ويشكل رجال الدين ورموزه غالبية القائمين بالاتصال في المجال الديني.
6. مرجعية الإعلام الديني: يمتلك الإعلام الديني مرجعية ثابتة ومحددة ومعروفة ومتكاملة ومعترفا سلفا بصدقيتها وربما عصمتها، النصوص الثابتة والمقدسة غير الخاضعة للنقد والمساءلة، وربما القراءات والتفاسير المتبناة لهذه النصوص.
7. أشكال الاتصال الديني ووسائله: فرض تطور الحياة الدينية وغناها وجود منظومة إعلامية دينية فرعية متكاملة (صحافة، إذاعة، تلفزيون، وكالة أنباء)، كما فرض استخدام أشكال الاتصال المختلفة (الشعبي، والشخصي، والجمعي، والجماهيري).
8. الحدث الديني: يتميز الحدث الديني بجديته، وهدوئه، وجاذبيته الخاصة، الأمر الذي يجعل الجمهور يندفع طوعا للتعرض وربما المشاركة[1]

وبغض النظر عن طبيعة كل وسيلة من وسائل الإعلام وخصوصيتها، وحاجتها إلى لغة خاصة تتلاءم معها، إلاّ أنّ هناك عدة خصائص عامة يجب توافرها في اللغة الإعلامية، أهمها:

- الوضوح: تعتبر هذه السمة من أبرز سمات لغة الإعلام وأكثرها بروزاً، ويرجع ذلك إلى طبيعة وسائل الإعلام من ناحية، وإلى خصائص جمهورها من ناحية أخرى، فإذا كانت الكلمات غير واضحة في الإذاعة، فإن المستمع يفقد المضمون المقدم له، ولا يستطيع استرجاعه للتأكد منه، أو للاستفهام عما غمض منه، وجمهور وسائل الإعلام هم فئات متنوعة، يميلون إلى السرعة في تعرضهم لهذه الوسائل، وليس لديهم الرغبة والوقت للتركيز في المضمون المقدم من ناحية أخرى، لذا يجب أن تكون الكلمات والجمل والمعاني واضحة كل الوضوح حتى تحقق أهدافها.

(1)- أديب خضور،((البرامج الدينية في البرمجة الرمضانية العربية...))،مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد1، 2003،ص ص62-63.

- المعاصرة: ويقصد بها أن تكون الكلمات والجمل، والتراكيب والتعابير اللغوية متماشية مع روح العصر، فالجمل الطويلة والكلمات المعجمية والجمل المركبة قد لا تكون مناسبة للّغة الإعلامية إلاّ في موضوعات معينة وفي حالات محددة.

- الملاءمة: ويقصد بها أن تكون اللغة متناسبة مع الوسيلة من ناحية، ومع الجمهور المستهدف من ناحية أخرى، فلغة الراديو هي لغة ذات طابع وصفي، وهي لغة تتوجه إلى حاسة السمع، لذا يجب أن تكون مفردات هذه اللغة ملائمة لهذه الحاسة، ولغة الصحافة تستهدف فئات اجتماعية وتعليمية واقتصادية معينة، لذا يجب أن تكون ملائمة لذلك وهكذا[1].

- الجاذبية: ويقصد أن تكون الكلمة قادرة على الحكي، والشرح والوصف بطريقة حية ومسلية ومشوقة، فلا وجود لجمهور يحب الاستماع، أو المشاهدة، أو القراءة لمضمونٍ خالٍ من عوامل الجاذبية والتشويق.

- الاختصار: وتنبع هذه الخاصية من طبيعة الوسيلة المحدودة من ناحية، وطبيعة الجمهور غير القادر على الاستمرار في المتابعة طويلاً من ناحية أخرى، فمهما كان حجم الصحيفة كبيراً فإنها محدودة في صفحاتها، ومهما كان وقت البرنامج كبيراً فالموضوعات أكبر منه، لذا يجب الاختصار،ولابد أن تكون اللغة قادرة على الاختصار والإيجاز.

- المرونة: ويقصد بها أن تكون اللغة قادرة على التعبير عن مختلف الموضوعات بسلاسة ودون تعسف، أي أن تكون متعددة المستويات، بحيث تستطيع مخاطبة أكثر من جمهور، ومعالجة أكثر من موضوع وقضية.
ويقصد بهذا أن يكون عدد المفردات كبيراً، بحيث يلبي الاحتياجات المختلفة، واللغة الإعلامية متسعة وتتسع بشكل يومي، وقد يكون للاتصال مع الثقافات

(1)- سامي شريف، أيمن منصور الندا، اللغة الإعلامية: المفاهيم، الأسس، والتطبيقات. القاهرة: مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 2004، ص38.

الخارجية، والترجمة اليومية لكثير من المصطلحات أثره في زيادة حجم اللغة الإعلامية وفي اتساعها.

- القابلية للتطور: هي سمة ملازمة للغة الإعلامية، فلغة الإذاعة في الثلاثينيات غير مثيلتها في الخمسينيات والستينيات، وهذه بدورها تختلف عن مثيلاتها في السبعينيات وحتى التسعينيات[2].

وهذا لكون اللغة أهم أسباب نجاح الإعلام، وهي لغة كل المجتمع، موجهة لمختلف شرائحه، ومن أهداف الإعلام هو التوجه إلى الجمهور الواسع، وكل الطبقات والمستويات، باعتباره تعبيراً موضوعياً لعقلية الجماهير، وسلوكها وميولها واتجاهاتها. ويرى عبد الغني أبو العزم:" أن ما يميز لغة الصحافة في عصرنا أنها أقرب إلى لغة التخاطب"[1]. وبعبارة أخرى إن اللغة المستعملة في وسائل الإعلام حالياً تتناسب مع اللغة المتداولة في شتى مناحيها.

ويرى الدكتور عبد العزيز شرف أن اللغة الإعلامية:"تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها، وتحاول كذلك أن تحرص على خصائص أخرى من بساطة وإيجاز ووضوح، ونفاذ مباشر وتأكيد وأصالة وجلاء واختصار"[2].

ذلك أن كل كلمة في اللغة الإعلامية يجب أن تكون مفهومة من قبل الجمهور المستقبل، كما يجب أن تُعرض بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة أو الاستماع.

ومن سمات اللغة الإعلامية في الإذاعة والتلفزيون أو الصحيفة هي: يجب أن يُكيِّف الصحافي الأخبار وفقاً للقالب الصحفي أو الإذاعي المطلوب، مع الحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها في النحو والصرف والبلاغة.

---

(2)- نفس المرجع الآنف الذكر، ص39.

(1)- عبد الغني أبو العزم، لغة الصحافة: سلامة اللغة في عربية الصحافة. الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، 1998، ص3.

(2)- عبد العزيز شرف ، اللغة الإعلامية، ط1. بيروت: دار الجيل، 1991، ص134.

ومن خصائص اللغة الإعلامية الاقتراب من لغة الحديث الواقعي دون إسفاف أو هبوطٍ إلى العامية، واستخدام اللغة العملية التي تعبر عن الحياة والحركة والعمل والإنجاز[3].

ويسعى الإعلام الديني لتحقيق جملة من الوظائف وهي كما يلي:

1- تكوين النسق المعرفي الديني عن طريق نشر المعلومات والحقائق المتعلقة بالجوانب الدينية المختلفة.
2- تكوين النسق الفكري الديني عن طريق تحليل وتفسير القضايا والمسائل الدينية المختلفة.
3- تكوين النسق القيمي الديني عن طريق تأكيد وترويج وترسيخ المثل والقيم الأخلاقية الدينية.
4- ربط الدين بقضايا العصر عن طريق تقديم الرؤية الدينية لقضايا العصر وللمشكلات التي تواجه الإنسان المعاصر.

ويهدف الإعلام الديني من خلال إنجازه هذه الوظائف بشكل منسجم ومتكامل إلى الحفاظ على قوة حضور الدين في حياة الفرد والمجتمع، وإلى ضمان استمرار تطوير الموضوعات وأساليب المعالجة بشكل مواز للتطور الحاصل في المجتمع. والهدف الرئيسي من ذلك كله الإسهام في تكوين مواطن يعرف أمور دينه، ويفهم بعمق وشمولية المسائل الدينية، ويحمل القيم والأخلاق الدينية، ويسلك في المجتمع سلوكا لا يتناقض مع الرؤية الدينية.

تتميز الوظائف التي يسعى الإعلام الديني لتحقيقها بكونها ثابتة، وبأنها وإلى حد ما مطلقة لذلك فإن تحقيقها يحتاج إلى تحديد سلسلة من المهام. تتحدد مهام الإعلام الديني في ضوء الوظائف، وتقع بالكامل ضمن الأطر العامة للوظائف، ولذلك يجب أن تكون هذه المهام واضحة ومحددة وجزئية وملموسة ومرحلية[1].

(3)- عبد العزيز شرف،المدخل إلى وسائل الإعلام، ط1. القاهرة: دار الكتاب المصري، 1980،ص264.
(1)- خضور، مرجع سابق، ص63-64.

وبما أن اللغة الإعلامية تعتبر لغة فن تطبيقي لا يقصد لذاته، وإنما يهدف إلى تحقيق غايات معينة، وأن يؤدي وظائف محددة.

فإن اللغة الإعلامية ترتبط بستة وظائف رئيسية، هي: الإخبار أو الإعلام، التفسير أو الشرح، التوجيه أو الإرشاد، التسلية أو الإمتاع، التسويق أو الإعلان[1].

ولغة الإعلام الديني تهدف إلى تحقيق ثلاثة من هذه الوظائف، هي: الإخبار أو الإعلام،التفسير أو الشرح، التوجيه أو الإرشاد. وهناك تقسيم آخر لوظائف الإعلام هي:

- الوظيفة الإعلامية: إن الغرض من الاتصال اللغوي هو توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق، كما يحدث في الاتصال الإعلامي بوسائله المختلفة.
- الوظيفة التعبيرية: ذلك أن الاتصال قد يتخذ طابعاً تعبيرياً في الفن والأدب بوجه عام، بهدف التعبير عن المشاعر، واتجاهات الشخص المتلقي.
- الوظيفة الإقناعية: يستهدف الاتصال إقناع المتلقي أو جمهور المستقبلين.

وبالتالي فإن الفهم الدقيق لتصنيف أهداف الاتصال يرتكز على أساس أن الكلمة المكتوبة، والمنطوقة تحقق الأهداف على نسق لا تنفصل فيه بعضها عن البعض، وعلى هذا الأساس فإن الكلمة المكتوبة والمنطوقة تمثل القاسم المشترك والأعظم بين هذه الأنواع، كما إنّ هناك تداخلاً بين هذه الأنواع التحريرية، وبعضها البعض، فالكلمة المنطوقة، أو المكتوبة تكوّن النمط الإعلامي إذا كانت الوظيفة السائدة في نوع التحرير تضيف إلى الجمهور معرفة معلومات جديدة، بطريقة مبسطة، من خلال النظرة العملية للجمهور، وبالتالي من أنواع التحرير نجد:

(1)- شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، مرجع سابق، ص192-194.

- التحرير الإعلامي: وهو تعبير موضوعي يبتعد تماما عن الذاتية التي يتصف بها الأديب، بل إنه يلتزم بالموضوعية لأنه يعكس مشاعر الجماعة وآراءها. أي هو فن موضوعي يقرر الواقع ويرصده بصدق وأمانة.
- التحرير التعبيري: يبحث عن الحقيقة الخالدة على المستوى الجمالي.[1]
- التحرير الإقناعي: قد يتوسل بأساليب التحرير الأدبي، والتحرير الإعلامي، من أجل إقناع الجمهور بوجهة نظر معينة، أو برأي أو بفلسفة محددة.[2]

وأنواع التحرير هذه تتطلب ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي هي :

- المستوى التعبيري: وهو تذوق فني جمالي، يُستعمل في الأدب والفن والتحرير التعبيري، وهو ما نجده في لغة الشعراء.
- المستوى الإقناعي: يُستعمل في الدعاية والعلاقات العامة..إلخ. على نحو ما نجده في التحرير الإقناعي.
- المستوى الإعلامي: وهو مستوى عملي اجتماعي عادي، يُستعمل في وسائل الإعلام على نحو ما نجده في التحرير الإعلامي.[3]

III. القائم بالاتصال ومكانته في الإعلام الديني.

للقائم بالاتصال (المرسل) مكانة كبيرة في الإعلام الديني، ويعد العنصر الأول والأساسي في عملية الإعلام والاتصال، والحلقة الأولى في دورتها ومسيرتها. ويسمى أحياناً المصدر أو مصدر المعلومات، ويسمى أيضا المتصل. والمرسل هو منشئ الرسالة الذي عليه أن يسعى إلى النجاح في مهمته المتمثلة في إيصال الرسالة إلى المستقبل أو الجمهور[1].

---

(1)- نفس المرجع الآنف الذكر،ص265.

(2)- نفس المرجع الآنف الذكر،ص196.

(3)- نفس المرجع الآنف الذكر، ص200.

(1)- رحمة الطيب عيساني، مدخل إلى الإعلام والاتصال: المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة في عصر العولمة الإعلامية، ط1. الجزائر: عالم الكتاب الحديث، 2008، ص14.

تعريف القائم بالاتصال: يُعرف على أنه الطرف الذي يتولى بث المعلومات، وقد يكون فرداً واحدا كما في الاتصال المباشر، وقد يكون مجموعة صغيرة كما في الاتصال الجماعي. والمرسل أو المصدر أو القائم بالاتصال، سواءً كان فرداً أم منظمة هو الطرف الذي يتعامل مع الأفكار والمشاعر، ويحولها إلى رموز لغوية تمهيداً لنقلها إلى الآخرين[2]. ويأخذ المرسل أشكالاً أو أدواراً كثيرة، منها: الأستاذ، الكاتب أو المؤلف، والمتحدث عبر الإذاعة أو التلفزيون سواءً كان مذيعاً أو ضيفاً.

وتعتبر اللغة من أبرز العوامل المتدخلة لنجاح المرسل في إيصال رسالته، من خلال وجوب اختيار الكلمات المناسبة والمفهومة لدى الطرف المقابل كشخص أو مجموعة، فعندما يكون الطرف المقابل فرداً واحداً، يجب على المتحدث أن ينتقي ألفاظه بحيث تتلاءم مع مستوى الشخص الاجتماعي والعلمي، كما يجب أن يستعمل الألقاب المناسبة لما لذلك من أهمية لدى الشخص المستقبل. وعندما يكون الطرف المستقبل مجموعة أو جمهورا، فقد دلت الدراسات على أنه كلما كان أفراد المجموعة متشابهين من حيث العمر، والجنس والخبرة والتعليم كلما كان أصعب على المتحدث اختيار الألفاظ المناسبة وتوصيل الفكرة بشكل سليم وواضح. وهذا على العَكس عندما يكون الجمهور متجانساً، بحيث تكون مهمة المتحدث أسهل بكثير.

ويرتبط بموضوع اللغة موضوع الرموز وهي الأدوات التي يختارها المرسل لنقل رسالته إلى المستقبل، ويجب أن تكون لهذه الرموز معانٍ مشتركة بينه وبين المستقبل، وتكون هذه الرموز على شكل كلمات منطوقة، أو مكتوبة...[1].

ومن بين الشروط اللغوية التي يجب توافرها في المرسل، أو يجب مراعاتها من قِبَلِهِ ما يلي:

- القدرة اللغوية والبلاغة سواء في سرد المعلومات وإسماعها للمستقبل، أو في كتابتها إليه عبر الوسائل والقنوات المختلفة.

---

(2)- محمد جمال الفار، المعجم الإعلامي،الأردن: دار أسامة المشرق الثقافي، 2010،ص299.

(1)- عيساني، مرجع سابق، ص52.

- النطق المؤثر والقدرة على الإقناع والتأثير، خاصة إذا كانت الرسالة مقروءة أو مسموعة.
- فن الإلقاء وخاصة في الرسائل الشفوية، سواء كانت مباشرة، أو من خلال الإذاعة أو التلفزيون.
- القدرة على التعبير بوضوح عن وجهة النظر، وعن الأفكار والمعلومات المراد إرسالها، حيث يسهم ذلك في استيعاب الرسالة من قبل المستقبل، لأن الغموض أو عدم الوضوح في المضمون أو المحتوى يؤدي إلى سوء الفهم.
- المعلومات الكافية عن موضوع الرسالة، فيجب على المرسل أن يعرف ما يقوله أو يكتبه، ولديه من المعلومات ما يكفي للحديث والمناقشة، وبناءً على ذلك فالمرسل الجيد لا يقتصر نجاحه على مدى ما يمتلك من معلومات وثقافة، بل على الأداء الجيد والأسلوب الناجح في إيصال هذه المعلومات، وبلغة جيدة ونطق قوي[2]، وقدرته على التبسيط، واستعماله مصطلحات ضمن تخصص موضوع الرسالة حتى يستطيع المتلقي أن يفهمها.

IV. الشيخ أحمد حماني كرجل إعلامي بوسائل الإعلام الجزائرية :

هو الشيخ العلامة الفقيه أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني ولد ببلدة الميلية بولاية جيجل سنة 1915م، بدأ حياته العلمية بمسقط رأسه حيث حفظ كتاب الله والمبادئ الأولى في الفقه والتوحيد، ثم نزح إلى مدينة قسنطينة حيث انخرط في صفوف طلبة الشيخ ابن باديس لمدة 3 سنوات، وبعدها ارتحل إلى تونس حيث انظم إلى طلبة جامع الزيتونة لمدة 10 سنوات وحصل خلالها على: (شهادة الأهلية، شهادة التحصيل، شهادة العالمية) .

بعدها عاد إلى الجزائر وعمل في التدريس، ومع بداية الثورة التحريرية الكبرى شارك فيها بكل قوة، حيث اعتقل وعذب لمدة 4 سنوات إلى غاية

(2)- نفس المرجع الآنف الذكر، ص49.

الاستقلال.بعدها عمل مديرا لمعهد بن باديس ثم أستاذا بجامعة الجزائر لمدة 10 سنوات.

وفي سنة 1972م عين رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى إلى حين تقاعده سنة 1989م وواصل الدعوة إلى الله رغم كبر سنه والفتن التي مرت بها الجزائر، ويعتبر من أبرز العلماء المصلحين الذين عرفتهم الجزائر، ترأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد مؤتمرها التأسيسي، ومن أبرز مؤلفاته :

- ✓ فتاوى الشيخ أحمد حماني - والتي أخذت منها هذه الترجمة اليسيرة-
- ✓ كتاب الإحرام لقاصدي البيت الحرام.
- ✓ صراع بين السنة والبدعة.

توفي رحمه الله سنة 1998م.

1- **مساهماته في وسائل الإعلام الجزائرية:** تعد وسائل الإعلام والاتصال من أهم مخترعات العلم والتكنولوجيا الحديثة، فهي بمثابة المرآة التي تعكس الضوء على كل ما هو ثابت ومتغير، وهي وسيلة من وسائل التبليغ تستخدم لأغراض شتى، كل يستعرض ما لديه من خلالها، فهي وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، كما أنها ذريعة لشيوع الفاحشة والدعاية للإغراء، فتكون محمودة بحسب ما تحققه من فضائل وقيم أخلاقية سامية، ينتفع بها المجتمع عاجلا أم آجلا، وتذم إذا كانت تهدف إلى غير ذلك.

والشيخ أحمد حماني من الذين ساهموا في التبليغ والدعوة إلى الفضيلة، وإفتاء الناس وتوجيههم وإرشادهم إلى الخير، عن طريق وسائل الإعلام،المكتوبة والسمعية منها والمرئية بالحكمة والموعظة الحسنة، وتكليفه بهذا الواجب من مهام الحاكم القائم على تحصيل المصالح العامة للمسلمين، ودرء المفاسد عنهم.

ومن خلال هذا الدور المنوط بالشيخ ـ رحمه الله ـ ترك تراثا علميا مسجلا بوسائل الإعلام الجزائرية بلغ صيته الآفاق.حيث بدأ تسجيله لدروسه بالتلفزة والإذاعة الجزائرية منذ الستينيات وخصوصا في المناسبات الدينية.

ومن أبرز مساهماته في وسائل الإعلام المكتوبة الجزائرية تعاونه على بعث نشاط جمعية العلماء سنة 1991م، إذ كان رئيسا لها،وتعاوَن على إصدار جريدة البصائر، فكان مديرَها المسؤول[1]. كما نشر له بيانا في "جريدة المقاومة الجزائرية" لسان حال جيش وجبهة التحرير الوطني في صفحتها التاسعة بتاريخ 22 أفريل 1957م، عن الجريمة النكراء المرتكبة في حق الجزائر، في شخص الشيخ العربي التبسي - رحمه الله - وهو يشهد له بالحنكة الفكرية، والعبقرية السياسية، وصدق جهاده في الدفاع عن وطنه، ورجاله المخلصين الذين[2].

أما مساهماته في الإذاعة الجزائرية وحسب ما هو مسجل له في أرشيف الإذاعة الوطنية فيبدأ من 1975م إلى غاية 1996م، وذلك من خلال مجموعة من المحاضرات التي كان يلقيها ورصدتها له الإذاعة وبثتها عبر أمواجها، وكذا مجموعة من الأحاديث الدينية التي كانت تبث له عبر الإذاعة، والجدول الموالي يبين أبرز ما أذيع للشيخ في الإذاعة الوطنية.

جدول رقم (02) يبين التدخلات محل الدراسة للشيخ أحمد حماني في الإذاعة الوطنية.

المعلومات / الموضوع	العنوان	سنة الإيذاع	المدة (د)
محاضرات	"الشيخ البشير الإبراهيمي المؤمن والعامل"	1975	41:30
	"القرآن والسنة والحديث القدسي"	08 أوت 1983	33:00

(1)- كلمة عبد الرحمن شيبان في ندوة لتكريم الشيخ أحمد حماني، عشية الأحد 5 أكتوبر 2008، أقامتها جمعية مشعل الشهيد والمجلس الإسلامي الأعلى.

(2)- عبد الرحمن شيبان، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

	"يوم المجاهد"	22 أوت 1983	30:20
	"الاجتهاد في الفكر المالكي"	13 فيفيري 1984	29:00
	"تأسيس جمعية العلماء المسلمين في عهد جديد"	1991	59:00
أحاديث دينية	"أحاديث رمضان"	22 فيفيري 1993	13:00
	"زكاة الفطر"	16 فيفيري 1996	12:00

من الجدول أعلاه يتبين أن مساهمات الشيخ أحمد حماني في الإذاعة الجزائرية تمتد من سنة 1975م إلى غاية 1996م من خلال مجموعة من المحاضرات والأحاديث الدينية، والجدول رقم (03) يبين المحاضرات التي قمنا بتحليلها وهي خمسة محاضرات اخترناها بطريقة الحصر الشامل نظرا لتوافر أرشيف الإذاعة على هذه المحاضرات دون غيرها، وهذه المحاضرات، هي : محاضرة بعنوان: "الشيخ البشير الإبراهيمي المؤمن والعامل" أذاعتها الإذاعة الوطنية الجزائرية من المركز الإسلامي الثقافي بالعاصمة سنة 1975م، ووصلت المدة الزمنية لهذا التدخل واحدًا وأربعين دقيقة وثلاثين ثانية، حيث كان الشيخ أحمد حماني في هذه الفترة رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى. بالإضافة إلى ذلك هناك محاضرة بعنوان: "القرآن والسنة والحديث القدسي" أذيعت يوم 08 أوت 1983م ووصلت مدتها الزمنية إلى ثلاث وثلاثين دقيقة، والمحاضرة الثالثة كانت بمناسبة"يوم المجاهد" أذاعتها الإذاعة الوطنية يوم 22 أوت 1983م بزمن قدره ثلاثين (30) دقيقة وعشرين(20) ثانية، والمحاضرة الرابعة بعنوان: "الاجتهاد في الفكر المالكي" التي أذيعت يوم 13 فيفري 1984م ووصلت مدتها الزمنية إلى تسعة وعشرين (29) دقيقة، وهي المحاضرة التي ألقاها الشيخ في إطار ملتقى الفكر الإسلامي السابع

عشر، أما المحاضرة الخامسة فكانت بعنوان: "تأسيس جمعية العلماء المسلمين في عهد جديد" أذاعتها الإذاعة سنة 1991م بمناسبة الذكرى الـ 60 لميلاد الجمعية، وفي هذه الفترة كان الشيخ رئيس الجمعية ووصل زمن هذه المحاضرة في الإذاعة إلى (59) دقيقة.

أما أحاديث الشيخ أحمد حماني في الإذاعة الوطنية الجزائرية فكان له من كل يوم جمعة واثنين حديث، وقمنا في هذه الدراسة بتحليل حديثين له وهو ما تتوافر عليه الإذاعة الوطنية، وهذان الحديثان هما: حديث بمناسبة شهر رمضان تمت إذاعته يوم الاثنين 01 رمضان 1413 هـ الموافق لـ 22 فيفري 1993م، تناول فيه الشيخ حماني أهمية الصيام وشروطه وأفضلية هذا الشهر، وبلغت المدة الزمنية لهذا الحديث (13) دقيقة، أما الحديث الثاني فجاء عن زكاة الفطر وأذيع يوم الجمعة 16 فيفري 1996م بزمن قدره (12) دقيقة، تحدث فيه الشيخ عن وجوب زكاة الفطر على كل مسلم وأهميتها وشروطها والحكمة منها.

وبصفة عامة من خلال استماعنا لهذه المحاضرات والأحاديث وجدنا أن لغتها تتميز بالوضوح، وسهولة الفهم والجاذبية لما يتميز به صوت الشيخ أحمد حماني من قوة، كما يتميز بالقدرة على الإلقاء.

أما بخصوص مساهمات الشيخ أحمد حماني في التلفزيون الجزائري فتعود إلى بدايات ظهورها على الشاشة الصغيرة، الذي كان سنة 1988م في الأحاديث الدينية التي كان يساهم فيها مع مجموعة من المشايخ أمثال الإمام الغزالي، محمد طالبي، وشريف طوالبي، حيث في كل أسبوع يظهر أحد هؤلاء.

وفي التسعينات سجل سبعين حصة بالتلفزة خاصة بالإفتاء بثت من خلال ندوة الجمعة في حصة"أنت تسأل والمفتي يجيب"، وكانت بداية الحصة في سنة 1994م واستمرت إلى غاية 1996م، حيث كان الشيخ أحمد حماني حينها رئيساللجنة الفتوى ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى. وقبلها كانت مساهماته في حصة "مائدة مستديرة" وهي حصة أسبوعية تبث كل يوم اثنين انطلقت في الشبكة البرامجية لسنة 1992م وانتهت سنة 1994م.

وكانت آخر مساهماته في التلفزة الجزائرية سنة 1998م من خلال لقاء تلفزيوني أجري معه. ويرصد الجدول الموالي الحصص التلفزيونية التي ساهم فيها الشيخ أحمد حماني وأبرز المعلومات عنها.

جدول رقم(03) يبين الحصص التلفزيونية التي ساهم فيها الشيخ أحمد حماني.

معلومات / الحصة	يوم البث	دورة البث	مقدم الحصة	مدة الحصة
مائدة مستديرة	الاثنين	أسبوعية	حسين بوشعيب	1سا
أنت تسأل والمفتي يجيب	الجمعة	أسبوعية	رشيد وزاني	52د
حديث ديني	الاثنين	أسبوعية	أحمد حماني وبعض المشايخ	حوالي عشر دقائق

إن هذه الحصص أبرز ما ساهم به الشيخ أحمد حماني في التلفزة الجزائرية، خلال فترة عشر سنوات امتدت من 1988م إلى غاية 1998م.

فحصة مائدة مستديرة كانت تعالج مواضيع تخص المجتمع الجزائري وعلاقته بالإسلام، وكان الحديث الصادر عن هذه الحصة موجها إلى فئتين من الجمهور هما: فئة الجمهور الخاص وتتمثل في المسؤولين في الدولة وفي وزارة الشؤون الدينية، وفئة الجمهور العام، والمقصود بها جل الشرائح الجزائرية ماعدا الفئة السابقة الذكر.

قمنا في هذه الدراسة بتحليل عدد واحد من حصة مائدة مستديرة وهو العدد الذي بث يوم الاثنين 17 أوت 1992م، وكان من ضيوفه الشيخ أحمد حماني وعبد الرحمن الجيلالي وبعض المشايخ، وخصص هذا العدد من الحصة لمعالجة قضية المساجد في الجزائر، حيث كان المقدم يطرح الأسئلة والضيوف يجيبون.

إن أبرز ما سجلناه في هذه الحصة هو مميزات لغة المرسل سواء كان المقدم أو المستجوَبون بما فيهم الشيخ أحمد حماني حيث كانت هذه اللغة لغة إعلامية لتوافرها على بعض شروط اللغة الإعلامية، وهي: مخاطبة المرسل للجمهور العام من خلال ألفاظ مثل: (أخي المشاهد، أختي المشاهدة،...إلخ)، وكذا وقوع لغة المرسل بين الفصحى والعامية وهي ما تعرف باللغة الوسطى أو اللغة الإعلامية.

وكانت حصة "أنت تسأل والمفتي يجيب" تقوم على استجواب ضيف واحد في كل عدد وكان أغلب هؤلاء المستجوَبين هو الشيخ أحمد حماني، الذي كان رئيس لجنة الفتوى ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

وحسب العدد الذي حللناه من الحصة يوم الجمعة 3 مارس 1995م والذي كانت مدته الزمنية تصل إلى 56 دقيقة و31 ثانية فإن الحصة تتناول كل المواضيع الدينية الغامضة والتي تحتاج إلى تبسيط والإفتاء فيها من طرف المفتي وهو الشيخ أحمد حماني في هذا العدد، ومن أبرز المواضيع التي تناولتها الحصة في هذا العدد نجد: الصيام، الصلاة، الإجهاض، الزكاة،...إلخ. خاصة وأن هذا العدد تزامن مع الأيام الأخيرة من شهر رمضان، وكانت لغة المرسل في هذه الحصة لغة بسيطة تقع بين العامية والفصحى.

2- **خصائص اللغة الإعلامية في فتوى الشيخ أحمد حماني:** تتميز لغة فتواه بما يلي:

أ- البيان والوضوح: القارئ والمستمع لفتاوى الشيخ أحمد حماني يجد من خلالها مفتيا، ومعلما، ومصلحا، وطبيبا، ومرشدا،وهذا ما يقتضي منه تبسيط بعض الإجابات وتوسيعها شرحا وتحليلا، حتى يتعلم الجاهل، وينتبه الغافل، ويقتنع المتشكك، ويثبت المتردد، وينهزم المكابر، ويزداد العالم علما، والمؤمن إيمانا.

ب- التزام الواقعية: والواقعية لا تعني فقط عدم الإفتاء في المسائل الافتراضية، بل تلمس في شخصية المفتي إذا كان بصيرا بحال وملابسات واقعه،فلا ينكر

تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان،ولا يكتفي بالجمود على المنقولات والفتاوى القديمة.

وعليه فإن كثيرا من الأحكام التي يفتي بها المجتهد بناء على ما كان في زمانه، تختلف باختلاف الزمان أو عرف أهل البلد، أو لحدوث ضرورة.

وبهذا تتجلى واقعية المفتي في فتواه،إضافة إلى ذلك على المفتي أن يخاطب الناس بلغة عصرهم، وبما يتصل بخصائص تفكيرهم، دون تكلف، متوخيا سهولة الألفاظ وبساطة الأسلوب حتى يفي بالغرض المطلوب.

وللشيخ أحمد حماني حظ كبير من الواقعية في فتاواه، فلم تكن بغيته - رحمه الله- استعراض فصاحته وبلاغته ومتانة أسلوبه العلمي، بقدر ما كان يبتغي من فتواه وصولها إلى عقول العوام والخواص، فتراه أحيانا يعمد إلى الزيادة في الشرح والبيان والاستطراد بحسب ما يتطلبه نص السؤال، وبما يناسب حال المستفتي، والأمثلة على ذلك كثيرة،كما في مسألة الطلاق بلفظ الثلاث التي أفاض فيها بالبيان والتوضيح والاستدلال،والتي لا يعذر المطلع على نصها بعدم فهمها[1].

وأحيانا أخرى يكتفي بما قل ودل من الكلام مستوفيا بذلك حق الجواب، كما في مسألة كيفية التخلص من الفوائد الربوية، فكان جوابه وجيزا جامعا مانعا بعدم أكلها وعدم الانتفاع بها[2].بل يذهب إلى أبعد من ذلك باستعماله اللغة (الدارجة) التي يفهمها عوام الناس، كما جاء في قوله عن مسألة الطلاق في حال الغضب"وأصبح كالمجنون لا يعرف صلاحه"[3]، وهذه العبارة يفهمها حتى عوام الناس. وكان يكره الاشتغال بما لا ينفع، ورد إليه سؤال فحواه: أن رجلا أراد أن يحج، وله من المال قدر كبير، وكان المال مكتسبا من بيضة، والبيضة أخذها من دجاجة ميتة بعد ثلاثة أيام، فهل يصح أن يحج بهذا المال؟ فكان توجيهه للسائل

(1)- أحمد حماني، فتاوى الشيخ أحمد حماني: استشارات شرعية ومباحث فقهية،الجزء الأول، ط1. الجزائر: وزارة الشؤون الدينية، 1993، ص444-485.

(2)- أحمد حماني، فتاوى الشيخ أحمد حماني: استشارات شرعية ومباحث فقهية،الجزء الثاني، ط1. الجزائر: وزارة الشؤون الدينية، 1993،ص266.

(3)- نفس المرجع الآنف الذكر، الجزء الأول، ص450.

في ختام فتواه بقوله: " فإلقاء السؤال بمثل هذا الأسلوب قد يكون فيه (تنطع)، أو سذاجة، أو محاولة تعجيز، وكان الصحيح في إيراد السؤال أن يسأل عن حكم الحج بالمال الحرام، وعلى الطالب أن يطلب العلم المفيد، ولا يلتفت إلى تنطع المتنطعين"[1]. وعن سؤال امرأة كلفت رجلين بتزويجها، فوجدا لها زوجين، فعقدا لها العقد في وقت واحد، فهل يجوز أن ينكحها واحد منهما؟ فكان رده بقوله:"نحن نجيب هنا عن أسئلة القراء في الواقعيات لا عن فروض يتعذر في الواقع حصولها، ولا عن الألغاز والأحاجي، فالمرأة التي يزوجها وليان وفي ساعة واحدة وفي دقيقة واحدة توجد في تخيلات صرفة ولا توجد في الواقع".[2]

ومن خلال هذه النماذج تبرز الواقعية في فتاواه ـ رحمه الله ـ وأنه يفتي عن بعد نظر وعميق إدراك للواقع ولحال السائل وطبيعة سؤاله وجوابه.

ج- الملاءمة: وذلك لتناسبها مع طبيعة الوسيلة الإعلامية التي أذيعت بها، فلغته عبر الإذاعة هي لغة ذات طابع وصفي حيث أنها مدعمة بالأمثلة حتى يفهم المستمع المقصود من كلامه، كما أنه يستعمل التكرار في العديد من المرات. أما لغته في التلفزيون فيدعمها بحركات اليد لتوافر التلفزيون على الصورة.

د- الجاذبية: لتوافرها على عنصر التشويق من خلال النكت التي يدعم بها أحاديثه.

هـ- البساطة في الأسلوب والاختصار.

خـــاتمة:

ما يمكننا قوله عن الشيخ أحمد حماني هو أنه رجل فتوى وإعلام بالجزائر وذلك لمساهماته الواسعة في وسائل الإعلام الجزائرية (صحافة مكتوبة، إذاعة، وتلفزيون)، امتدت هذه المساهمات من 1975م إلى 1998م، وكذا مراعاته

(1)- نفس المرجع الآنف الذكر، ص343-345.

(2)- نفس المرجع الآنف الذكر، ص 394.

لشروط القائم بالاتصال، كما أن لغة فتواه تتميز بخصائص اللغة الإعلامية من وضوح، وواقعية، وملائمة، وجاذبية، والبساطة في الأسلوب والاختصار.

لقد استطاع الشيخ من خلال تراثه المسجل، ومشاركاته على الصعيد الدولي سواء كمختص في مجاله أو كممثل عن بلده في بعض المنظمات، أن يبلغ برسالته إلى شريحة عريضة من الناس على أنه الرجل المتواضع الذي كان حريصا على التبليغ والتأثير المقصود والهادف إلى إرشاد الناس إلى الحقيقة وتوعيتهم دينيا، فهو بذلك يكتسب القدرة على الإقناع وهي مفتاح التغيير في النفس .

الفصل الثاني

الوطنية في فكر الشيخ أحمد حماني

مرتكزات الوحدة الوطنية والإسلامية
في فكر الشيخ أحمد حماني

أ.أمينة بو بصلة .
جامعة جيجل

بسم الله الرحمن الرحيم،

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين ومن سار في ركبهم إلى يوم الدين

ولما كان الشكر زكاة المروءة - كما يقول أبو حيان التوحيدي رحمه الله - فالشكر موصول لكل القائمين على إعداد وإخراج هذا الملتقى الكريم في طبعته الثانية.

أيها الإخوة الكرام سلام الله عليكم وحفتكم ملائكة الرحمان .

عندما جلست إلى مكتبي - أحرر هذه الكلمة - تداعت إلى خاطري واحدة من أكثر الذكريات قربا إلى نفسي، ففي ربيع عام 1985م وفد الشيخ الإمام محمد الغزالي - رحمه الله - إلى مدينة الميلية، وهي كما تعلمون أرض جهاد أبلت أيام الثورة بلاء حسنا وقدمت خيرة أبنائها شهداء في سبيل عزة هذا الوطن الغالي الحبيب - وكان أن هبت الميلية عن بكرة أبيها وغص الجامع الكبير بجمهور المستمعين رجالا ونساء واستطعنا نحن طلاب الصفوف الثانوية آنذاك أن نجد لأنفسنا موطئا بين الجموع الغفيرة وألقى الشيخ الكلمة التي هزت فينا العقول ورجت القلوب إلى المدى الذي جعلني شخصيا أغير وجهتي العلمية تماما وكان أن حباني الله بعد سنة واحدة من هذا الحدث بالانضمام إلى الحلقة العلمية للشيخ الغزالي بين أسوار جامعة الأمير عبد القادر، زرته رفقة بعض الزميلات في

مكتبه بالجامعة وخطر لنا أن نسأله عن مقامه بالجزائر فابتسم وقال لنا : " لقد جئت الجزائر حاجا لأتيمم بترابها صعيدا طاهرا بدماء شهدائها الأبرار ظامئا لأرتوي من مداد علمائها الكبار" .

وربما ترائى للشيخ في إقبالنا عليه حفاوة كأنما ذلك زهد فيما عندنا من علماء فأراد أن ينبهنا إلى الكنوز العلمية التي بين أيدينا في أدب رفيع فقال : " لقد حمل علماؤكم - أيام الثورة - لوعة الوطن السليب جرحا غائرا في صدورهم وهبطوا مصر يطلبون نصرة إخوانهم ووالله لقد كان النظر في وجوههم عبادة والحديث معهم والأنس بهم قربى إلى الله تعالى ". قالها وقد أبرق الدمع في عينيه وغصت الكلمات في حلقه.

وأردف يقول: " إن الجزائر لم تخرج للعالم ثورة عز نظيرها في التاريخ المعاصر وحسب، بل أخرجت للعالم الإسلامي - خاصة- طرازا استثنائيا نادرا من العلماء المجاهدين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

وانبرى - رحمه الله - يحدثنا عن سلسلة طويلة من علماء الجزائر من رائد الإصلاح الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان يعده ظاهرة أدبية وعلمية متفردة جعلت منه قبلة العلماء والأدباء في القاهرة إلى الشيخ الفضيل الورثلاني الذي زامله في الدراسة فكان عملاقا في مبناه ومعناه إلى الأستاذ مالك بن نبي الذي غير وجهة الفكر العربي الإسلامي بعدما وصل إلى القاهرة في خمسينيات القرن الماضي .

وكان من بين الذين ذكرهم وأثنى عليهم ثناء جميلا "أمير الفتوى في الجزائر " الشيخ أحمد حماني - رحمه الله - فقال : " أخي أحمد عالم مجاهد فقيه، غزير العلم وفير الأدب، شغف بحب الجزائر نصير لوحدة بلاد العرب والمسلمين ". وأنهى حديثه معنا قائلا : هؤلاء العلماء انتزعوا علمهم انتزاعا من أنياب مستدمر غاصب وصليبي حاقد فعضوا عليهم بالنواجذ .

أيها الإخوة الكرام : سبع وعشرون عاما مرت على هذا اللقاء لكن صدى الكلمات الموجوعة ظل عالقا بالذاكرة وهاهي الأمة من جديد تعبر مفصلا تاريخيا

خطيرا تهدد فيه وحدتها الدينية والعقائدية، وتستباح قيمها الإنسانية والحضارية، وترتفع على جغرافيتها المختلفة أبواق الفرقة والشتات بل وتسفك الدماء المسلمة رخيصة في الشوارع والطرقات، فتبرز حاجتنا الملحة إلى العودة صوب الأصالة الجامعة لمختلف مكونات الوطن والأمة لذلك اخترت الحديث في هذه المداخلة حول أهم الأسس والمرتكزات التي يدعم من خلالها الشيخ أحمد حماني - رحمه الله - قضية الوحدة الوطنية والإسلامية .

i. تصحيح العقيدة :

✓ أصل العقيدة في اللغة من الفعل عقد، نقول عقد البيع واليمين والعهد أكده ووثقه، وعقد حكمه على الشيء لزمه، ومنه الفعل اعتقد بمعنى صدق . يقال اعتقد فلان الأمر إذا صدقه وعقد عليه قلبه أي آمن به.

✓ أما معنى العقيدة اصطلاحا : فهي التصور الإسلامي الكلي اليقيني عن الله الخالق وعن الكون والإنسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا وعما بعدها وعن العلاقة بين ما قبلها وما بعدها[1]، أدرك الشيخ أحمد حماني مبكرا أن العقيدة الإسلامية في صفائها الأول - كما قدمها النبي صلى الله عليه وسلم للناس- هي الفاعل الحقيقي المحرك لوحده الأمة ونهضتها.

✓ فقد أمضى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما في مكة يحارب ظاهرة عقائدية واحدة هي ظاهرة " الشرك " ولا ينزل عليه من القرآن إلا ما كان حربا على الوثنية ودعاتها وآلهتها ودعوة إلى التوحيد ودلائله وآثاره، غير أن محاولات أعداء الإسلام ممن نذروا أنفسهم للإطاحة بوحدة المسلمين وشق صفوفهم لم تهدأ ولم تستكن من صدر الرسالة إلى يومنا هذا، وكانت البداية بالمحاولات المتكررة لاختراق عقيدة الإسلام من خلال ذلك الكم الهائل من الخرافات والبدع ومظاهر الشعوذة والشرك، فكان أن تصدى الشيخ رحمه الله

(1)- إبراهيم زيد الكيلاني . هام عبد الرحيم سعيد، صالح دياب هندي .دراسات في الفكر العربي الإسلامي، دار الفكر، ص 108

لهذا الاختراق على قاعدة أنه كلما اتسعت مساحة المعرفة والوعي عند المسلمين ضاقت مساحة الخرافة عندهم والعكس فقد كان - رحمه الله - يرى أن العقيدة الإسلامية - وهي أصح عقيدة على وجه الأرض لم يتحقق لها ذلك إلا لسببين اثنين هما:

السبب الأول: أنها عقيدة تحترم العقل الإنساني وتتفق معه لا تخالفه ولا تتناقض معه قال تعالى: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾، سورة الذاريات- الآية 20، 21 .

السبب الثاني: أنها عقيدة منسجمة مع الفطرة الإنسانية معبرة عن طبيعة الإنسان قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، سورة الروم- الآية 30.

- ✓ أما اتفاق العقيدة مع العقل فقد أنتج حركة علمية منقطعة النظير .
- ✓ وأما انسجام العقيدة مع الفطرة الإنسانية فقد أنتج حالة من السواء عند المسلم أغرت غير المسلمين بالانضمام إلى ركب الإسلام في مدة وجيزة .

من هذا المنطلق يمكن أن نفسر استماتة أئمة الإصلاح في الجزائر وتلامذتهم من بعدهم في الدفاع عن العقيدة، ومحاربة الخرافة والبدع ويمكن أن نستقي من تراث الرجل نموذجا واحدا للتدليل على هذا الكلام.

فقد وردت إليه شكوى من ناحية شلغوم العيد والعثمانية (ولاية ميلة) تتعلق ببعض الدعاة للفرقة الضالة (البابية - البهائية) وكيف أن بعضهم يحتل مكانة مرموقة في المجتمع ويحتك بالجماهير فيشكل بذلك خطورة عظيمة على عقيدة العامة، وكان أحد هؤلاء قد وجهت إليه تهمة الترويج للبابية البهائية وأدين وسجن ثم أفرج عنه.... الخ.

لقد تريث الشيخ أحمد حماني في الرد على هذه الشكوى حتى استوثق من حقيقة وجودها وتوفرت له كل الدلائل على صحة ما ورد إليه، حينها تصدى

لهؤلاء بوضع كتابه العلمي الشهير **الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية** وبين بالدليل الواضح والحجة الدامغة كفر هذه الفرقة التي تدعو إلى ديانة جديدة تكذب بختم النبوءة، وتدعي الوحي للباب والبهاء وتؤله (بهاء الله) وتصلي وتصوم وتحج بغير صلاة وصوم وحج المسلمين ولا تؤمن بالبعث والنشور، ولا بالجنة والنار ولا بيوم الدين .[1]

ومما لفت انتباهي في هذا الكتاب توضيحه الدقيق لمفهوم الردة وحكم الإسلام فيها ليسقط بذلك الشبهة القائلة: " أن حكم الردة في الإسلام يتعارض مع مفهوم الحرية الدينية" .

فبين أن الردة " تصدق على كل مسلم دخل في الإسلام طوعا واختيارا ثم رجع إلى الكفر منشرح الصدر به غير مكره عليه[2] .

ولما كان حفظ الدين أحد أهم المقاصد الشريعة الإسلامية فقد بين الشيخ ضرورة الحسم في مسألة المرتد والتحقق من صحة ردته وإصراره على نحلته الجديدة المخالفة لعقيدة المسلمين" فمن العجز الواضح والتخاذل الفاضح أن يتغاضى الناس عمن يرونه أمام أعينهم وهم متيقنون أنه عدو لهم يكيدهم في دينهم وأمتهم ويتآمر مع أعدائهم على دولتهم ثم يسكتون عنه ويظهرون الحاجة إليه ويطلبونها عنده،يجب أن يعاملوه معاملة خصم وعدو مبين وأن يقاطعوه مقاطعة تامة" [3].

وهو في موقفه هذا لا يصدر عن عاطفة دينية أو هوى في النفس بل يستند إلى منهج القرآن في التصدي لهؤلاء إذ يقول: " لنجاهدهم بالقرآن، فإنه كاشف لحالهم مبطل لضلالهم فاضح لأعمالهم، وهو أعظم أسلحة المؤمنين في إصلاح الناس وفي إفناء الفساد والمفسدين، إن القرآن يأمرنا أن نتثبت ونتبين، وألا نبادر بالتهمة أو ننساق مع الظن فإن الظن لا يغني من الحق شيئا فإن ثبت لدينا ظلم ظالم أو

(1)- أحمد حياني. الدلائل البادية على ضلال وكفر البهائية ، دار الشهاب – ص5

(2)- أحمد حياني. المصدر نفسه ، ص90

(3)- أحمد حياني. الدلائل البادية على ضلال وكفر البهائية ، دار الشهاب المصدر نفسه، ص245

خيانة خائن أو فساد مفسد حرم علينا أن نركن إلى الظالم ونسالم الخائن ونقر فساد المفسدين" [1].

قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾، سورة التوبة- الآية 73، فالمرتد- وهو في حال استتابته - محبوس، ممنوع من الاتصال بالناس يطعم ويسقى ويذكر بالله حتى يتوب أو يقام عليه الحد. فإن قتل مرتدا فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

فالصلة مقطوعة بينه وبين المجتمع الإسلامي حال حياته في الكفر ومن بعد مماته مرتدا إلا أن يتوب إلى الله، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

ويظهر الفرق بين الكافر بالأصالة إذا كان مسالما ولم يكن محاربا ولا مظاهرا للمحاربين وبين المرتد .

فالأول يري الشيخ حماني أنه يدخل تحت قوله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، سورة الممتحنة- الآية 8، فللكافر بالأصالة حريته في اعتقاده وإقامة شعائر دينه بين المسلمين.

أما الثاني: فيدخل تحت قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾، سورة الممتحنة- الآية 9 .

فالسر في الشدة مع المرتد أنه معدود من طائفة المعتدين المحاربين للمسلمين المظاهرين عليهم أعداءهم [2] .

إن العقيدة الإسلامية تمنح أتباعها حالة من الاستعلاء العقائدي، حيث لا يرى المسلم الملتزم فيما دونها من العقائد إلا الضلال والتيه والعودة إلى شتات الكفر والجاهلية قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾، سورة الأنعام- الآية 159.

---

(1)- أحمد حماني. المصدر نفسه ، ص 244 – 245

(2)- أحمد حماني. المصدر نفسه ، ص 249

وقال أيضا: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾، سورة الروم- الآية 31-32، ومن ثم يصبح تصحيح العقيدة عند الشيخ أحمد حماني واحدا من أهم مرتكزات الوحدة بين أبناء الأمة.

غربلة التاريخ الإسلامي:

إن التاريخ الإسلامي هو الذاكرة الأم التي رافقت حركة الإسلام من شبه الجزيرة العربية حتى بلاد الأندلس وجنوب فرنسا، وإذا كان الإنصاف يقتضي من المؤرخين الاعتراف بالأخطاء التاريخية التي نشأت عند مفاصل معينة من هذه المسيرة والتي لا تخلو منها حركة تاريخية في العالم كله فإنه من الظلم والإجحاف أن يقدم هذا التاريخ للأجيال مشوها موبوءًا بالزيف والشبهات، لقد نبَّه الشيخ أحمد حماني إلى خطورة هذه المسألة وأثرها السيئ في تمزيق وحدة الصف الوطني والإسلامي، فكما تم اختراق العقيدة بكمٍّ هائل من البدع والخرافات وصور الشرك والشعوذة تم اختراق التاريخ الإسلامي بمحتوى أكبر من التضليل والتزييف للحقائق وتحليل الأحداث في غير مسارها الحقيقي وتسليط الأضواء على الأخطاء التاريخية الطبيعية وطمس المحطات المضيئة حتى لا تلتفت إليها الأجيال وإظهار الخلاف السياسي الذي هو خلاف طبيعي بين أبناء الأمة على أنه خلاف وطني حتى يسهل ذلك إسقاط الأوطان في قبضة الأعداء.

ففي عام 1948 عقد مؤتمر بليتمور الذي حضره لفيف من قادة الصهيونية العالمية وفي مقدمتهم (ابن غوريون) وكان غرض المؤتمر وضع خطة تستهدف تنظيم ومضاعفة عمليات تزييف تاريخ العرب، وإخراج دراسات جديدة تحمل الشبهات وتتصل بمؤتمرات القرامطة والزنج والباطنية وإعادة طرح أفكارها في أفق الفكر الإسلامي ووصفها حركات تهدف إلى السلام وإلى العدالة الاجتماعية.

وفعلا ظهرت مؤلفات عديدة بأكثر من لغة تحاول تنفيذ ما جاء في هذا المؤتمر من توصيات.[1]

إن أعداء الأمة يريدون أن يحرفوا حركة التاريخ الإسلامي من الفعل إلى رد الفعل وأن يشغلوا الأمة بتفاصيل خلافية هامشية وتغييب قضاياها المركزية وعلى رأسها قضية العرب والمسلمين الأولى قضية "فلسطين" والقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ومما استوقفني في تراث الشيخ أحمد حماني - رحمه لله - تعقيبه الحاسم على الأستاذ عبد الله عنان وهو مؤرخ مصري وصاحب حضور وازن في ملتقيات الفكر الإسلامي عندما ألحق أعمال الأخوين عروج وخيرالدين بربروس في الجزائر بنوع من الاحتلال التركي للبلاد العربية والمغالاة أحيانا إلى درجة اعتبارهما من قراصنة المتوسط وربما شاط في المغالاة إلى حد تصنيفهما تحت بند الحرابة[2] فرد عليه الشيخ قائلا: "إن الأخوين عروج وخير الدين والقادة العظام من آل عثمان من أهل الجهاد لا من أهل الحرابة والفساد"[3] وانبرى رحمه الله يدافع عن وحدة الأمة الإسلامية التي ظل يعتبرها كالجسد الواحد واعتبر أن نجدة الإخوة بربروس للمستصرخين من أهل الأندلس والمغرب العربي تندرج في سياق نصرة المسلم لأخيه المسلم وحرمة تسليمه للاحتلال تحت أي عذر ووضّح الفرق بين المحارب المفسد في الأرض الذي يهاجم الموافق والمخالف له في الدين ويهاجم المسلم والذمي والمعاهد لأن غايته الحصول على الغنيمة ولا يهمه في أي يد يجدها والمجاهد في سبيل الله الذي يقاتل لإعلاء كلمة الله، يقاتل عن عقيدة صحيحة ونية صادقة

---

(1)- أحمد حماني. الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية، دار الشهاب : باتنة ، ص51.

(2)- أنظر محاضرة الأستاذ عبد الله عنان-" موقف قسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس. ملتقى الفكر الإسلامي التاسع بتلمسان – المجلد الأول، ص 259 – 275

(3)- أنظر تعقيب الشيخ أحمد حماني على الأستاذ عبد الله عنان، ملتقى الفكر الإسلامي التاسع، ص 399

ومبادئ قويمة لا يخل بالنظام ولا يفسد في الأرض، يلتزم في قتاله للأعداء مبادئ مقررة في الدين وقواعد ثابتة لا يحيد عنها وغايات شريفة يتوخاها [1] .

ii. استنهاض دور النخبة

لقد ساهم الشيخ أحمد حماني في تأسيس النخب الطلائعية الأولى في الجزائر منذ عودته من جامع الزيتونة بتونس سنة 1944 [2]، واستمر على هذا النهج يدعو فئة المثقفين من العلماء والمفكرين والأئمة وأساتذة الجامعات والمؤسسات التربوية، كتَّاب الصحافة وأهل الإذاعة والتلفزيون إلى الاضطلاع بالدور المنوط بهم في سبيل تنوير عقول النشء ورفع منسوب الوعي عند الجماهير وتوحيد الصف الوطني وتقليص هوة الخلاف بين أبناء الوطن الواحد وتوجيه الأمة نحو المثل العليا والقيم الإنسانية والأخلاقية التي دعا إليها الإسلام.

كما ألح - رحمه الله - على ضرورة توحيد منابر الجمعة داخل الجامع العتيق وألا يتصدر هذه المنابر إلا الأكفاء علما وخلقا وقدرة على التواصل بالحسنى مع الناس، لأن هؤلاء الأئمة في نظر العامة هم صورة الإسلام الحية التي تتحرك بينهم على الأرض [3] .

وكان الشيخ يتابع ما يكتب وما ينشر وما يبث عبر وسائل الإعلام ويعلق على ذلك أحيانا وكم كان يستفزه سقوط بعض المحسوبين على الثقافة عند مستوى من السذاجة القاتلة تكون فيها رؤيتهم للأمور أدنى من رؤية العامة لها فعوض أن يوجهوا العامة إلى الحق والصواب تجدهم ينتصرون لما عليه العامة من الانحراف والضلال ومن ذلك ما أورده في إحدى فتاويه تحت عنوان : أيكتب لنا مستشرقون أم مسلمون ؟ [4]، يقول : تساءلت مثل هذا السؤال بعدما أدرت مفتاح الإذاعة الوطنية ذات صباح ... فسمعت المذيع النشيط يقول : "عادة

---

(1)- المصدر نفسه ، ص 403

(2)- أنظر: أحمد حماني. صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، الجزء الثاني، ص 297

(3)- أنظر : فتاوى الشيخ أحمد حماني، منشورات قصر الكتاب –الجزء الأول، ص143 -146 .

(4)- قيدت هذه الفتوى بتاريخ : 27 فيفري 1993

موروثة كانت منتشرة فينا ورثناها عن الأجداد وهي إقامة حفلات الزردة يتهيأ لها الناس بجمع التبرعات والطعام والشراب والحيوانات، ثم يجتمعون في أيام بمكان ولي فينحرون البقر ويذبحون الشياه ويصنع الطعام الوفير اللذيذ وتقام الاحتفالات بالحضرة والآلات والتهوال والجذب ويتضرع إلى الأولياء والصالحين فيمدونهم بالبركات والخيرات، ثم انقطعت هذه العادة أيام الثورة من 1954 إلى 1962، لكنها عادت بعدها وكان الناس فيها قسمين، أنكرت ذلك جمعية العلماء وحرمته، وأباح ذلك الطرقيون وقال الشعب هي عادة لنا ورثناها عن الأولياء والصالحين؟ وتجيئنا منها بالخيرات والبركات بفضل دعائهم ورضاهم"[1]، إلى هنا ينتهي كلام المذيع فيعلق الشيخ حماني ساخرا - من فرط ألمه مما سمع- فيقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح المفيد للأمة وجمهور السامعين أما المذيع فاكتفى بالحياد والحكاية.

هذا هو حياد المثقف السلبي الذي استفز الشيخ فرد عليه غاضبا لاستباحة عقيدة الأمة بهذه الصورة السخيفة من صور الشرك التي كان قد أفنى أزهى سنوات عمره في مكافحته .

فقال: أفلا يحق لنا بعد سماع فحوى هذا الكلام أن نقول: هل يؤلفه مستشرق لنا؟ أم يقدمه مسلم ناصح لأمته ودينه ثم نتساءل: هل نحن أمة همجية ساذجة متأخرة لا نستوحي أعمالنا إلا من العادات المنحدرة من آبائنا وأجدادنا ولو كانت تعاويذ وشعوذات باطلة مثل الأمم التي تعيذ حتى شباكها في الملاعب بحروز تعلقها أو تدفنها لتقي الشباك من قذفات اللاعبين المهرة[2]؟

ولما كان الشيخ أحمد حماني من محبي كرة القدم فقد تابع يقول: "فهل وقتها من قذفات بلومي وماجر وعصاد ومزياني أو لالماس وعاشور وقموح وغيرهم؟ أم نحن أمة مسلمة ذات دين قويم وتعاليم واضحة وكتاب مبين؟ وأننا نؤمن بإله واحد لا

(1) - أحمد حماني. فتاوى الجزائر، تحقيق شوقي بناسي، دار ابن حزم، ص133 -134 .

(2) – أحمد حماني، فتاوى الجزائر ، تحقيق شوقي بناسي، دار ابن حزم،ص134 .

يقبل أن يشرك به شيء ولو من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين[1]: ﴿لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، سورة الزمر- الآية 65 .

إن إقامة هذه الزردات كانت من أثر التخلف والانحطاط والغفلة والجهل " ثم بين حكم الإسلام فيها بالدليل الواضح الذي لا يقبل التأويل .

كلمة أخيرة حول مسألة العلاقة بين المثقفين والسلطة،

لقد ظُلِمَ الشيخ أحمد حماني وأُوذِيَ كثيرا من بعض "الرويبضة" ممن كانوا يتنطعون أمام هذه القامات العلمية الشامخة ويقولون: هؤلاء من علماء السلطان يقصدون بذلك من باع دينه بدنياه واتبع هواه وأصبح إرضاء سلطانه عليه هو همه الوحيد، وقد رد الشيخ على هؤلاء في أدب رفيع مبينا أن اتصال العلماء بالحكام المسلمين ناصحين لهم هو من صميم الدين الإسلامي الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام : "الدين النصيحة ....."[2]، ويدعو الله فيه موسى وهارون عليهما السلام : ﴿ اَذْهَبَآ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، سورة طه- الآية 43،44 . ولله درك يا شيخنا وأنت ترد على هؤلاء قائلا : أجل أنا من علماء السلطان، " أما السلطان عندنا فهو فوقنا وفوق حكامنا إنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد إنه هو ولينا ومولانا، خالقنا ورازقنا ولا رب لنا سواه عليه توكلنا وإليه المصير"[3] .

هؤلاء هم علماء الأمة الذين فكروا ونوروا وحرروا العقول والأوطان، وأولئك هم حثالة الأمة الذين كفروا وفخخوا وفجروا المساكن والأبدان .

هؤلاء اعتقدوا أن الجنة لا تفتح إلا لمن ذهب إلى ربه موحدا بقلب سليم من الرياء والنفاق والتملق، وأولئك اعتقدوا أن أبواب الجنة لا تقرع إلا بجماجم الأبرياء فانظروا أي الفريقين أبقى في هذا الوطن .

---

(1)- أحمد حماني، المصدر نفسه.

(2)- عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الدين النصيحة "قلنا لمن ؟ قال : "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " أخرجه مسلم (196) 95 – (55).

(3)- أحمد حماني .الفتاوي.الجزء الأول.ص22

إن الشيخ أحمد حماني اليوم هو عنوان ملتقى وطني كبير وسيظل أحد الهامات المتجذرة في أرض الجزائر وأحد النجوم السيارة في سمائها وإن مجتمعا يعق علماءه ويزدري مفكريه ويهزأ من رجال الإصلاح فيه مجتمع يفقد روحه التي بين جنبيه.

وكلمة "الشيخ" في الذاكرة الشعبية الجزائرية عباءة جامعة لكل معاني الخير والنبل والحكمة فما أحوجنا اليوم إلى عباءة الشيخ أحمد حماني - رحمه الله - من علماء الوحدة نفتقده ونشعر بفقده إننا كالأيتام على موائد اللئام. علماؤنا ساداتنا فعضوا عليهم بالنواجذ.

أيها الإخوة الكرام، ضاقت الكلمات أن تحتوي مجاهدا بحجم وطن وعالما بحجم أمة .

رحم الله الشيخ أحمد حماني وجزاه عنا خير الجزاء

الشيخ أحمد حماني والاستقرار الاجتماعي" الأسرة نموذجا"

أ.د. بلقاسم شتوان
جامعة قسنطينة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

اقتضت حكمة الله في خلقه أن يكتب للمخلصين من عباده وأوليائه الذكر بعد رحيلهم من الحياة الدنيا إلى الدار الآخرة، وذلك لما قدموه من عمل صالح في حياتهم الدنيوية، فلا ينقطع ذكرهم عن الألسن ولا يتوقف انبعاث شذى عطرهم الفواح عن أعمالهم الصالحة جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعو له**)[1]، ثم أما بعد:

فإننا نتقدم إلى ملتقاكم المبارك بهذه الورقة العلمية الموسومة بـ : "الشيخ أحمد حماني و **الاستقرار الاجتماعي- الأسرة نموذجا -"**

1 ـ مقدمة : إن الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع، والاستقرار الأسري يعد عاملا مهما لأجل استقرار المجتمع ككل، والأسرة المكونة من الأب والأم والأبناء خاضعة للتفاعل بين هذه الأطراف فإما أن يكون هذا التفاعل إيجابيا فتتقدّم الأسرة وتنتج أبناء صالحين وإما أن يكون سلبيا فتصبح أسرة مريضة تهدد استقرار المجتمع الآمن بإنتاجها. وإن من أهم أدوات الاستقرار الأسري هو التواصل والحديث والحوار، إذ أن من صفات الأسر المريضة أن لا اتصال ولا

1- مسلم، صحيح مسلم ، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد الموت، طبعة دار الكتاب العربي ص 684 رقم الحديث 4223

تواصل بين أفرادها إلا قليلا بحيث يكون غير مباشر وغير واضح، ولا صدق فيه؟ كما في الأسرة الصحية التي يكون التواصل بين أفرادها مباشرا وواضحا ومحددا وصادقا .

فالأبناء الذين يتميزون بالشخصية، هم نتاج التفاعل الأسري الذي يعيشون فيه، والذي يرجع إلى طريقة الحوار بين الزوجين "**الرجل الأب، والمرأة الأم**" ومهارات تعاملهم وتعاطيهم مع أولادهم ومشاركتهم في حل مشكلاتهم التي تأثروا بها لحد كبير في النشأة الأسرية والبيئة الطبيعية التي عاشوا فيها والتربية الأخلاقية الحسنة التي درجوا عليها.

فلاشك أن الحديث مع الأبناء والحوار والنقاش والإنصات والأداء الجسدي في التواصل والعقاب والتوبيخ واللوم والتشجيع والأسئلة والتوجيهات التي قدمت كلها تخضع لدرجة وعي ولي الأمر"**الأب والأم**" و إدراجها ضمن دائرة التفاعل الأسري تكمن قيمته في مقداره وطريقته ووقته ومناسبته لأن الحوار والحديث هما إحدى أدوات التربية، فيجب أن يكونا مبنيّين على العلم والوعي والإدراك السليم، لأن التربية المثالية هي الأبوة والأمومة المبنية على المناهج التربوية الصحيحة، بل إنها التربية المبنية على أساس الفعل وليس على رد الفعل، وعلى المعرفة وليس على الصدفة، وعلى المراعاة والتفاهم وليس على الغضب والعنف، بل على حسن الفهم والفطرة السليمة .

لذلك نجد أن الطفل العدواني هو نتاج لخلل أسري حاد كما أنه ينتمي إلى بيت يفتقد الدفء، والرحمة والحنان المقبول غير المشروط، والانضباط المستمر غير العنيف، وعدم غياب القدوة المناسبة.

وعليه فإنه يمكننا حصر الأسس التي تحقق الاستقرار الأسري في الأسرة والمجتمع هي :

1. الرفق والرحمة بالأبناء ومراعاة أحوالهم وطاقاتهم .
2. الأناة وعدم العجلة وتكرار النصح والتوجيه بأساليب مختلفة بعيدا عن الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ أبي سعيد الخدري،

قَالَ : قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة)[1]

3. المرونة والتيسير في غير إثم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا)[(2)]
4. التوسط والاعتدال في التربية .
5. العدل في المعاملة .
6. القدوة الحسنة من الوالدين .
7. مساعدة الأبناء على البر وأداء الحقوق .
8. البعد عن كثرة اللوم والتركيز على التشجيع والحوافز الطيبة .
9. دعاء الوالدين لأبنائهم بالتوفيق والنجاح.

2 ـ معنى الأسرة:

يقصد بالأسرة في اللغة أنها الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، وأيضا بمعنى الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وهذه المعاني تلتقي في معنى واحد يجمعها هو قوة الارتباط. غير أن معنى الأسرة لم يعد يقصد به الأهل والعشيرة، وإنما أصبح يقصد به الزوج والزوجة والأولاد[3].

فالأسرة بمثابة جماعة بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة تقوم بينهما روابط زواجية وأبناء، ويطلق على هذا الشكل مصطلح الأسرة النووية أو الأسرة المباشرة أو الأولية أو المحددة، ويتفق معظم علماء النفس والاجتماع على أن هذا الشكل البسيط للأسرة ينتشر في كافة المجتمعات. كما يرى البعض أن الأسرة

1- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب الحلم، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص695 رقم الحديث 4188، صحيح

2- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، دار الكتاب العربي، ص 21 رقم الحديث 39 .

3- د. رشاد علي عبد العزيز موسى، سيكولوجية القهر الأسري، 86

مجموعة من الأشخاص ارتبط بعضهم ببعض من خلال مجموعة من الأدوار الاجتماعية، التي تمثل أدوار الزوج ـ والزوجة ـ الأم ـ الأب ـ الابن ـ البنت ـ الأخ، ضمن ثقافتهم المشتركة[1] .

فمن خلال هذه التعريفات نجد أن الأسرة تمثل الخلية الأولى لتكوين الجماعة، التي هي أساس المجتمع البشري واستقراره، لأجل ذلك إذا حدث خلل أو انحلال في الروابط الأسرية نتجت عن ذلك مخاطر كثيرة وحوادث عديدة والتي منها السرقة والإدمان والزنا والاغتصاب، الجريمة وغيره.

فالشيخ الأستاذ أحمد حماني لم يغفل عن هذا الأمر الخطير الذي يمس الأسرة من بعيد أو قريب، وهذا الخطر الذي يداهم الأسرة يتمثل في المفاجأة التي حذر منها علماؤنا المخلصون ومنهم شيخنا المرحوم أحمد حماني الذي تنبه إلى المفهوم الجديد للأسرة والذي تروّج له بعض المؤسسات الدولية كأجهزة الأمم المتحدة، وبعض مؤسسات المجتمع المدني العالمي حيث تعرّف الأسرة: " بأنها رابطة اختيارية بإرادة حرة بين أي اثنين يرغبان في الارتباط والمعيشة المشتركة"، ومعنى هذا إسقاط عدة أسس واعتبارات مهمة بهذا التعريف للأسرة، بالرغم من أن كل الأديان السماوية، وأغلب النحل الوضعية تؤسس للأسرة على أساس ديني كرابطة أو عقد بين رجل وامرأة يقوم على أساس المعايير والأركان والشروط الشرعية لكل طرف من أطراف العلاقة " الرجل والمرأة " لأن هذه النظرة ترتكز على منظور شرعي وقبول اجتماعي، وكل من أهل الزوج والزوجة. ومن أهم هذه الإسقاطات التي جاءت بها المؤسسات الدولية، والمجتمع المدني هي:

1) إسقاط شرط الانطلاق من دين أو بناء شرعي .
2) إسقاط شرط أن يكون أحد أعضاء العقد ذكر والآخر أنثى ـ حيث يمكن أن تتألف الأسرة من الذكور (لواطا) أومن إناث (سحاقا)
3) إسقاط أهمية رضا الأهل وخاصة ولي المرأة

1- جوهري عبد الهادي، مدخل لدراسة المجتمع القاهرة مكتبة النهضة 1984م

4) إسقاط شرط القبول الاجتماعي، أو الإشهار، أو الإعلام الثقافي عن إتمام أو إشهار الزواج
5) إسقاط ما يترتب على هذا العقد من حقوق وواجبات كالإنفاق والسكن وغيره
6) إسقاط ما يترتب على هذه العلاقة من أبناء، يمكن أن تتكفل بهم الدولة أو مؤسساتها المدنية
7) ارتباط المرأة بمؤسسة الأسرة نوع من العبودية لها
8) زواج المرأة وارتباطها برجل واحد نوع من العبودية كذلك
9) إنجاب المرأة هو نوع من العبودية
10) رعاية المرأة لزوجها وأولادها ووقف نفسها عليهم شكل من أشكال العبودية
11) يجب أن يعطى للمرأة الحق في كل أشكال الحرية : ومنها حرية استخدام جسدها، وحرية الارتباط بأنثى مثلها
12) طاعة الزوجة لزوجها ووقف نفسها عليه وحده دون سواه انتهاك لحريتها وهو شكل من أشكال العبودية.

والذي نخلص إليه مما تقدم أن هذا المفهوم المستحدث للأسرة يمارس فعلا في الغرب والشرق تحت شعارات براقة منها :

1) الديمقراطية وحقوق المرأة
2) حرية استخدام الجسد
3) الحريات الشخصية
4) رفع الوصاية على المرأة سواء أكانت إلهية أم أسرية أم اجتماعية[1]، وهذا المفهوم يصدّر إلى المجتمعات الإسلامية بشكل أو بآخر لأجل القضاء على

1- د/ نبيل السماوطي، الإسلام والقضايا الاجتماعية المعاصرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 2009م ص 11- 12 – 19 -ينظر : د- بلقاسم شتوان ظاهرة الطلاق في المجتمع الجزائري، أسبابها آثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، دراسة فقهية اجتماعية، مطبعة المنار، ط:1، 2010م الجزائر ص111

نظام الأسرة في المجتمعات الإسلامية والذي يؤدي بدوره إلى الانحلال الخلقي والتفكك الأسري وضياع النسل وجنوح الأولاد وانتشار الجرائم في المجتمع.

والذي نلاحظه أن شيخنا الأستاذ أحمد حماني رحمه الله تعالى كان متفهما جدا لما يحاك ضد لأسرة الجزائرية من مكايد ودسائس باسم حقوق المرأة وحقوق الإنسان ضمن ما تدعو له الديمقراطية المزعومة، وهذا يتجلى بوضوح ما تضمنته رسالته الموجهة للسيد الشريف مساعدية عضو اللجنة المركزية وأمين اللجنة الدائمة للحزب بمناسبة ملاحظاته على الأبواب الثلاثة لملف السياسة الوطنية للأسرة وخاصة الفصل الثالث منها."وفحوى الرسالة هو " : عفوا - أخي - إذا سمحت لنفسي - أن أوجه إليكم هذه الكلمة بمقتضى المسؤولية الخطيرة التي تتحملونها - بل نتحملها جميعا - في هذه الظروف الدقيقة التي نمر بها، والتي سيكون لها آثار بعيدة في مستقبل الأمة. وإني أعتبر هذه الكلمة من باب التذكير، ومن باب التواصي بالحق، والمؤمنون مأمورون بهما.

إن أمتنا مسلمة شديدة التمسك بدينها، يشهد لها بذلك ماضيها الطويل، وواقعها الحاضر، وجهادها المتواصل والميثاق الوطني المؤكد. والدستور الواضح، والإدارة المصممة من قمتنا، ومن قاعدتنا المتيقظة .

وإن مشروع قانون الأسرة المعروض يجب أن يؤكد هذا، ويثبته بصورة واضحة لا لبس فيها، فهو الذي يصّدق أو يكذّب .

وكنت قد ألفت النظر - مشافهة في جلسات رسمية، وفي كتابة رسالة وملاحظات مفصلة - بأن في مقدمة المشروع الحالي، وفي صلبه ما قد لا يتفق مع تعاليم ديننا، ونصوص كتابنا، أو سنة نبينا، أو الكتب المعتمدة في فقهنا، وحتى في أركان النكاح وعقد الزواج الذي يجعل الصلة الجنسية حلالا، والأولاد شرعيين، وفي الطلاق الذي يفصم العقد، ويحرم الاتصال وينفي الولد.

وإني أرى أن هذا من واجبي كمواطن وكعضو في اللجنة وكمسؤول في هيئة يقع تحت اختصاصها، ولا أكون ناصحا لإمام المسلمين ولعامتهم لو لم أقم بذلك. ولكن رأيت في اتجاه أفراد، ما ينكر مثل هذا أو يجادل فيه.

إني أؤكد لكم، أن مثل هذه المهمة الخطيرة، وهي معرفة ما يماشي الشريعة، وما يناقضها، إنما يجب أن يرجع فيه إلى هيئة مختصة معتمدة موثوق بها، مكلفة من الدولة، بقطع النظر عن الشخصيات. كما أنّ تنفيذ ذلك - في القضاء - يوجب أن يسند إلى موثوق بهم في دينهم وسلوكهم. وبهذا نتجنب العثرات، والوقوع في المحظورات.

ونسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته- بتاريخ 02/ 06/1983م"، ثم يقول : " إن التناقص بين القصور الأخلاقي، والواقع المعيش يدعو إلى كثير من الاهتمام، ومن المعلوم المسلم به، أن القوانين التي تتجاهل الواقع في كل جزيئاته، تصبح قوانين نظرية، في انعزال عن الحياة، ولا يختلف الفقه الإسلامي في هذه القاعدة عن المنظومات القانونية الأخر ى".[1]

فمن خلال هذا المبدأ الصريح المعلن من غير خوف أو تزلّف لحاكم أو غيره ومن باب إبداء النصيحة للحاكم كما يقول جاءت ملاحظاته على الفصل الثالث على مشروع **ملف السياسة الوطنية** المسوم بـ " **الأسرة والمجتمع:** مجسدة لهذا المبدأ لتحصين الأسرة من التفكك الأسري وعلاج مشكلة الطلاق وتعدد الزوجات والإهمال الأسري. ومشكلة سكن الزوجة المطلقة الحاضنة، و**عمل المرأة** لأن تكسبها خارج البيت الزوجي له تأثير مزدوج على الاستقرار الأسري الذي يؤدي إلى عدم الاستقرار وذلك نتيجة انشغالها بالعمل لفترات معينة من الصباح إلى المساء إذا كانت إدارية أو عاملة في المصانع وغيره، وقد يأخذ وقت العمل منها فترة الصباح أو المساء إذا كانت تعمل مدرّسة أو أستاذة، وربما تعمل بالليل وتستريح

1- ينظر الشيخ حماني، كتاب : تأليف مشترك من طرف أساتذة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بمناسبة تخرج الدفعة الخامسة عشر، أفريل 2008 م، ص 78

بالنهار إذا كانت طبيبة أو ممرضة. وعليه فإن عمل المرأة مهما كانت صوره وأوقاته يؤثر على استقرار الأسرة. وكذلك الآفات الاجتماعية التي تؤثر سلبا على استقرار الأسرة الذي يؤدي بدوره إلى عدم استقرار المجتمع كمحاربة المشعوذين والسحرة الذين يفرقون بين المرء وزوجه المنتشر بكثافة في المجتمع الجزائري وخاصة الطبقة بين الدنيا غير المتعلمة التي تتمسك ببعض المعتقدات والانحرافات الخلقية التي تؤثر سلبا على استقرار الأسرة والمجتمع معا. وكذلك **الإشباع الجنسي بين الزوجين :**لأنه أيضا من العوامل المهمة لمظاهر عدم الاستقرار الزواجي، فقد يؤدي إلى الطلاق وتفكك الأسرة، كما أنه يعد الوسيلة المشروعة لإشباع الرغبات وتلبية الحاجات الغريزية الطبيعية المشروعة، وقد بينت الدراسات أن الإشباع الجنسي يكون عاليا لدى الشباب المتزوجين حديثا وخاصة في المجتمع الريفي والحضري حيث تكون المغريات التي تدفع إلى الإشباع الجنسي.

فالإشباع الزواجي من المنظور الشرعي هو نعمة من الله تعالى ينجم عنها التمازج الزواجي بين الزوجين، لقول الله تعالى : ﴿ **نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾[2]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها ولو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه)**[3]، وقوله : **(إذا دعا الرجل امرأته ولو كانت على قتب)**[4]، وأما من الناحية الاجتماعية فإن ضعف الإشباع الزواجي والعجز الجنسي قد تترتب عليه مشاكل كثيرة تؤدي بالزوج الضعيف جنسيا

1- سورة البقرة، الآية 223

2- سورة البقرة آية187

3- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص 323 رقم 1853 درجته حسن صحيح

4- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص 323 رقم 1853 درجته حسن صحيح

والمعيب إلى الطلاق وتفكك الأسرة. وكذلك العنف الأسري ضد الزوجة الذي ينشأ على أسباب كثيرة منها:

1) تدخل أهل الزوجين في حياتهما العامة والخاصة وتحريض طرف على آخر
2) بدعوة الزوج إلى التعدد على زوجته وتشجيع ذلك من أسرة الزوج كالأم والأب وغيرهما.
3) الغيرة المفرطة من الزوجة
4) الشك والريبة في سلوكيات الزوج من طرف الزوجة أو العكس.
5) عدم احترام أحد الزوجين للآخر
6) عدم قيام أحد الطرفين بالأدوار المنوطة به
7) **الإدمان (الكحول والمخدرات والأقراص المهلوسة)**، فتعاطي المشروبات الكحولية والمخدرات وغيرها من المواد المغيبة للعقل أحد عوامل العنف الأسري، فبمجرد فقد الزوج عقله تظهر عدوانيته على زوجته وأولاده بالسب والشتم والضرب وغيره كما أن إدمان المخدرات وشرب الكحوليات يكون سببا في العنف بين الأزواج كما يكون أيضا سببا في الكرب الزواجي الذي يؤدي في الأخير إلى الاختلال في العلاقة الزوجية ثم إلى الطلاق والتفكك الأسري[1].
8) **الأمراض النفسية** : فالمرض النفسي من الأسباب التي تدفع بالزوج للعنف ضد زوجته وأولاده وأفراد الأسرة الآخرين، وقد يكون ذلك في حالة عدم انتظامه في العلاج، أو انقطاعه عنه، لأنه يصبح في حالة شك وغيرة، كما يكون سريع الغضب والانفعال وذلك لمرضه العصبي الذي يدفعه لاستخدام العنف ضد زوجته وأطفاله وغيرهم[2] .

1- د. صفاء إسماعيل مرسي، الاختلالات الزوجية، الأسباب والعواقب – والوقاية والعلاج، طبعة، إيترك للنشر والتوزيع، ص114.

2- علياء شكري ، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع، ص 248 م - دكتورة سلوى عبد الحميد الخطيب، نظرة في علم الاجتماع الأسري ص 234 .

فالشيخ حماني رحمه الله لاحظ هذه الأمور كلها في الفصل الأول والثالث على مشروع السياسة الوطنية للأسرة وذلك كالآتي:

الباب الأول:

يقول الشيخ رحمه الله تعالى : تناول جانب التطور التاريخي للأسرة الجزائرية، ولم يبخس أمتنا ما تستحقه من تنويه بفضائلها، ومنها تمسكها الشديد بشخصيتها واعتزازها، من دين ولغة وأخلاق سامية، وعادات جميلة، وقد كتب بأسلوب علمي هادئ، ولهجة صدق.

الباب الثاني:

يقول الشيخ رحمه الله تعالى : هذا الباب هو أهم أبواب ملف الأسرة، لأنه يتضمن صلتها بدينها، وعلاقتها بالشريعة الإسلامية.

الملاحظات:

يقول: بعض الملاحظات هين، يمكن تداركه بسهولة. وبعضها أساسي لا يمكن السكوت عنه ولا يجوز إقراره، وفي ما يلي بيان ذلك:

الملاحظة الأولى: في آخر صفحة 39 في الفصل الأول وردت عبارة) : **أسهب القرآن.**

المقترح: حذف كلمة أسهب، واستعمال كلمة **فصل**.

لماذا؟ لأنها توهم مالا يليق بالقرآن، وكلمة (فصل) قرآنية.

الملاحظة الثانية: أركان النكاح في الصفحات 42- 43- 44- 45: أركان النكاح كما وردت في النص ـ فيها نقص وزيادة : نقص منها اثنان من أربعة وهما: الولي ـ والصيغة. الولي : ورد في صفحة 44 أن الولي مستحسن .

المقترح : تعوضه بكلمة : (إن الولي ركن ولا يتم الزواج إلا به)

لماذا ؟ لأن هذا نص صاحب الشريعة.

الملاحظة الثالثة أهمل ذكر الصيغة تماما، ومن الواجب تداركها .

المقترح، هي الإيجاب والقبول بين ولي الزوجة والزوج أو من ينوب عليه ـ من أركان الزواج .

لماذا ؟ لأن الصيغة من أركان النكاح، ولا يكفي فيها قبول الزوجة والزوج، فذلك شيء آخر[1] .

الملاحظة الرابعة : الإشهاد شرط وليس بركن، لأن النكاح صحيح بدونه، لو اعترفا به[2]

المقترح : إن وقع الدخول بدونه فسخ النكاح بطلقة من القاضي وعوقب الزوجان، إلا أن يشتهر النكاح بغناء ودف أو شاهد واحد ويلحق الولد إن كان .

لماذا ؟ مادام النكاح يفسخ بطلقة، فالولد يلحق.

الملاحظة الخامسة : نكاح السر هو الذي يكتمه الزوج عن زوجته الأولى ، ويوصي الشاهدين بكتمانه ، يفسخ هذا النكاح ، ويعاقب الزوجان ، والشهود إلا أن يطول أو تلد الأولاد .

المقترح : ينص على اعتباره، وتصحيحه إن دخل بها .

لماذا ؟ حرصا على مصلحة المرأة ولحاق الولد[3]

الملاحظة السادسة : جاء في ص 45، ما نصه : يجب تسجيل الزواج في دفتر الحالة المدنية للاعتداد به في القضاء.

1- لعل الأستاذ الشيخ يؤكد حق ولي الزوجة الذي قرره الشرع له. وكذلك حق أقارب الزوج في إدخال من يرضون في أسرهم .وهذا الأمر معروف في أعراف الناس.

2- بالرغم من الملاحظة التي قدمت من رئيس المجلس الإسلامي الأعلى فإن المشرع الجزائري لم يعمل بها وأبقى على أن الإشهاد ركن في الزواج فما أدري ما تعليله لذلك ؟ أنظر قانون الأسرة الجزائري أركان الزواج المادة 9ـ ط ـ ديوان المطبوعات الجامعية ص8

3- تحقيق مصلحة الطرف الضعيف ـ الزوجة والولد ـ أولى في نظرنا من فسخ الزواج. ونرى أن حق الزوجة الأولى التي لم تعلم بالزواج محفوظ بالمادة 8 من قانون الأسرة ص8

المقترح : يجب حذف كلمة ((للاعتداد به في القضاء)) وتعوض الصيغة بما يأتي : إن هذا التسجيل إجراء مدني يعاقب على إهماله ، ولكن لا يمنع من صحة الزواج، إن توفرت أركانه.

لماذا ؟ لأن قبول النص كما هو يجعل التسجيل ركنا من الأركان ـ ولأن القضاء عليه أن يعتبر ما اعتبره الشرع ، ويرفض ما رفضه الشرع . ـ ومادامت الأركان متوفرة فعليه القول .

ـ ولأن الزوجة هي الخاسرة فاتت سلعتها وبطل نكاحها .

ـ ولأن الأولاد ـ في حالة وجودهم ـ ينكر عليهم نسبهم الشرعي .

ـ ولأن البيع والشراء يثبته القضاء نفسه، إذا تم عنده ولا يشترط تسجيله[1]

الملاحظة السابعة : تعدد الزوجات : جاء في صفحة ـ 45 ـ : (إذا خرج التعدد عما تمليه الشريعة وما يقتضيه العدل، وما تفرضه الضرورات، في ظروف معينة، فقد أصبح بغيضا لدى الشرع، ولدى الناس).

المقترح : تعدل الصيغة هكذا :إذا خرج التعدد عما تمليه الشريعة، وهو العدل في المعاملة، أو الخوف من عدم العدل، حرم، وتدخل القضاء لإبطاله. ويحذف منه الجزء الأخير .

لماذا ؟ لأننا نقف عند النص، ولا نزيد قيودا ولا ننقص، ولا نقبح إلا ما قبحه الشرع .

الملاحظة الثامنة : جاء في هذه الصفحة قول المشرع :(ومن الموانع ـ التي تعتبر في الزواج السليم، الأسباب التي تسيء للزواج أو تمنعه ـ الأمراض المعدية، وما إلى ذلك من ا لعيوب)..

1- حسنا فعل المشرع الجزائري لما اخذ بهذه الملاحظة القيمة في قانون الأسرة المادة 22 ـ ص 12 .لأن الجزائريين كانوا يبغضون الاستعمار الفرنسي ويبغضون إدارته فيتهربون من تسجيل عقودهم وخاصة عقود الزواج فتعارفوا على ذلك والآن وهم ينعمون بالحرية والعزة فيوطنهم فعلى القائمين على شؤونه أن يجعلوا الإدارة في خدمته لا أن يجعلوه في خدمة !!!! وذلك بتشريع قوانين مناسبة لتحقيق مصلحته.

المقترح:ومن الأشياء التي قد تضر بالزواج، وتسيء إلى أحد الزوجين الأمراض المعدية الخ.

لماذا ؟ لأن استعمال كلمة المنع هنا في غير محله، فالمنع من الزواج تحريم له، والشرع وحده، هو الذي يحلل أو يحرم، وليس في نصوص الشرع منع زواج المريض. لأن وسيلة العلاج تقطع كل داء، ولا تقبل وسيلة تزيدنا مصائب .

الملاحظة التاسعة : في الصفحة 46، (ويستحسن إثبات الكفاءة الصحية للزواج قبل وقوعه)

المقترح :حذف هذه الفقرة .

لماذا ؟ لأن اشتراط ذلك في كل زواج فيه حرج عظيم على الأمة .

الملاحظة العاشرة : في صفحة 48 ـ 49، جاء: (الكفالة الشرعية... والكفالة تقوم مقام التبني)

المقترح :

1 ـ زيادة كلمة : بعد إعطائه لقبا، تكون هكذا : (مع إعطائه لقبا غير لقب من كفله)

2 ـ حذف الجملة الثانية تماما وهي : (والكفالة تقوم مقام التبني)

لماذا ؟ لأن قضية التبني لا تقبل جدالا ، ولابد من النص على أنه لا يجوز بحال أن يعطى اسم مربيه . ولا يقبل إن سمي التبني بغير اسمه .

الملاحظة الحادية عشرة : في الصفحة 50، في أول فقرة جاء النص هكذا : "النفقة واجب محتوم من الزوج لزوجته وأبنائه حسب الإمكانيات المتوفرة لدى الزوج" .

المقترح : تعديل هذه الفقرة لتصبح هكذا :"النفقة واجب محتوم من الزوج لزوجته في كل حال ومن الآباء على الأبناء، والأبناء على الآباء بشرط الفقر في كل" .

الملاحظة الثانية عشرة : في الصفحة 50، أيضا جاء هذا النص : "إن للزوجة حقا في العمل، والكسب على أساس التراضي بين الزوجين وتساهم بناء على ذلك في تكاليف البيت"، ثم جاء أخيرا قول النص : " يمكنها - أي الزوجة- أن تأخذ أموالها بقدر ما ساهمت عند وفاة الزوج قبل توزيع الإرث على الورثة".

المقترح : يجب حذف هذا النص الأخير .

لماذا ؟ لأن هذا النص غير ضروري، فإن الشرع الإسلامي يعطيها جميع أموالها الخاصة بها، وعليها أن تثبت ذلك بوسائل الإثبات عند التنازع.

الملاحظة الثالثة عشرة : الطلاق والتطليق : الصفحة 53، جاء آخر الصفحة : (وقد اعتبر الإسلام الطلاق أبغض الحلال إلى الله، لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى)

المقترح : حذف كلمة (القصوى) وتعديل النص هكذا: وتكون الصيغة هكذا : لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة كالخصام، وعدم الألفة.

لماذا ؟ لأن الطلاق قد يلجأ إليه لأسباب كثيرة لا تبلغ حد الضرورة القصوى، وقد يكون فيه خير للزوجة أو لكيلهما، وبعد محاولة الصلح، ومع حرمة ظلم الزوجة له، وظلمها لزوجها، فقد تكون الراحة في الافتراق، قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ** ﴾[1]، أما المسيحية فقد جعلت الطلاق ممنوعا بتاتا إلا في حالة إثبات الخيانة الزوجية .

الملاحظة الرابعة عشرة: في الصفحة 54، **(** وقد يحصل الطلاق إما بفك العصمة أو بحق الزوجة في التطليق، وإما بالتراضي بين الزوجين أو بحكم قضائي).

المقترح : تعديل الفقرة هكذا :

1 ـ يحصل الطلاق إذا أوقعه الزوج وهو في كامل وعيه طائعا مختارا، ويحصل إذا أوقعه القاضي ـ بعد الرفع إليه ـ لسبب من الأسباب الشرعية ـ كالإضرار

1- سورة النساء، الآية 130

والغيبة، ويحصل ـ خلعا ـ باتفاق بين الزوجين على عوض، ولها أن ترجع فيه إذا أثبتت الضرر .

2 ـ ويثبت الطلاق بشهادة عدلين، أو بإقرار الزوجين، أو باعتراف الزوج أنه طلق .

3 ـ إذا ادعت الزوجة أنه طلق ، وأنكر الزوج فعليها البينة.

4ـ إذا ثبت الطلاق، وصادف الثلاث، فليس للقضاء أن يحكم بالمراجعة لأنها لا تحل له.

لماذا ؟ العصمة بيد الزوج، فإذا طلق وقع عليه الطلاق، وحرمت عليه إلا بمراجعة صحيحة، ويستطيع القاضي، أن يوقع الطلاق، لسبب من الأسباب، كالضرر أو بالهجر، أو بالشتم ولا يشترط في صحة الطلاق شرعا الوقوف أمام الحاكم[1]، كما لا يجوز للقاضي أن يحكم بالرجوع إذا صادف الثلاث ، بدعوى أنه لم يحكم به القضاء .

إن هذه قضية أساسية، إهمالها يؤدي إلى تحليل ما حرم الله بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ..**﴾[2] ثم قال : ﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** ﴾[3]

الملاحظة الخامسة عشرة:

الصفحة 54، العدة : جاء النص هكذا :

(واحترام العدة، وهي الأجل الذي حدده الشرع لإنقاذ ما بقي من آثار الزواج)

1- صحيح الطلاق يقع صحيحا إذا أوقعه الزوج وكان طائعا مختارا ولا يشترط في صحته الوقوف أمام الحاكم. ولكن إذا اشد الخصام بين الزوجين ووقف كلاهما أمام الحاكم وثبت لديه طلاق الزوج فالحاكم يقضي بحل مشاكل الزوجين العالقة بينهما لأن هذه الظاهرة في مجتمعنا مطردة لا يجهلها أحد. فقد لا يقف الزوجان أمام الحاكم بسبب طلاق الزوج وإنما بسبب عدم قيام الزوج بأداء ما عليه من حقوق ترتبت على الطلاق.

2- سورة البقرة، الآية 229 .

3- سورة البقرة، الآية 230 .

الاقتراح : تعديل النص هكذا ك :(واحترام العدة ، كما جاء في كتاب الله، بالإقراء في حال الحيض، وبوضع الحمل في حال الحمل، وبالشهور للتي لا تحيض ولا هي حامل[1]

لماذا ؟

لابد من بيان كاف، لأن بعض الناس، يحب أن يجعل من تحيض تعتد بالأشهر أيضا، خلاف صريح للقرآن .

الملاحظة السادسة عشرة :

في الصفحة 54، الحضانة: في أول الكلام جاء النص هكذا : (وتترتب الحضانة على الطلاق، إذا كان للزوجين المنفصلين أبناء أو بنات)

المقترح: تعديل النص هكذا : "وتترتب الحضانة على الوفاة ،أو على الطلاق إذا كان للزوج المتوفى، أو المطلق أبناء أو بنات الخ ..."

لماذا ؟ لأن الحضانة، كما تكون في حالة الطلاق، تكون في حالة الوفاة، وقد يقع فيها تنازع بين الزوجة أم الأبناء والبنات وبين زوجها المطلق، أو أهله إذا كان متوفى.

الملاحظة السابعة عشر :

صفحة 55 ، الحضانة ،السطر الثاني من الصفحة

(يراعي في ذلك كله، مصلحة الطفل في التربية، والنشأة الصالحة بدنيا ونفسيا.

المقترح : يراعي في ذلك كله، مصلحة الطفل في التربية، والنشأة الصالحة، في دينه، وخلقه، وبدنه، فلا تحضن كافرة، ولا فاسقة، طفلا مسلما)

لماذا؟ إذا كانت الأم كافرة، فلا ينبغي أن يحكم لها بالحضانة، فإنها قد تربي ابنها أو ابنتها في غيبة زوجها وآ له، على لحم الخنزير وعلى الخمر، وعلى الرقص والفجور. والأمانة والديانة من شروط الحاضن .

1- من النساء المعتدات اللائي لا يحيض:كالمسنة اليائس ، والصغيرة غير البالغ، والبهراء وهي : المرأة التي لا تحيض وهي في سن البلوغ.

الباب الثالث
الأســرة والمجتمـــع

في هذا الباب أشياء تسترعي الانتباه ، منها ما يأتي :

الملاحظة الثامنة عشرة :

الصفحة 57، جاء النص هكذا :(الزواج كظاهرة اجتماعية سائرة)

المقترح : (الزواج كظاهرة اجتماعية نظمتها الشريعة الإسلامية، ورغبت فيها)

لماذا ؟ ليس الزواج ظاهرة اجتماعية فحسب، ولكنه سنة إسلامية، نظمتها الشريعة، ورغبت في أغراضها، وأهمها – مع المتعة الحلال – حفظ الأخلاق من الانحلال، وحفظ كيان الأمة من الاضمحلال .

الملاحظة التاسعة عشرة :

النص : فحص الزوجين عند الزواج

(ينبغي العناية بفحص الزوجين عند الزواج، لتفادي تأثير الأمراض المعدية والموروثة) .

المقترح : حذف هذا النص إذا كان المراد به فرض هذا الفحص، على كل زواج

لماذا ؟ لأن فيه حرجا ((جديدا)) على الشعب، دون فائدة عملية .

الملاحظة العشرون :

صفحة 65، (وإنما يجوز شرعا العزل، وما يمثله من استعمال موانع الحمل، المؤقتة في ذلك بالنسبة للرجل أو المرأة)

المقترح : حذف هذا النص تماما، وخصوصا كلمة (وما يمثله من استعمال موانع الحمل المؤقتة..

لماذا ؟ العزل فيه نص مختلف فيه ، أما موانع الحمل فلا نص فيها، ولا نستطيع أن نقررها لشدة خطرها، إن عاجلا أو آجلا .

الملاحظة الواحدة والعشرون :

صفحة 65، جاء النص : (أما الكثرة التي هي بمثابة غثاء السيل – كما ورد في الحديث النبوي – فهي كثرة مضرة .. وإنما تزيد الناس فقرا عن فقر ، وجهلا على جهل ، وضعفا عن ضعف، وتخلفا على تخلف .)

المقترح : حذف هذا النص، ووجوب اختفاء ذكر الحديث منه، ومناقضته لما جاء في الباب الأول صفحتي 11 و 12.

لماذا ؟

1- وضع حديث النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموضع، فيه جرأة كبيرة وتحريف، والجهل بالحديث خير من تحريفه .

2- مضمون هذه الفقرة يتناقض تماما مع ما جاء في صفحة 11 و 12 .

عند الحديث عما اتخذ عند شعبنا، إذا جاء فيه ما نصه بالحرف : (وقد كان عنصر التوالد – شكلا تلقائيا من أشكال المقاومة ضد عمليات الإبادة والإفناء، وكان عنصر التوالد هذا حاسما في إفشال السياسة الاستعمارية)

ويكذبه أيضا أن الكثرة كانت دائما في صالحنا منذ عام 1925 حتى الآن .

الملاحظة الثانية والعشرون :

صفحة 73، الزواج بالأجنبيات

المقترح : تحديد شرعية الزواج بالكتابية ، بما إذا لم يكن في الزواج خطر على الأبناء باشتهار عفتها، وخضوعها لأحكامنا (مواطنة جزائرية)

لماذا **؟ لقوله تعالى :** ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾[1]

والمراد بالمحصنات هنا العفيفات، ونص العلماء على حرمة من لم تخضع لأحكامنا، لخطرها على الأولاد .

الملاحظة الثالثة والعشرون :

صفحة 73- 74، زواج المسلمات بغير المسلمين.

1- سورة المائدة، الآية 5

لا يعتد بهذا الزواج شرعا وهذه المرأة تعتبر زانية ، إلا إذا أسلم زوجها، وصحح العقد، أولا دها يمكن معاملتهم كمواطنين بدون أب، وهم في الإسلام – يعتبرون ((مسلمين))

الملاحظة الرابعة والعشرون :

صفحة 74- 75، أبناء المغتربين .

المقترح : للاحتفاظ بهم مسلمين جزائريين، يجب مضاعفة العناية بهم، بمثل تكوين إدارة – على عين المكان – تنظم أمور تربيتهم الدينية والوطنية، وتكون تحت مسؤولية ممثلنا في جامع باريس، والتعاون مع الودادية، ومع وزارات : التربية، والشؤون الدينية، والشؤون الخارجية .

الملاحظة الخامسة والعشرون :

الزواج بالأجنبيات .

المراد بالأجنبيات، هنا ينبغي أن يختص بغير المسلمات في هذه القضية، ينبغي اتخاذ قرار بتنفيذ هذا الزواج، وحرمان من يقدم عليه من مزايا المواطن الكامل الحقوق، كما تعمل – فيما أظن – وزارة الدفاع الوطني – ووزارة الخارجية .

الملاحظة السادسة والعشرون :

تزوج الجزائر يات بالأجانب .

(وأخطر من ذلك، زواج الجزائريات من أجانب غير مسلمين، هذه الظاهرة، ازدادت أكثر من الضعف في مدة 5 سنوات)

اقتراح : هذا الزواج غير شرعي، وهو محض فاحشة وزنى، وإذا سمح القانون بمحاكمة من تقدم عليه، فلتحاكم. أما إتباع أبنائهن لجنسية آبائهم الأجنبية، فيمكن اتخاذ قرار، إن أبناء الجزائريين كأبناء الجزائريات، كلهم يعتبرون – تلقائيا – جزائريين، وحتى إذا اعتبرهم الشرع أبناء غير شرعيين.

وبالله التوفيق والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الفصل الثالث

منهج الشيخ أحمد حماني في الإفتاء

منهج الشيخ أحمد حماني في الدعوة والإصلاح

د. عمر خلفة
جامعة قسنطينة

إن الدعاة إلى الله- تبارك وتعالى- مصابيح الدجى وأئمة الهدى، وحجة الله في أرضه، بهم تمحق الضلالة من الأفكار، وتنقشع غيوم الشك في القلوب والنفوس، فهم غيظ الشياطين وركيزة الإيمان، وقوام الأمة، فهم أمناء على دين الله يدعون إليه بلسان صادق، أعمالهم ترجمان لدعوتهم، فهم، فهم الأسوة في القول والعمل فيصلحون ما فسد، ويقومون ما اعوج، لا يستخفون من الناس ولا يخشون أحدا إلا الله ولا يقولون إلا حسنا .

ولذلك فإن الله- سبحانه وتعالى- حين يريد إقامة حجته على خلقه يخلق منهم رجلاً يصنعه على عينه صناعة ليس لصاحبها يد فيها ثم يبعثه للناس رسولاً في عصر الرسالات، أو إماماً يهدى بأمره في عصر النبوات، فالعلماء ورثة الأنبياء كما ورد في الأثر .

وهكذا دواليك تستمر قائمة دعاة الإسلام لينبري دعاة مخلصون، وقادة مربون في عصرنا الحاضر ومنهم الشيخ أحمد حماني- طيب الله ثراه- الذي كان داعية وفقهياً وكاتباً ((فكم هو مهم ومفيد أن تعرف أجيالنا المتعاقبة على ساحل الحياة صناع تاريخهم، وبناة مجدهم، والذين علموهم وأضاؤوا الطريق أمامهم فمشوا فيه برؤية واضحة وخطى ثابتة، وقناعة كاملة حتى بلغوا هدفهم وحققوا غايتهم من رجال النضال، فحياة هؤلاء أكبر مثال يمكن أن يوضع أمام الأجيال الصاعدة ليروا فيه بجلاء كيف يُشق الطريق إلى المجد، وكيف تُجشم المشاق والمحن من أجل العلا والسؤدد، وكيف يُضحى بكل ثمين وغال في سبيل حياة كريمة وغدٍ مشرق .

إن أجيالنا إذا وقفوا على حياة هؤلاء الرواد في الجهاد، أو النضال، أو العلم والأدب، ورأوها جهاداً مستميتاً ومغامرة متجددة حتى حققوا أحلامهم أيقنوا أن الحياة مجدبة خاوية معتمة أمام الذين يحلمون ولا يعلمون، وأن الإنسان هو الذي يصنع مصيره بيده عندما يختار طريقه ويحدد هدفه، فها هو الشيخ أحمد حماني أحد هؤلاء الأعلام، ونجم من هذه النجوم التي أفلت ولكن ضوءها سيظل على الدوام ساطعاً هادياً)) .

لذا رأيت من الضروري أن أساهم مساهمة متواضعة جداً في إبراز هذه الشخصية التاريخية عساها أن ترد بعض الجميل على من حافظ على أصالتنا الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة، والسير على طريق السلف ممن خدموا هذه الأمة .

معنى الدعوة

الدعوة في اللغة: لكلمة الدعوة معانٍ متعددة، كلها تدور حول: الطلب، السؤال، النداء، التجمع، الدعاء، والاستمالة .

فالدعوة مصدر للفعل الثلاثي: دعا، يدعو، دعوة .

وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف فيقول: (الدعوى) وتأتي بمعنى الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ سورة يونس، الآية 10 .

والدعوة بفتح الدال الدعاء إلى الشيء ، وبكسر الدال الدَّعوة في النسب .

والدعيُّ: من تبنّيته، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ** ﴾ سورة الأحزاب، الآية 4 .

ودعاه: صاح به، ومن الدعاء والأدعية [1] .

1- أنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار(6/2336-2338)، مختار الصحاح للرازي (ص:205-206) .

الدعوة في الاصطلاح:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام أو الرسالة، وعلى عملية نشر الإسلام وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد .

ومن المعلوم أن الدعوة بمعنى النشر والبلاغ صارت علماً مستقلاً له موضوعه، وخصائصه، وأهدافه، وأساليبه، ووسائله، وميادينه، ومجالاته، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية يفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع .

ومن المعلوم كذلك أن الدعوة بمعنى الدين، إذا أطلقت لا يراد منها إلا الإسلام بتعاليمه .

وبذلك فإن التعريف الاصطلاحي للدعوة بمعناه الأول يغاير تعريف الدعوة بالمعنى الثاني، ولهذا يحسن ذكر التعريف الاصطلاحي لكلا المعنيين من خلال ما ذكره العلماء قديماً وحديثاً [1] .

معنى الإصلاح :

معنى الإصلاح في اللغة : أصله من الفعل الثلاثي: صلح .

قال الرازي: "الصلاح ضدّ الفساد، وبابه دخل، ونقل الفرّاء: صَلحَ أيضاً بالضم، وهذا يصلح لك أي: من بابتك، والإصلاح ضد الفساد، والاستصلاح ضدّ الاستفساد [2] .

وقال المقري: صلح الشيء صلوحاً من باب قعد، وهو خلاف فسد، وأصلح أتى بالصلاح، وهو الخير والصواب، وفي الأمر مصلحة أي خير،

1- أنظر: فقه الدعوة والإعلام – د.عمارة نجيب(ص: 19)، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها- د. أحمد أحمد غلوش(ص: 10) .

2- مختار الصحاح – الرازي (ص:367) .

والجمع: المصالح، وأصلحت بين القوم: وفقت، وتصالح القوم واصطلحوا وهو صالح للولاية أي له أهلية القيام بها [1] .

وقال الأصفهاني: الصلاح ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن الكريم تارة بالفساد، وتارة بالسيئة، قال تعالى: ﴿**خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا**﴾ سورة التوبة، الآية 102، وقوله: ﴿**وَلَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ سورة الأعراف، الآية 56 .

والصلح يختص بإزالة النِّفار بين الناس، كما قال تعالى:﴿ **أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا** ﴾ سورة النساء، تلآية 128.

وإصلاح الله تعالى للإنسان يكون تارة إتاه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون له بالصلاح [2] .

معنى الإصلاح في الاصطلاح:

قال التهانوي: الصلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع، والصالح: هو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى [3] .

أصول منهج الدعوة والإصلاح عند الشيخ أحمد حماني

الإصلاح من أوسع المصطلحات انتشاراً في أوساط المفكرين والمصلحين منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن، وهي ترتبط أساساً بالموضوع المراد إصلاحه .

ويتحدد نجاح الإصلاح وفشله بمدى تحقيق الأهداف التي سطرها المصلح بغض النظر عن توافقها أو عدم توافقها مع رؤى الآخرين .

1- المصباح المنير في غريب شرح الكبير – للرافعي- المقري(408/1)

2- المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهتني – تحقيق: محمد سيد كيلاني(ص: 284) .

3- كشاف اصطلاحات الفنون – التهانوي- تحقيق: د.لطفي عبد البديع(217/4) .

فالإصلاح في مضمونه تغيير الوضع من حالة مرضية إلى صحية، فكل مصلح ينظر إلى إصلاحه من زاوية وحسب مفهومه، فكان من ذلك مصلحون مختلفون دعوا إلى الإصلاح في أقطارهم على حسب بيئتهم وثقافتهم وعقليتهم منهم الشيخ أحمد حماني – طيب الله تراه- .

والدارس لحياة الشيخ أحمد حماني يجده أحد أئمة الإصلاح والتجديد، الذين أيقظوا النفس وحركوا الوجدان، وبعثوا الحياة بالضمير، والموعظة الحسنة، والفهم السديد .

ولقد استطاع- رحمه الله- بما وهبه الله من قدرات روحية وعقلية أن ينهض بعبء الرسالة ويجابه بها في عدة جبهات: يحدو العاملين، وينبه الغافلين.. ويقارع المحتلين، زيادة على ذلك أنه صاحب تجربة في ميدان التربية والتعليم، فقد تميزت شخصيته بما تميزت به من هذه الخلال الرفيعة والاهتمامات السامية، ونستطيع أن نجمل أهم مقومات الدعوة الإصلاحية عند الشيخ أحمد حماني في النقاط التالية:

1- في مجال الدعوة إلى الله تعالى .
2- في مجال التعليم .

المبحث الأول: **أسس منهج الدعوة عند الشيخ أحمد حماني**

الدعوة إلى الله- تبارك وتعالى- شأنها عظيم وهي من الواجبات على المسلمين عموماً وعلى العلماء بصفة خاصة، وهي منهج الرسل-عليهم الصلاة والسلام- فالدعوة إلى الله طريق الرسل وطريق أتباعهم إلى قيامة الساعة، والحاجة إليها بل الضرورة معلومة، فالأمة من أولها إلى أخرها بحاجة شديدة، بل في ضرورة إلى الدعوة إلى الله تعالى والتبصير في دين الله، والترغيب في التفقه فيه والاستقامة عليه والتحذير مما يضاده أو يضاد كماله الواجب أو ينقص ثواب أهله ويضعف إيمانهم .

فالواجب على أهل لعلم بشريعة الله أينما كانوا أن يقوموا بمهمة الدعوة، لأن الناس في اشد الضرورة إلى ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، ونحن في غربة من الإسلام وقلة من علماء الحق، وكثرة من أهل الجهل والباطل، والشر والفساد، فالواجب على أهل العلم بالله وبدينه أن يشمروا على ساعد الجد، وأن يستقيموا على الدعوة وأن يصبروا عليها ويرجون ما عند الله– تبارك وتعالى- من المثوبة ويخشون مغبة التأخر عن ذلك والتكاسل عنه، والله– سبحانه وتعالى- أوجب على العلماء أن يبينوا، وأوجب على العامة أن يقبلوا الحق وأن يستفيدوا من العلماء وأن يقبلوا النصيحة .

يقول الشيخ محمد الصالح الصديق- حفظه الله ومتعه الله بالصحة والعافية- ((من تتبع جهاد الشيخ الفكري والقلمي في نطاق الدعوة الإسلامية خلال نصف قرن أو أزيد وجده يقوم على الأسس التالية التي هي أسس الفهم للدعوة الإسلامية عند شيخه الإمام عبد الحميد ابن باديس، ومن قبله الشيخ محمد عبده وغيره من رجال الإصلاح وأعلام الفكر الإسلامي)) .

أولا: الكتاب والسنة:

يقول الشيخ أحمد حماني- رحمه الله– ((فإن تذكير الناس ودعوتهم إلى الحق، وإرشادهم إلى ما ينفعهم، وتحذيرهم مما يضرهم وظيفة الدعاة وواجبهم، ففي ذلك تعليم للجاهل، وتنبيه للغافل، واستنهاض للخامل، وإنذار للمبطل .

وقد أمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالتذكير، وأخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤمِنِينَ** ﴾ سورة الذاريات، الآية 55.

وما أمر به رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في التبليغ يؤمر به علماء أمته في الدعوة والإرشاد .

وأجلّ ما يذكر به ويوعظ كتاب الله، وبذلك جاء الأمر لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ سورة ق، الآية45.

ففي كلام الله موعظة من ربنا وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، وأن آياته- تتلى على المؤمنين وتتدارس بينهم- لتنير لهم السبيل، وتهديهم الصراط المستقيم، فإنه النور المبين .

ولقد أدى هذه الوظيفة علماء المسلمين في مختلف أوطانهم، أطوار تاريخهم فنفع الله بهم، وكان من أجلّ ما انتفع به قومنا (مجالس التذكير) التي عقدها أستاذنا العظيم- عبد الحميد ابن باديس- رحمه الله- ونحن لا نرى أنفسنا في مستوى هذه المهمة، ولكنا سنفتح هذا الباب ليلج منه علماؤنا الأفذاذ عسى الله أن ينفع بهم وبأقلامهم، والله المستعان)) .

فالشيخ أحمد حماني جعل مرجعية الكتاب والسنة هي مرجعية كل أمة مسلمة لمعرفة أحكام الإسلام، والأمة الإسلامية لم تشوه عقيدتها وتنحرف عن منهاجها القويم إلا حينما دخلت الأهواء والبدع، ولهذا أمر الله باتباع صراطه المستقيم وحذر من طرق الضلال ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ سورة الأنعام، الآية 153.

وأمر الرسول- صلى الله عليه وسلم- بالاعتصام بالكتاب والسنة، وحذرهم من الأهواء ومحدثات الأمور، فقال- صلى الله عليه وسلم- (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)[1] .

فالشيخ أحمد حماني يرى أن الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للدعوة إلى الله تعالى، ثم يقرر أن الهدى في اتباع الكتب والسنة، فيقول وهو يقرر هذه الحقيقة الناصعة: ((القرآن كتاب الله العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أنزل إلينا برهاناً من ربنا ونوراً مبيناً، لا

1- رواه مسلم في كتاب الحج(890/1) برقم: 174

يضل من سلك السبيل على نوره فإنه المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وإنما يضل عن الصراط السوى من أعرض عنه ولغى فيه واتبع هواه بغير هدى من الله فسلك طريق الردى، واستحب العمى على الهدى فاستحق العذاب الهون .

إن القرآن الكريم أنزل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين، أنزله الله الحكيم العليم على نبيه الكريم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد والإيمان، ومن ظلمات الشك والريب إلى نور اليقين والاطمئنان، ومن ظلمات الجهل والعماية إلى نور العلم والبصيرة، ومن ظلمات الظلم والطغيان إلى نور العدل والتواضع والإحسان، ومن ظلمات الرعب والخوف إلى نور الأمن والسلام والأمان.

إن القرآن المنزل أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، يداوي النفوس فيشفيها ويبرئ سقمها وينقيها، وينقذ الأرواح ويهديها، ويسعد الأفراد والأمم ويعليها ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ سورة يونس، الآية 57 ، ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ سورة الزمر، الآية 23 .

وإنما أنزله الله علينا وبعث به رسوله إلينا لنستمع إليه، ونهتدي بهديه ونعمل بأحكامه، ونعلم علومه ونتعظ بمواعظه، وإن لم نفعل ذلك فلسنا على شيء كما قال تعالى فيمن قبلنا: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ سورة المائدة، الآية 68 .

فمن قال أسلمت ولم يقم بفرائض الإسلام، أو قال آمنت بالرحمن وهو يعطل شرعة القرآن، ويجادل بالباطل ليستبدل الذي هو أدنى من قوانين الإنسان، بالذي هو خير من أحكام الفرقان فقد اتخذ إلهه هواه، وصدقت عليه

شكوى الرسول الذي قال: ﴿ **يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا** ﴾ سورة الفرقان، الآية 30 .

فإن أكبر هجران للقرآن أن تعطل أحكامه وأن يحلل حرامه ويحرم حلاله، وإن هذا لهو شأن الكثير من المسلمين اليوم، ولذا كانوا كغثاء السيل، ولو التزموا أحكام القرآن الكريم وساروا على نهجه لكانوا- في كل زمان ومكان خير أمة أخرجت للناس طهارة نفوس، ومتانة أخلاق، وعلماً وقوة وحضارة وتفوقاً في كل ميدان .

أنزل القرآن على محمد- صلى الله عليه وسلم- هدى للناس، ومن التزم الهداية الربانية لم يضل أبداً)) .

أيضاً نجده في جانب آخر يحذر من البدع وما ألصق بالدين على أساس أنه السبيل المتبع، فكل عبادة يُتعبد بها لله— جل جلاله- لم يكن عليها أمر المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فهي باطلة وصاحبها قد انقدح في سلوكه .

يقول الشيخ أحد حماني- رحمه الله تعالى- ((لقد كان محمد- صلى الله عليه وسلم- أعرف الناس بربه، وأتقاهم له، وأشكرهم لنعمه وأخشاهم لنقمه، وأسلمهم طريقة يعبد الله مخلصاً له الدين مستقيماً على الطريق كما أمر، لا يحل ما حرم الله، ولا يحرم ما أحل الله، ولا يشرع للناس ما لم يأذن به الله وإنما يبلغ عن ربه ما يوحى إليه وقد أباح الله بشرعه للناس زينته التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، ورفع به الإصر والأغلال التي كانت على من قبله من الأمم .

وقد اجتهد قوم من الصحابة في العبادة واعتقدوا أنهم مقصرون وأرادوا أن يأخذوا أنفسهم بالزهد وأن يرفضوا الدنيا وزخارفها ومتاعها، ويتركوا النساء ويترهبوا وسألوا أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- في عمله في السر فقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: (ما بال أقوام يقول

أحدهم كذا وكذا ؟ ولكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1] .

وليس أغلظ من هذا القول في الرد على من انحرف عن إتباع طريقه في العبادة والإعراض عن سنته حتى لو أراد بذلك الرغبة في العبادة، والاجتهاد في القربة والغلو في الدين، وسنة النبي- صلى الله عليه وسلم- الوسط فلا إفراط ولا تفريط، وأمة المسلمين الأمة الوسط ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ سورة البقرة، الآية 143، وخير الأمور أوسطها، والغلو في الدين قبيح مثل الإهمال والتفريط ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾ سورة المائد، الآية 77 .

وفي هؤلاء الأصحاب البررة الذين لم يريدوا العصيان وإنما أرادوا الرغبة نزل قوله تعالى تعليماً لهم ولنا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾ سورة المائدة، الآيتين 87-88، فعلمنا منها أن الانحراف عن سنة الرسول- صلى الله عليه وسلم- في التوسط، والغلو في تعذيب النفس بترك الطيبات من الرزق الحلال تقرباً إلى الله اعتداء ومجاوزة للحد، لأنه شرع ما لم يأذن به الله، وتحريم لما أحل الله، والتحريم والتحليل لله وحده ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ** ﴾ سورة الشورى، الآية 21 .

والأسوة الحسنة والقدوة الصالحة إنما تكون في رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فمن أراد أن يعبد الله كما يحب منه ويرضى عنه على أكمل الوجوه وأحسنها فليتبع سنة محمد وطريقته فيها فبذلك أمر الله ﴿ **وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ** ﴾ سورة الحشر، الآية7 .

1- حديث صحيح رواه البخاري في كتاب النكاح، برقم: 5063 .

وقال- عليه الصلاة والسلام- (أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضى بالقرآن) قال تعالى: ﴿**وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ** ﴾ سورة الحشر، الآية7 .

وقال- عليه الصلاة والسلام- (من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني)[1] .

ولقد التزم السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء الراسخين أن يتبعوا سنته ولا يحيدوا عن طريقه، وأن يحذروا البدعة ويحذروا غيرهم منها .

قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-(القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)[2] .

وقال علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- لعثمان- رضي الله عنه- لما نهاه عن القرآن في الحج (لم أكن لأدع سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لقول أحد من الناس)[3] .

وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وقد نظر إلى الحجر الأسود (إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك ثم قبله)[4] .

وإنما فعل ذلك إتباعاً لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإن كان في شيء تعبدي ما هو غير معقول المعنى فإن الوفاء للرسول والإتباع يوجب ذلك .

وكان الحسن البصري- رحمه الله- يقول: (عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة)[5] .

1- الشفاء (11/2)

2- الشفاء (14/2)

3- الشفاء (14/2)

4- الشفاء (15/2)

5- الشفاء (13/2-14)

وقال عمر بن عبد العزيز- رضي الله عنه- (سن رسول الله وولاة أمره بعده سناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستعمال الطاعة إليه وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فيها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا)[1] .

وسمع الزبير بن بكار سفيان ابن عيينة يقول: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل، قال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في هذا وإنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إني سمعت الله يقول: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ سورة النور، الآية 63 [2] .

وكان مالك كثير ما ينشد:

وخير أمور الناس ما كان سنة ** وشر الأمور المحدثات البدائع

إذا كانت المخالفة لسنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- والرغبة عنها مذمومة ولو أراد المخالف طاعة وخيراً بإنشاء قربات واختراع عبادات واجتهاد في طاعات زهداً في الدنيا وإعراضاً عن متعها فأولى وأحرى بالذم والرد على صاحبه من ادعى المحبة وهو غافل عن الفرائض والأركان، أو أتى من الأعمال ما كان بعيداً عن شكل القربة وصفة العبادة فإن مثل هذا لا يبرهن عن المحبة ولا يعرب عن الطاعة .

1- الشفاء (13/2)

2- أحكام القرآن لأبي بكر بن عربي(119/2)

إن كثيراً من الناس ابتدعوا موالد- غير مولد النبي- صلى الله عليه وسلم – وأقاموا لها احتفالات مصبوغة بالدين وهم عن الأركان والفرائض من الدين غافلون، وعن الصلاة ساهون، وكثيراً منهم ألصقوا بها بدعاً ومنكرات شنيعة، وارتكبوا فيها موبقات فظيعة مما يبرأ منه الدين ويشمئز لدى رؤيته كل ذي خلق قويم، من ذلك ما يقع عند قبور بعض الصالحين ويسمى في الشرق (موالد) وفي الجزائر يسمى (الزردات) وقد كان له ببلادنا منذ حين سوق رائجة، أشهرها (زردت سيدي عابد) بقرب مدينة غليزان، يؤتى لحضورها من الشرق والغرب .

إن الذين يقيمون هذه الاحتفالات المنسوبة إلى الدين يزعمون أنهم يعظمون هؤلاء الصالحين، وينفق فيها الأغنياء الأموال الطائلة، ويرى فعلهم بعض الفقهاء والعلماء فيسكتون رغبة أو رهبة)) .

المبحث الثاني : **أسس منهج التعليم**

لقد آمن الشيخ أحمد حماني- رحمه الله تعالى- إيماناً عميقاً بأن التربية والتعليم من أهم القضايا التي يجب أن تعتني بها الأمم، فبالتربية والتعليم تتقدم الأمم، وتتطور المجتمعات، وتصنع الأجيال، وعليه فالتربية بوجه عام هي ذلك الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها .

فعندما عاد الشيخ أحمد حماني- رحمه الله تعالى- من تونس سنة 1944م باشر رسالته في محاربة الأمية والسعي لنشر الوعي الديني، الأخلاقي، الاجتماعي، الثقافي، السياسي، في سبيل النهوض بأمته الرازحة تحت نير الاستعمار، وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم الذي يراه حافزاً مهماً في بث روح اليقظة في الأمة لتتخطى وطأت الخرافات والبدع التي سخرها المستعمر لفائدته، فكان الميدان الخصب لأداء هذه الرسالة هو ميدان التعليم، فعين الشيخ مدرساً في مدرسة التربية والتعليم سنوات: 1944- 1954- 1946 .

وفي السنة الأولى تطوع لتقديم دروس لطلبة المدارس الرسمية الذين كانوا يأتونه في تكتم خشية المستعمر من التنكيل بهم، وعند إنشاء معهد ابن باديس عين به أستاذاً، ويعتبر هذا المعهد أول ثانوية للتعليم العربي الحر، سمى نسبة إلى باعث النهضة الجزائرية عبد الحميد ابن باديس لمواصلة ما كان قد شرع في بنائه عمل الشيخ أحمد حماني به أستاذاً من سنة 1947 إلى 1957م وهي سنة إغلاق المعهد وإلقاء القبض على الشيخ حماني الذي تكفل بإدارة المعهد بعد اختطاف مديره الشيخ العربي التبسي- رحمه الله تعالى- .

يقول الشيخ أحمد حماني- رحمه الله تعالى- ((في سنة 1947م أسس العلماء التعليم الثانوي في مدارسهم وكان هذا النوع الضروري للانتقال إلى العالي يوجد في أقسام خاصة بالمدارس الكبرى، كالتربية والتعليم بقسنطينة، ودار الحديث بتلمسان، وتهذيب البنين بتبسة، لكن الثانويات المخصصة لذلك كانت مفقودة رغم أن ابن باديس فكر فيها وحتى في وجود جامعة .

أما في سنة 1947م فقد حققت هذه الفكرة بإلحاح رجال قسنطينة وعزيمة العلماء الصادقة، فاشتركت الأمة كلها في تكاليف التأسيس وفتح معهد عبدالحميد ابن باديس أبوابه في ديسمبر 1947م وكان النجاح فيه فوق المأمول، وقد اعترفت به الجامعة الزيتونية كفرع رسمي لها يغنى الطلبة المنتسبين له أو المتخرجين منه عن متاعب كانت تلحق كل جزائري يحاول أن يلحق بتونس، ثم استطاع الرئيس الإبراهيمي أن يحصل من الجامعات العلمية في الدول العربية على الاعتراف بشهاداته وهذا ما فتح الأبواب- من بعد- في وجوههم فدخلوها ورجعوا منها بأرفع الدرجات العلمية حتى في الطب والهندسة والعلوم العسكرية.

وقد لعب طلاب هذا المعد وإخوانهم طلاب الثانوية الأخرى بجانبهم (الكتانية) أعظم الأدوار كجنود وضباط وقادة عسكريين ومدنيين، ووزراء وإداريين، فمن الصغائر تتولد الكبائر (على قدر أهل العزم تأتي العزائم) .

ورغم الظروف التي واكبت حياة الأمة والجمعية في هذه المرحلة ابتداء من سنة 1940م حتى نهاية حرب التحرير بالانتصار سنة 1962م فإن جمعية العلماء لم تنس مهمتها القومية ولم تيأس من لم شعث الأمة من جديد على خطة قومية وتحقق بها النصر الحاسم على العدو)) .

وخلال تواجده بالمعهد لم يدخر الشيخ جهداً في تعليم الطلبة موظفاً كفاءاته العلمية، وشهد عليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي- رحمه الله تعالى- إذ قال: بأن إدارة الجمعية اختارت للتدريس بالمعهد أكفأ الأساتذة المتخرجين من الزيتونة.

كان للشيخ أحمد حماني وللشيخ عبد الرحمن شيبان- رحمهما الله– اقتراح على الإبراهيمي أتى بثماره ألا وهو إلحاق المعهد بجامع الزيتونة بتونس ليكون فرعاً له، فوافق الإبراهيمي على ذلك مكلفاً رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بتونس عبدالرحمن شيبان آنذاك الذي اتصل برئيس الجامع الأعظم وهو محمد الطاهر بن عاشور الذي وافق على ذلك .

في سنة 1947م كان أحمد حماني يشغل منصب كاتب عمالة قسنطينة التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبحكم هذه الصفة وضعت على كاهله مسؤوليات التحضير لافتتاح المعهد، وكان نشاطه مكثفاً من استقبال الطلبات إلى إعداد برامج الدراسة بالتنسيق مع الأساتذة، وتوزيع حصص الدراسة، وتفويج الطلبة .

سجن تازولت- لامبيز- :

وواصل الجزائريون في سجون الاستعمار الفرنسي نشر الوعي، تعليم الأميين، وتكوين الطلبة المساجين وإعدادهم للاستقلال الذي كان حاضراً معهم كفكرة راسخة بحكم عدالة قضيتهم، وكان من بين هؤلاء الشيخ أحمد حماني .

كان في سجن تازولت مع الشيخ أحمد حماني ثلاثة إخوان من العلماء: الشيخ أحمد بوزيدي- خريج القرويين وتلميذ الشيخ البشير الإبراهيمي- رحمهما الله- والأستاذ محمود عيسى الباي- خريج جامعة العراق العسكرية- والشيخ

الصادق مخلوف- خريج الزيتونة- فقرروا فيما بينهم تنظيم التعليم في السجن كله تحت مسؤولية الشيخ أحمد حماني بحيث لا يقتصر على رفع الأمية بل جعلوه برنامجاً تثقيفياً كاملاً يشمل الفنون العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وإنشاء وعلوم الدين والتوحيد والسيرة والفقه والحديث والرياضيات والهندسة والجغرافيا والتاريخ و.. إلخ وفرزوا الطلبة إلى أقسام وسنوات، واستطاعوا أن يكونوا أقساماً تكميلية اشتركوا كلهم في تعليمهم وساعدهم على هذا التنظيم التحسن الطارئ على السجناء ومعاملتهم منذ سنة 1959م .

كما استطاعوا أن يستوردوا الكتب حتى من تونس طلبوها من وزارة التربية للحكومة المؤقتة التي كان يتولاها الأخ عبد الحميد مهري بواسطة الشيخ محمد كحلوش بحيل جازت على المجانين، كما أن إدارة السجن أسعفتهم بإنشاء مكتبة للمطالعة اخترنا كثير من كتبها ولا ندري من دفع ثمنها، كما كونا شبه محطة إذاعية داخلية ثبت كل صباح وكل مساء تجويد القرآن لكريم والأغاني الجزائرية والشرقية وما إلى ذلك ما عدا الأخبار، وكان هذا عن طريق الاشتراكات على حساب المساجين، كما كونا فرقاً رياضية في كرة القدم وكرة الطائرة للشبان المساجين، وأخيراً استطعنا تكوين مجلة أطلقنا عليها (صوت سجين) وكان الأستاذ الصادق مخلوف يتولى كتابتها بواسطة- الستيلي- وتسحب بواسطة الآلة الساحبة.

إن هذا التعليم المنتظم استمر قرابة 3 سنوات وأعطى نتائج لا بأس بها، وكان يشمل قرابة 900 تلميذ، وكنا نستعين في المواد العلمية بحاملي اللغة الفرنسية، سواء في تدريس الشؤون الاجتماعية أو الإدارية، حتى لا يبقى السجين مغلقاً على نفسه، وكان أحسن عون لنا في ذلك الأستاذ عبد الرحمن الشافعي- رحمه الله- ولقد أصبح الكثير منهم يتقنون اللغة العربية فهماً وإنشاء والأمثلة كثيرة على ذلك ولا يزالون على قيد الحياة .

طريقة تدريسه :

كان الشيخ أحمد حماني- رحمه الله– يدرس شتى العلوم الإنسانية بالمعهد يضفي عليها صبغة خاصة تميز بغرس الروح الوطنية والثورية، والتركيز على الدور الفعال الذي يلعبه الشباب في النهوض بالأمة خاصة وأنه أيامها كان شاباً مفعماً بالحماس، ونستشف هذه الميزة ممن درسوا على يديه أو من زملائه بالمعهد، ومن الذين تتلمذوا على يديه أبو عبد الله غلام الله الذي يقول عن شيخه أحمد حماني- رحمه الله– ((دخلت المعهد في أكتوبر سنة 1954م وكانت دروس أحمد حماني في التاريخ والجغرافيا كلها في الوطنية، لا يقول كلمة في التاريخ سواء في تاريخ الجزائر أو تاريخ الإسلام، أو التاريخ الأوروبي، أو في التاريخ الأمريكي إلا من حيث الصراع القائم بين الشعوب والاستعمار، وكان يذكرنا ما هي الجهود وما هي التضحيات التي بذلتها الشعوب سواء في أمريكا أو في كندا أو في الشرق، وفي ذلك الوقت كان الحديث كان الحديث كثيراً عن باكستان وانفصاله عن الهند، وما هي الأعمال والتضحيات وأن الاستقلال ليس شيئاً يعطى وليس شيئاً يتحصل عليه وإنما هو يأتي نتيجة التضحيات والدماء والإخلاص والتضامن، كان يحيا ما كان يدرسه بجميع حواسه، ويدفع تلامذته لتذوق الأدب العربي)) .

وفي هذا المجال يواصل غلام الله شهادته قائلاً: ((كان يدفعنا لنتذوق الأدب خاصة القومي وأدب الملاحم، شعر المتنبي، وكان يتناوله من حيث الفحولة والبطولة، ومن الناحية الفنية، واشهد أنني أخذت منه فيما يخص التذوق الفني ما لم آخذه من بقية الأساتذة الذين تعلمت عليهم فيما بعد)) .

الخاتمة

وبعد: فهذه لمحات في منهج الشيخ أحمد حماني في الدعوة والإصلاح، ولا أدعي أنني قد أحطت بكل جوانبها وحسبك أنها لمحات أو ومضات يمكنها أن

تسهم في إحياء جانب من جوانب شخصية الشيخ أحمد حماني- رحمه الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يجزل مثوبته، وأن يسكنه فسيح جنانه، وأن يرفعه عنده مقاماً عليا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قراءة في منهج الشيخ أحمد حماني الإصلاحي
من خلال بعض الفتاوى

د. محمد بن زعمية
جامعة البليدة

المطلب الأول
منهج الشيخ حماني في الإصلاح

الفرع الأول **: البدء بإصلاح العقيدة.**

والشيخ في هذا متقيد بالمنهج الصحيح الذي كان عليه شيخه عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى والذي تعلمه من منهج القرآن الكريم، فالقرآن الكريم بدأ ينزل بأمور العقيدة ويغرس الإيمان في النفوس طيلة العهد المكي، ولم ينزل من أمور التكليف العملي إلا الصلاة في أواخر العهد المكي، حتى إذا آمن الناس أعمق الإيمان وأصدقه وأخلصه بدأت التكاليف الشرعية تنزل عليهم، فكانت الاستجابة قوية، ولم تكن لهم الخيرة من أمرهم، بل قالوا : سمعنا وأطعنا، ولقد وصفت عائشة رضي الله عنها ذلك بقولها كما في صحيح البخاري عن يوسُف بنُ مَاهَكٍ قَالَ: (إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ قَالَتْ وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ قَالَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَفَكِ قَالَتْ لِمَ قَالَ لَعَلِّي أُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ قَالَتْ وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا

لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ، (بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ قَالَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ) .

ومن معالم هذا المنهج عند الشيخ الأمثلة التالية:

1- إبعاد الناس عن الفكر الخرافي :

الذي لم يأت به صحيح المنقول ولا صريح المعقول، ومن ذلك أنه لما كثر أدعياء المس الشيطاني وكثر معهم من يدعي إخراج الجن نجده يوجه سائلا عن ذلك بقوله :(فلا تصدق من يدعي أنه سكنه جني وحل فيه وأنه يتكلم بلسانه)، قد يكون وليا له يومئ إليه ويوسوس له بما شاء من الفتن، والقرآن يدل على الولاية بين إنسي وجني ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلذِينَ لَا يُومِنُونَ**﴾[1] ، ولم يدل على الاندماج والتزاوج بين إنسي وجنية أو بين جني وإنسية، وقد يصاب الإنسان بالصرع فذلك داء معروف للأطباء، معروفة أسبابه وعلاجه، أما أن يكون بسبب إصابة الجن وأنه يعالج بقراءة (قل أو حي) مع تقديم فتيل من النار فليس بصحيح ويدل على عقلية ساذجة متأخرة[2] .

وكتابه (صراع بين السنة والبدعة) كله رد على أفكار المنحرفين من المتصوفة الذين أسلموا أنفسهم ودعوا أتباعهم ومريديهم إلى نوع من التخريف في العقيدة والتواكل والسلبية في السلوك، مما يأباه الشرع الحنيف ويحاربه أشد محاربة، وكان سلاح الشيخ في هذه المعركة الصبر والمصابرة، لأنه ليس من الهين أن تنتقد الناس، فضلا عن السعي إلى تغيير أفكارهم خاصة إذا صبغت

1- سورة الأعراف، الآية 27

2- فتاوى حماني، 39/1

بصبغة دينية وتلقاها الأصاغر عن الأكابر، وورثتها الأجيال جيلا بعد جيل وقام على تدعيمها أصحاب المال والنفوذ .

2- التصدي للعقائد الضالة

وهناك معركة عقائدية أخرى خاضها الشيخ وهي معركته مع العقائد الضالة التي كان مقصودها تضليل المسلمين وزعزعة عقيدتهم، ومن هذه العقائد عقيدة البهائية أو البابية نسبة إلى زعيمها الذي كان يسمى بهاء الدين ويلقب بالباب، والتي انتشرت في أوساط فئة من الشباب المثقفين في العالمين الإسلامي والعربي في وقت ما، وقد ألف الشيخ رحمه الله تعالى رسالة في هذه العقيدة الفاسدة وبين بالحجة والدليل كفرها وضلالها وحذر منها، وبين أنها من المظاهرين للصهيونية المعتدية على المسلمين المخرجين للفلسطينين من ديارهم وأموالهم، وأنه لا يجوز للمسلم أن يواليهم أو يوآدهم أو يتزوج منهم، ولا يعاد مرضاهم، ولا يغسل من مات منهم ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدخل المسجد، ولا يدفن في مقابر المسلمين ولكن توارى جثته في التراب كما توارى جيف الكلاب والحيوانات حتى لا يتأذى منه الناس، ثم نبه المسلمين إلا أن مقاطعة هؤلاء البهائيين ينبغي أن لا يكون فيها عنف أو شغب وإثارة للفتن، وأن من تاب من هؤلاء البهائيين قبلت توبته[1]، ومما قاله في هذا :(قامت الدلائل الواضحة على ضلال البابية وكفر البهائية، وتبين للناس أن هؤلاء ليسوا بمسلمين، لأنهم لا يشهدون بوحدانية الله، ولا بالرسالة المحمدية، وأنه خاتم النبيين كما لا يصلون بصلاة المسلمين، ولا يصومون بصومهم، لهم صيام خاص في مارس من كل عام، و يزكون كما يزكي المسلم ولا يحجون بحجنا فلهم كعبتهم، فماذا بقي لهم من الإسلام، بل إنهم يعتبرون من الكافرين المرتدين لأن آباءهم

1- فتاوى حماني، 44/1

كانوا مسلمين، وبعضهم كانوا يقرؤون القرآن ثم خرجوا من الإسلام واتبعوا دينهم الجديد[1].

3- **تطهير المعتقدات من الإسرائيليات** :

ولقد بين الشيخ رحمه الله تعالى سبب ورود المرويات الإسرائيلية في بعض كتب التفسير وان مرد ذلك إلى كعب الأحبار الذي كان يهوديا واسلم وتزعم الروايات الإسرائيلية وهو محل ريبة عند الشيخ، وهذه الإسرائيليات التي لم ترد في القرآن الكريم ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بين خطورة هذه المرويات خاصة على جانب العقيدة الإسلامية، من ذلك الرواية التي جاءت تحدد عدد الأنبياء، يقول الشيخ حماني رحمه الله تعالى :(أما المصادر لما جاء من أعداد محدودة فتجدها في كتب التفسير الكبيرة كما تجدها في كتب علم الكلام(التوحيد) وهي تستند على أحاديث مروية عمن أسلم من أهل الكتاب، ويسميها العلماء (الإسرائيليات) تنسب إلى كعب الأحبار وإلى وهب بن منبه، كلاهما له عرق في اليهود، أسلم وكان بلاء على الإسلام، وكعب الأحبار وثقه بعض المسلمين، وجرحه آخرون واتهموه فيما يروي، وقيل إن كعبا كان عالما بالمؤامرة ضد عمر التي أدت إلى اغتياله، لأنه أخبر عمر قبل قتله بثلاثة أيام أنه يموت بعد ثلاثة أيام، وزعم أنه وجد ذلك في التوراة بعد أيام ثلاثة)[2].

الفرع الثاني : **الربط بين الإسلام والوطنية :**

ومن منهج الشيخ في الإصلاح ربطه بين الإسلام وهو دين الله الكامل الشامل لمناهج الحياة كلها وبين الوطنية كمفهوم معاصر يقصد به حب الوطن الذي يعيش فيه المسلم وخدمته، والتقرب إلى الله بهذه الخدمة، في حين كان الاعتقاد السائد أن لا ملاقاة بين الإسلام والوطنية باعتبار الوطنية مفهوما

1- المرجع السابق، 44/1

2- المرجع السابق،43/1

منافسا للإسلام إلى حد وصف من يتغنى بالوطنية بالشرك، وفي مقابل ذلك الاكتفاء بالوطنية بعيدا عن الإسلام عند بعض دعاة الوطنية، وكأن لا علاقة لهذا الوطن بالإسلام، والشيخ رحمه الله في هذا مقتد بشيوخه من جمعية العلماء الذين رفعوا شعار (الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا)، ويقول الشيخ الإبراهيمي رحمه الله (خدمة الأوطان لا تكون بإتباع خطوات الشيطان)، ولعل مما يدل على ربطه بين الإسلام وبين الوطنية فتواه المتعلقة بالتجنس، حيث ظل رحمه الله متمسكا بحرمة التجنس، مقلدا في هذا شيخه عبد الحميد بن باديس رحمه الله .

ومما يدل على ذلك أيضا تقديره للشهداء الذين سقطوا في المعركة ضد فرنسا، نراه يقول عنهم مثلا :(رحم الله الشهداء فإنهم قدموا أنفسهم في سبيل الله، واحتقروا الدنيا، ولم يهتموا حتى بأبنائهم، ولا بآبائهم، ولا بمصيرهم بعدهم، وهذا هو الجهاد في سبيل الله)[1] .

كذلك رده على من أنكر العمل في الحكومة بناء على أن النظام يفرض التحية للعلم والقيام للضباط وهو ما يتنافى مع الإسلام، فأجاب عن ذلك بقوله:(من قال لك أن تحية العلم والقيام للضباط يتنافيان مع الدين الإسلامي فإن هذا الكلام هو الذي يتنافى مع الدين الإسلامي، وهو كلام مغشوش المراد منه احتقار علمنا، ومن فرض تحية العلم أراد أن يحترم وإرادته صحيحة، فإن العلم هو رمز الأمة والسيادة الوطنية، وقد كان أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يعظمون قدره ولا يعطونه يوم المعارك إلا لأقواهم شجاعة وتدينا وقد كان يحمل الراية في معركة مؤتة جعفر بن أبي طالب فضربه العدو على يده اليمنى فقبض عليها باليد اليسرى فضربه عليها، فلما قطعت يداه قبض بذراعيه واحتضنها حتى قتل ولم يسلم في الراية ....، فالراية عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بيده ويجب احترامها، وهناك فرق بين احترامها وعبادتها، فالعبادة لا تكون

1- فتاوى حماني، 278/3

إلا لله وأما التحية فليست من نوع العبادة المبنية على الخوف والرجاء، فهل رأيت في الجزائر من يعبد الراية ويرجوها أن تدخله الجنة وان تنقذه من النار؟)

ومما يروى عنه أنه قيل له يوما :لقد كنت في شبابك أيام الاستعمار تنقد حماسا وتكاد تميز من الغيظ على الحكومة، فما بالك اليوم تهادن وتلوذ بالصمت والإغضاء في أكثر أحيانك، فقال :لقد كنا كذلك لأننا كنا نهدم دولة، وهي فرنسا، وصرنا كذلك لأننا أصبحنا نبني دولة ووهي الجزائر .

الفرع الثالث : **مخالطة الحكام بالنصح لا بالمداهنة،**

عرف عن الشيخ رحمه الله تعالى إيثاره لمنهج مخالطة الحكام والتقرب منهم ومشاركتهم في تسيير مؤسسات الدولة الموكلة إليه ,لكن ليس بغرض التزلف والسكوت على الباطل، بل كان يصدع بالحق وينصح في لين ورفق، ولا يخاف في الله لومة لائم، ويقول عن نفسه أنه لم يقدم في حياته فتوى إدارية حسب الطلب لأنه مسلم أولا، ولأنه وطني ولأنه جزائري خشن الرأس، ولأنه لا يصح أن يسمى من يتبع الباطل عالما، فلم تلن قناته، ولم تهن عزيمته في إنكار ما يعتقد أنه باطل ولو كان ذلك لا يرضي فلانا أو علانا ولو كانوا من أولي النفوذ والقوة، من ذلك موقفه ممن أرادوا منع آذان الفجر بدعوى أنه يزعج المرضى والنائمين، فهنا نجد الشيخ رحمه الله تعالى يذكر بعض علماء الأمة الشجعان على وجه التأسي والاقتداء، حينما كان الملك الأموي بالأندلس عبدالرحمن الناصر، وكان إلى جانب قصره (مرستان) وهو مستشفى أوقف على المجانين، فانزعج من تصرفاتهم وصراخهم وضحكهم وغنائهم في غير وقت، فاستشار الفقهاء في تحويلهم حتى يكون في راحة، فأجابه الفقهاء بعدم جواز نقل هذا الوقف، ولكن إن أراد السلطان أن ينتقل فلينتقل، يقول الشيخ حماني بعد ذكره لهذا (ونحن نقول لأطبائنا ومترفينا، لقد راقت لنا عاصمتنا

بمساجدها، ومؤذنيها ومكبرات أصواتها، لا نريد أن نتبدل منها بديلا، ولا أن نتحول عنها تحويلا، فمن لم يرقه ما راقنا فهو حر)[1].

بل نجد الشيخ يذكر هنا كذلك ما وقع من محاولات لمنع آذان الفجر من قبل أيام الاحتلال الفرنسي، وكيف وقف علماء الأمة بالمرصاد لذلك، وهذا في ولاية قسنطينة حيث قال الحاكم الفرنسي للنائب المسلم :إن الفرنسيين الساكنين قرب المسجد منزعجون من آذان الفجر الذي يأتي في وقت مبكر جدا، فهل لكم التنازل عنه ؟ فقال له النائب المسلم :إن هذه قضية مهمة جدا وسأنظرها مع المفتي، وإن رأيتم أن نمنع كل ما يزعج فعلنا، فالمسلمون أيضا ينزعجون من أجراس الكنائس، فبهت الذي كفر[2].

الفرع الرابع : **تركيزه على الأولويات**

معلوم أن الإيمان شعب، بينها تفاوت هائل، كما في الحديث الصحيح (الإيمان بضع وسبعون –أو بضع وستون – شعبة، أعلاها قوا لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)

فالمطلوبات منها ما هو واجب ومنها ما هو مندوب، والواجبات نفسها ليست في درجة واحدة، فهناك الواجب العيني والواجب الكفائي، وبعض الواجبات أكد من بعض، وكذلك المنهيات هناك المحرم والمكروه وخلاف الأولى، وحتى المحرم، بعضه أشد من بعض، هناك أكبر الكبائر والكبائر والصغائر، وبعض الناس لا يفقهون هذا فتراهم يرعدون ويزبدون إذا تركت السنة ولا يبالون إذا ترك واجب، كما يحكى على وجه الطرفة أن أحدهم كان لا يصوم رمضان ولكنه يقوم يتسحر مع أهله فعندما ينكرون عليه ذلك يقول لهم:

1- المرجع السابق ,200/1

2- انظر :المرجع السابق،200/1.

(إذا كنت مضيعا للفرض (وهو الصوم) أفتريدون مني أن أضيع السنة أيضا (أي سنة السحور)

إن الشيخ حماني رحمه الله تعالى يعلم الناس من خلال توجيهاته أن يعنوا بما هو أهم، و يبدؤوا بالأولى فالأولى وهم يرومون إصلاح أنفسهم وإصلاح من حولهم، يقول في هذا (من الواجب الذي تقتضيه الحكمة في الدعوة إلى الله أن يبين لعامة الناس أحكام العبادات خصوصا وأحكام المعاملات حتى يعرفوها جيدا، ويبين لهم بقدر الإمكان ما هو واجب منها لا يسع تركه وما هو مندوب يحسن فعله ويمكن تركه وما هو حرام لا يجوز فعله، وما هو مكروه يستحسن تركه و لا يعاقب على فعله، وما هو مباح يجوز فعله ويجوز تركه على حد سواء، فإذا عرفوا ذلك بعدوا عن الفتنة، واستجابوا للدعوة، وسهل انقيادهم..... ولا بأس بترك مستحب أو ارتكاب مكروه في سبيل اتقاء فتنة، وإخماد هيجان حتى تهدا النفوس وتطمئن القلوب، وقد قال عليه الصلاة والسلام :(بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)

المطلب الثاني
نظرة في بعض فتاوى الشيخ حماني رحمه الله

سأقتصر على بعض الفتاوى التي ما تزال الحاجة ماسة إليها والتي لا تزال لها آثارها على المجتمع الجزائري خاصة

1- قراءة القرآن جماعة: أو ما يعرف بالحزب الراتب، وهي طريقة في قراءة القرآن في المساجد والمدارس القرآنية اختص بها أهل المغرب الإسلامي منذ قرون، ولم يقع النكير عليها من علمائنا خلال هذه المدة كلها، فحتى جمعية علماء المسلمين وعلى رأسها الشيخ المصلح قامع البدع ومحيي السنة الشيخ عبدالحميد بن باديس عمل بها مع طلابه في الجامع الأخضر بقسنطينة، ولم يغير فيها إلا بإدخال الوقف في القراءة كما هو في المغرب الأقصى والجهات الغربية والوسطى

بالجزائر، وقد أثبتت هذه الطريقة فعاليتها في ترسيخ الحفظ وتصحيح الأخطاء، بل وامتد أثرها حتى إلى العامة الذين يتابعون القراء، بل ويحفظون معهم بعض الآيات والسور من كثرة تكرارها، وأذكر أن أحد قراء الشام أحضر إلى الجزائر لتنشيط دورة في حفظ القرآن الكريم فقال للقائمين على الدورة: أنتم لا تحتاجون إلينا، بل نحن نحتاج إلى طريقتكم التي تجعل القارئ للقرآن حافظا فعلا يستطيع أن يستظهر القرآن متى شاء بخلاف ما هو عندنا فالقارئ إذا طلب منه القراءة أو إمامة الناس في التراويح يقول: أمهلوني حتى أراجع .

وفي هذه المسألة نجد الشيخ حماني يجيز قراءة القرآن بهذه الطريقة، ويستدل عليها من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ..) رواه مسلم، يقول رحمه الله[1] : (وفي هذا الحديث النص على الاجتماع في المسجد وعلى التلاوة، تبقى الكيفية، وظاهر النص يحتمل أن يقرأ بعضهم ويستمع الآخرون كما يحتمل أن يشتركوا في القراءة، ولو كانت القراءة لواحد فقط لقيل مثلا (يتلى عليهم كتاب الله)، لكن قوله صلى الله عليه وسلم (يتلون كتاب الله) يفيد أن الذين يتلون جماعة لا واحد وقد فهم الإمام الشافعي من الحديث جواز القراءة جماعة .....وروي عن مالك بن انس كراهة القراءة الجماعية....، وقد أهمل أصحاب مالك قوله هذا وخصوصا المتأخرين فجمعوا بأنفسهم القراء على تلاوته جماعة كما تأتي الحكاية عن سيدي محرز بن خلف التونسي(صاحب ابن أبي زيد القيرواني، وهو الذي كتب له ابن أبي زيد رسالته)، وأقر فعله فطاحل العلماء.... ثم غزتنا بدعة الحكم بمنع الاجتماع لقراءته بدعوى أن الاجتماع لقراءة القرآن بدعة منكرة..... وإننا نحذر شعبنا من هذا الغلو، فإن نسيان القرآن

1- فتاوى حماني 12/3

الكريم فيه وعد شديد محتمل(قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى...)[1]

فهو في جواز قراءة الحزب الراتب والقراءة الجماعية بصفة عامة يستند إلى السنة القولية في قوله صلى الله عليه وسلم (ما اجتمع قوم في بيوت من بيوت الله ...) وإلى السنة العملية وما جرى عليه العمل واستحسنه المسلمون منذ قرون، ويستبعد أن يسكت هؤلاء جميعا وخلال هذه القرون كلها على ضلالة على أنه يمكن أن يقال للمنكرين القراءة الجماعية :

- إن هذه طريقة في حفظ كتاب الله تعالى ,فهي داخلة في وسائل التعليم التي اخترع فيها المسلمون الكثير دون نكير

- إن هؤلاء الذين أنكروا قراءة القرآن جماعة قالوا :لأنه يؤدي إلى التشويش على الناس ,وفي الواقع أصبح التشويش بالكلام يمارس في المسجد بدل قراءة القرآن .

2- القبض في الصلاة

في هذه المسألة نرى الشيخ يرجح القبض في الصلاة ويعده من سننها الثابتة ويبين منهجه في هذا الترجيح بقوله (أن القبض مروي عن الإمام نفسه في الموطأ، وأن أغلب الرواة من تلاميذه رووا عنه استحسان القبض ما عدا ابن القاسم وبعض العراقيين فقد رووا عنه كراهته في الفريضة إذا اعتمد عليه في صلاته واستند، ولا يكره عنده في نفل، ولا إذا انتفى الاعتماد، بل يستحسن لورود السنة بذلك، وأكثر علماء المالكية –قديما وحديثا – يقبضون في الصلاة فريضة أو نفلا، ومن المتأخرين علماء الجزائر المصلحون أمثال الشيخ عبدالحميد بن باديس، ومبارك الميلي، والعربي التبسي، ومحمد البشير الإبراهيمي، رحمهم الله وعفا عنا وعنهم، وكلهم التزم مذهب الإمام مالك وعلمه، والتزم السنة ونصرها، فإذا وقع الاختلاف في المذهب اتبعوا من الأقوال ما صحت به

1- فتاوى حماني 14/3

السنة، ومن ذلك هذه الكيفية، ففيها رواية أشهب ومطرف وابن الماجشون والمدنيين وبعض العراقيين عن مالك تثبت القبض كما هو مذهب جمهور الصحابة)[1].

3- صرف الزكاة في بناء المساجد

وترجع هذه المسألة إلى تحديد معنى مصرف (في سبيل الله)، هل هو خاص بالقتال في سبيل الله كما فهمه جمهور العلماء وعرفه أكثر الناس، وبعد أن ذكر الشيخ أقوال العلماء في المسألة بين مضيق وموسع، مضيق يحصر مصرف(في سبيل الله) في القتال، وموسع يجعل مصرف (في سبيل الله) يدخل فيه سائر المصالح والقربات وأعمال الخير والبر، يرجح ويقول: (ومن أقول هؤلاء العلماء نستفيد أنه يجوز بناء المساجد من مال الزكاة إذا احتاجت إليها جماعتهم لإقامة صلاة الجمعة والجماعة، ولم يجدوا مساعدة من أولياء الأمور في تشييدها، أو وجدوا منهم ما لا يكفيهم، ولا يحقق غايتهم، فإن المسجد الجامع به يقوم أمر الدين، وفيه يجتمع شمل المسلمين حيث يعلنون شعائره)[2].

4- نقل الزكاة إلى بلد غير البلد الذي يسكنه المزكي

لم يجمد الشيخ في هذه المسألة عند القول بعدم إخراج الزكاة إلى بلد آخر مطلقا، بل بين أن الأمر فيه سعة ولا حرج في الدين على من أراد أن يبر قرابته في بلده الأصلي ويرسل إليهم من صدقاته رغم أنه لا يعيش معهم، لأنه وإن كان لا يعيش معهم فهو منهم وهم منه، وينطبق عليه (تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)، كما أجاز نقلها إذا كانت الحاجة – في البلد المنقولة إليه- أشد، كما فهم ذلك الصحابة رضي الله عنهم في خلافة عمر، حيث أخرجوا زكاتهم من المدينة إلى مصر، لأن مصر يومئذ نزل بها من الفاقة والحاجة أكثر من المدينة، يقول في هذا: (ورأينا أن الإسلام ليس فيه حرج إلى هذه الدرجة،

1- فتاوى حماني، 80/3

2- المرجع السابق، 94/3

وخصوصا إذا رأينا في قومنا من ينتقل من مسقط رأسه إلى بلد آخر قريب أو بعيد، يفصل بينه وبين وطنه بحر وأراد أن تبقى له صلات مع بلده مسقط رأسه، فأي حرج أن يخصص جزءا من ماله وزكاته لبلده الأصلي يصل به بلدا فيه عماته وخالاته، ورواضعه وأقرباؤه؟ ولو تذكر أهل العواصم قرباهم في بلدانهم الأصلية وسعوا في مساعدتهم لكان ذلك خيرا في تحقيق التوازن بين البدو والحضر)[1].

5- هل للأب أن يحرم ابنه العاق من الميراث؟

لم يجز الشيخ رحمه الله تعالى للأب أن يحرم ولده العاق من الميراث، بناء على أن الظلم من أحد من الناس لا يكون سببا في إباحة ارتكاب ظلم آخر، فإذا كان احد الأبناء عاقا يؤمر بطاعة أبويه وعدم العقوق، ولكن لا يبيح حرمانه من الميراث، لأن الميراث حكم من الله حكم به على من مات من المسلمين وترك بعده ورثة وميراثا، ويوصي هذا الأب بان يصبر على ولده ويسامحه ويرضى عنه لعل الله تعالى يهديه لفعل ما هو خير واجتناب ما هو شر، فمن عصى الله فيك أطع الله فيه ,انظر :المرجع السابق ,275/3.

1- المرجع السابق، 102/3

المرجعية الفقهية في فتاوى الشيخ أحمد حماني

د.رابح زرواتي
جامعة باتنة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

استغرقت فتاوى الفقيه الجليل الشيخ أحمد حماني عشرات السنين، أثناء الثورة التحريرية وما بعد الاستقلال، خصوصا في فترة رئاسته للمجلس الإسلامي الأعلى من سنة 1972م إلى سنة 1989م حيث انتهت المهمة رسميا لكنها لم تنته عمليا، إذ بقي يجيب عن أسئلة المواطنين باسمه الخاص.

وهذه الفتاوى خلال هذه السنوات منها ما كان مكتوبا وقد نشر معظمه، غير أن هناك الكثير منها لم ينشر لأنه صدر مشافهة أو بقي مهملا.

ومِن أول مَن أبدى اهتمامه بهذه الفتاوى الشيخ عبد الرحمن شيبان، فقد كان معجبا ومهتما بها غاية الاهتمام، فأمر بنشرها في جريدة العصر التي أنشأها، واهتم بها من بعده أخوه الدكتور سعيد شيبان لما أصبح على رأس الوزارة، فأمر بجمعها حتى يخرجها في كتاب للناس.

والمتأمل في هذه الفتاوى يجد أن الشيخ أحمد حماني قد نص فيها على رأي المالكية، وليس المراد من ذلك هو التعصب المذهبي، فالمذاهب في نظره كما قال هو: (فالمذاهب الإسلامية محترمة عندنا كل الاحترام، وسواء عندنا

أبو حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد ابن حنبل أو جابر بن زيد أو الإمام زيد أو داود، كلهم أئمة هدى وبمثلهم يُقتدى)[1]، إنما ذلك لسببين هما:

1ـ أنه رحمه الله متخصص في مذهب الإمام مالك، فهو إذن يفتي بما يعلم، ولا يمنعه ذلك من نقل ما يعرفه من أقوال غير المالكية.

2ـ أن السائل إنما يسأل عن المذهب المالكي، والأغلبية الساحقة من شعبنا يقلدون مذهب الإمام مالك.

ومع ذلك كله فقد خرج عن المذهب المالكي في حالات نادرة، وأفتى رحمه الله بما عند غير المالكية لما رآه الأصوب كما في قضية إفطار المجاهدين في رمضان وغيرها، وهذا يدل على سعة اطلاعه ومرونته واتباعه للحق أنى وجده، وتلك سمات الفقيه الحقيقي.

مصادر الإمام الشيخ أحمد حماني في فتاواه من كتب المالكية:

كان يعتمد في استنباطه للأحكام كغيره من الأئمة الأعلام على الكتاب والسنة أولا، حيث يقول في ذلك: (إننا اعتمدنا في بيان علة الأقوال لإيناس المستمع، كما ذكرنا أدلة القول المفتى به من الكتاب أو السنة)[2].

واعتمد في نصوص السنة المستدل بها على الصحيح والحسن ولم يعمل بالضعيف في أي مجال من مجالات الدين، وهو في ذلك تبع للإمام ابن العربي، حيث يقول: (فنحن نستعمل الحديث الصحيح والحسن، ونقلد الإمام أبا بكر بن العربي في أن الحديث الضعيف لا يُلتفت إليه ولا يُعمل به، لا في الأحكام ولا في العقائد ولا في غيرها)[3].

أما كتب الفقه التي اعتمد عليها فهي أمهات المصادر في المذهب المالكي، وهي تنقسم إلى قسمين: كتب المتقدمين والمتأخرين.

---

1 ـ فتاوى الشيخ أحمد حماني، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، طبعة وحدة الرغاية 1993م: 1/ 11.

2 ـ المرجع السابق: 1/ 12.

3 ـ المرجع نفسه: 13/1.

أولا ـ كتب المتقدمين: الموطأ ثم المدونة فالموازية وبعدها العتبية وبقية شروح المدونة.

ثانيا ـ كتب المتأخرين: مختصر خليل وشراحه: الدردير والخرشي وعليش وغيرهم، وأقرب المسالك وشرحه للدردير.

ثالثا ـ ومن الكتب التي كان يحتج بها: الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، والبيان لابن رشد الجد، والأحكام لابن العربي، وتفسير القرطبي، والفروق للقرافي، والتحفة لابن عاصم، وشرح التاودي والتسولي، والتبصرة للخمي، والتبصرة لابن فرحون، وكتاب الإشراف للقاضي عبد الوهاب، وغيرها[1].

وإلى القارئ الكريم تعريف بكل واحد من هذه الأمهات، لنتبين أن الشيخ أحمد حماني -رحمه الله- كان على معرفة دقيقة ومحيطة بالكتب الأمهات، وعليها ـ بعد الكتاب والسنة ـ كان يعتمد في فتاواه.

1ـ **الموطأ**: للإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ):

أول كتاب في شرائع الإسلام، لم يُؤلف مثله، يقول مالك في سبب تأليفه: (لقيني أبو جعفر المنصور ـ يعني في الحج ـ فقال: إنه لم يبق للناس عالم غيري وغيرك، فأما أنا فقد شُغلت بالسياسة، وأما أنت فضع للناس كتابا في السنة والفقه، تجنب فيه رخص ابن عباس وتشديدات ابن عمر وشواذ ابن مسعود، ووطئه توطئا)[2].

توخى الإمام مالك في كتابه القويَّ من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومَن بعدهم[3]، وضمّنه فقهه المستند إلى العمل أو إلى القياس أو إلى قواعد الشريعة[4].

---

1 ـ انظر المرجع نفسه.

2 ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الحجوي: 335/1.

3 ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ الإمام مالك، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: 5/1.

4 ـ كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر بن عاشور: ص 94.

(وبوَّبه على أبواب الفقه، فأحسن ترتيبه وتبويبه، فكان كتابا حديثيا فقهيا، جمع بين الأصل والفرع، فهو أول تدوين يعتبر في الحديث والفقه)[1].

وكاد الموطأ يصبح "الدستور المذهبي الموحّد" لكل الأمة الإسلامية في أوائل القرن الثاني الهجري في خلافة المنصور، إذ قال لمالك: (إني عزمت أن آمر بكتبك هذه التي وضعت ـ يعني الموطأ ـ فتنسخ نُسخا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، وألا يتعدوها إلى غيرها، ويَدَعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث، فإني رأيت أصل العلم: رواية أهل المدينة وعلمهم)[2]. ولكن ألمعية مالك وبعد نظره وفهمه العميق لأسرار الشريعة ومقاصدها، وطبيعة التشريع الإسلامي وأصوله، واحترامه لآراء غيره، كل ذلك أبى عليه أن يقبل هذا الرأي أو يتبناه.

وكان الموطأ يُعدّ أصحَّ كتاب بعد كتاب الله تعالى، حتى ألّف الإمام البخاري صحيحه، ولم يُنقص ذلك من قدر الموطأ عند أرباب العلم بالحديث إلى زماننا هذا، فإن الموافق والمخالف أجمع على تقديمه وتفضيله.

رُوي الموطأ بروايات متعددة، ونُسخه تزيد على الثلاثين، ويرجع هذا التعدد في الروايات إلى كثرة تلاميذ مالك الراوين موطأه.

ولا شك أن أشهر الروايات وأكثرَها تداولا بين العلماء هما رواية يحيى بن يحيى الليثي ورواية محمد بن الحسن الشيباني. وقد اهتم العلماء بالموطأ قديما وحديثا شرقا وغربا.

ولا يقف التأثير الفقهي للموطأ على مذهب المالكية، بل يتعداه إلى المذاهب الأخرى، فأصل مذهب الشافعي ومادة اجتهاده هو الموطأ، ورأس المال لفقه الإمام محمد ابن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة في المبسوط وغيره

1 ـ الفكر السامي: 335/1.

2 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض: 80/2.

هو الموطأ، فهو عمدة مذهب الشافعي وأحمد، ومصباح مذهب أبي حنيفة، وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون[1].

2ـ **المدونة** (مدونة سحنون: ت 240 هـ): المدونة عَلَمٌ على الصيغة الأخيرة المنقحة المهذّبة لما عُرف من قبل بمدونة أسد بن الفرات، والصيغة الجديدة هي تلك التي تلقاها سحنون عن ابن القاسم بعد أن أعاد الأخيرُ النظر في مدونة أسد بن الفرات، واختصاص سحنون بنسبتها إليه يعود إلى ما أَدخل عليها من التهذيب والتنظيم، وما أَلحقه بها من خلاف كبار أصحاب مالك، ومن الآثار والأحاديث[2].

(فالمدونة الموجودة بين أيدينا هي ثمرة جهود ثلاثة من الأئمة: مالك بإجاباته، وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتنسيقه وتهذيبه وتبويبه وبعض إضافاته)[3].

(ضمّت المدونة بين دفّتيها حوالي 36000 مسألة، إلى جانب الأحاديث والآثار)[4].

(ويُروى أنه ما بعد كتاب الله كتاب أصح من موطأ مالك، ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة، والمدونة عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزئ عن غيرها، ولا يجزئ غيرها عنها)[5].

ولم يحظَ كتاب فقهي من كتب المالكية ما حظيت به المدونة من عناية واهتمام، فقد اعتنوا بها عناية فائقة، فمنهم من لخصها واختصرها، ومنهم من علّق

---

1 ـ انظر تسهيل دراية الموطأ بتعريف مقدمة المصفّى، عبد الوهاب ولي الله الهدلوي: ص33، المسوّى من أحاديث الموطأ، أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الهلوي: ص5.

2 ـ انظر معلمة الفقه المالكي: ص305.

3 ـ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، عمر الجيدي: ص177.

4 ـ المرجع نفسه: ص181.

5 ـ المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، ابن رشد الجد: 44/1، 45.

على بعض أفكارها، ومنم من نبّه على مشكلاتها، ومنهم من شرحها شرحا وافيا، وكما قال القاضي عياض: (أفرغ الرجالُ فيها عقولَهم)[1].

وباختصار أصبحت المدونة دستور المالكية الذي يحتكمون إليه أيا كانت مدارسهم وعصورهم، حتى قال قائلهم: (ما من حكم نزل من السماء إلا وهو في المدونة)[2].

3ـ **الموازية** (كتاب ابن المواز محمد بن إبراهيم ت 269 هـ):

(صارت الموازية في القرن الرابع الهجري أحد أشهر كتب الفقه في شمال إفريقيا، حيث ضمّت كل المسائل العويصة في الفقه المالكي، فضلا عن الاهتمام بفروع المالكية)[3].

والموازية رابعة الأمهات والدواوين، وهو أجل كتاب ألفه قدماء المالكيين، وأصحه مسائل، وأبسطه كلاما، وأوعبه، بلغ من تقدير المالكية لهذا الكتاب أن رجّحه أبو الحسن القابسي على سائر الأمهات، وتُعدّ سماعات ابن المواز وآراؤه التي ضمنها في كتابه قمة ترجيحات المدرسة المالكية المصرية في هذا الدور[4].

ويتميز منهج ابن المواز في كتابه بأنه (قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم)[5]، وهو منهج لم يُسبق إليه.

4ـ **العتبية** (المستخرجة من الأسمعة لمحمد بن أحمد العتبي ت 255 هـ):

عبارة عن حصر شامل لمعلومات فقهية يرجع معظمها لابن القاسم عن مالك، كما أنها تحتوي على آراء فقهية لتلاميذ مالك[6]، فهي إذن سماعات أحد

1 ـ ترتيب المدارك: 300/3.

2 ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد بن القاضي المكناسي: 127/1.

3 ـ دراسات في مصادر الفقه المالكي، موراني ميكلوش: ص152.

4 ـ ترتيب المدارك: 169/4.

5 ـ ترتيب المدارك ، القاضي عياض: 169/4.

6 ـ دراسات في مصادر الفقه المالكي: ص118.

عشر فقيها: ثلاثة منهم أخذوا عن مالك مباشرة، وهم: ابن القاسم وأشهب وابن نافع المدني، والآخرون أمثال: ابن وهب ويحيى الليثي وسحنون وأصبغ[1].

وكان من حسن حظ العتبية أن يهتم بها عالم الأندلس الكبير ابن رشد، فقام بنقدها وتمحيصها في البيان والتحصيل، فأصبحت خيرا وبركة وزيادة في فروع المذهب المالكي[2].

والعتبية هي ثالثة الأمهات والدواوين، اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبية، وهجروا الواضحة وما سواها[3]، ولها عند أهل إفريقيا القدر العالي، فالعتبية قد عوّل عليها الشيوخ المتقدمون من القرويين والأندلسيين، واعتقدوا أن من لم يحفظها ويتفقه فيها، ليس من الراسخين في العلم[4].

5ـ **مختصر خليل** (خليل بن إسحاق ت 776 هـ):

لم يحظ كتاب بعد الموطأ والمدونة بما حظي به مختصر الشيخ خليل من الاهتمام، فتوى وقضاء، منذ ظهوره إلى وقتنا هذا، له نحو خمسمائة عام تتعاطاه الأئمة شرقا وغربا، حتى صار في الفروع الظنية كالتواتر على صحة ما فيه[5]، وهو عمدة المالكية، وقد اعتنوا به شرحا ودرسا، وتركوا كل شيء سواه غير الرسالة[6].

6ـ **الشرح الكبير** (أحمد بن محمد الدردير العدوي - ت 1201 هـ):

وهو من أحسن الشروح على مختصر خليل وأدقها، حيث فتح مغلقه وقيد مطلقه، واقتصر فيه على المعتمد من أقوال المذهب الذي تجب به الفتوى[7].

---

1 ـ معلمة الفقه المالكي: ص142.

2 ـ البيان والتحصيل (مقدمة المحقق: 21/1).

3 ـ مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: ص245.

4 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري أحمد بن محمد التلمساني: 415/2.

5 ـ الفكر السامي: 402/2.

6 ـ ترجم خليل لعظوم: ص 114.

7 ـ انظر مقدمة الشرح الكبير، أحمد الدردير: 5/1، 6.

واعتمد شيخ الإسلام القطب الدردير في شرحه هذا على الشيخ عبد الباقي والشبرخيتي والتتائي والخرشي[1].

وسمى شرحه لخليل بالشرح الكبير في مقابل شرحه لمختصره هو "أقرب المسالك لمذهب مالك" الذي سماه بالشرح الصغير، وذلك احتراما وتقديرا لخليل.

7ـ **شرح الخرشي** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت 1101 هـ):

وهو شرح جليل على مختصر سيدي خليل، قال الإمام الخرشي: (وَقَدْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ ـ أي على مختصر خليل ـ شَرْحًا يَحِلُّ أَلْفَاظَهُ يَحْتَوِي عَلَى تَقْيِيدَاتِهِ وَفَوَائِدَ يَصْعُبُ فَهْمُهَا عَلَى الْمُبْتَدَئِينَ وَغَيْرِ الْمُمَارِسِينَ)[2].

اهتم به العلماء وطلبة العلم، واعتكفوا على دراسته إلى غاية تنافسهم في حفظه، كيف لا وصاحبه الإمام الخرشي الفقيه الصالح، وهو أول من تولى مشيخة الأزهر، وانتهت إليه رياسة مصر حتى لم يبق بها إلا تلاميذه، واشتهر في بلاد الإسلام كلها لصلاحه وورعه[3]، قال عنه أحد تلاميذه: صحبته عشرين سنة فما أظن كاتب الشمال كتب عليه شيئا.

8ـ **أقرب المسالك لمذهب مالك** (أحمد بن محمد الدردير العدوي ت - 1201 هـ):

بعدما شرح الإمام الدردير مختصر خليل، لاحظ عليه ملاحظات علمية وأخرى منهجية وثالثة لغوية، فأعاد صياغة مختصر خليل بأسلوبه في مختصر سماه "أقرب المسالك لمذهب مالك"، واقتصر فيه على أرجح الأقوال، واستبدل

1 ـ انظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي: 5/1.

2 ـ شرح الخرشي عل مختصر خليل، الخرشي: المقدمة.

3 ـ الفكر السامي: ص615.

الأقوال غير المعتمدة بها، وقيّد ما أطلقه خليل، كما قدّم وأخّر لما يجب تقديمه أو تأخيره[1].

ثم شرح الإمام الدردير هذا المختصر وهو المعروف بالشرح الصغير، فجاء هذا الكتاب، وهو الشرح الصغير للدردير في غاية الجودة والإتقان من جميع الجوانب، سواء من الناحية العلمية أو المنهجية أو اللغوية.

ومن هذا الكتاب الفتوى، وعليه الاعتماد في معرفة القول الراجح في المذهب، فهذا الكتاب إذن هو زبدة الفقه المالكي بعد عملية التصفية والتنقيح التي استغرقت ما يزيد عن عشرة قرون.

وقد قيّض الله له العلامة الإمام الصاوي فوضع عليه حاشية سماها "بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك"، فأتمّ الله به النعمة وأقام به الحجّة.

9ـ **الرسالة** (أبو محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني - ت 386 هـ):

أكثر كتب ابن أبي زيد القيرواني انتشارا، وأعظمها تأثيرا في الميدان التعليمي والفقهي بخاصة، ابتدأ رواجها من حياة مؤلفها، حيث ابتدأ بشرحها القاضي عبد الوهاب، إلى أن زادت شروحها عن مائة شرح[2].

ونالت الرسالة الكثير من القبول والعناية والشهرة والانتشار في الآفاق، وكان لها عمق الأثر في خدمة المذهب ونفع الأجيال على امتداد الزمان والمكان، وتلقاها الناس بالقبول في جميع الأمصار.

واحتوت الرسالة على أربعة آلاف مسألة، مأخوذة من أربعة آلاف حديث، ما من مسألة إلا وهي مأخوذة من حديث[3].

---

1 ـ انظر أقرب المسالك (المقدمة)، الدردير.

2 ـ الرسالة الفقهية مع غرر المقالة في شرح غريب الرسالة، محمد بن منصور المغراوي، تحقيق الهادي حمو ومحمد أبو الأجفان، مقدمة التحقيق: ص43 ـ 48.

3 ـ انظر شرح زروق مع شرح ابن ناجي على متن الرسالة: 16/1، 17.

لكل هذا فلا غرو أن تكون الرسالة بأكورة السعد للمتعلمين، وزبدة المذهب للمتفقهين[1].

10- **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة (العتبية)** (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد، ت 520 هـ):

من كتب المالكية الجليلة القدر، المعتمدة عند كل من جاء بعده[2]، وهو شرح موسع للعتبية، واتبع في ذلك منهجا تحليليا مقارنا، كشف به غموض العتبية ودقق في مختلف الروايات، ونبه إلى الصحيح والضعيف والصواب والخطأ، فقربه إلى الطلاب وبصرهم بكيفية الإفادة منه وسهّل صعوباته[3]. وهو الآن محقق ومطبوع في حوالي خمسة عشر مجلدا.

خاتـــمة:

وإذ نكتفي بهذا التعريف الموجز لهذه المصادر والمراجع الأساسية التي كان يعتمد عليها الشيخ أحمد حماني، فإنها تمثل نصف المراجع التي ذكر رحمه الله في مقدمة الجزء الأول من فتاواه أنه كان يعتمد عليها في الفتوى، مع أنه قال في نهاية ذكرها "وغيرها".

وذلك كله يدل بما لا مجال للريب فيه على سعة علمه واطلاعه، ومعرفته الدقيقة بأشهر وأجل المصادر والمراجع في المذهب التي يوجد فيها القول الراجح ويؤخذ منها القول المعتمد.

ومعرفته الواسعة والدقيقة بالمذهب هو ما جعل منه مأوى السائلين من داخل الوطن وخارجه في مختلف القضايا القديمة والمعاصرة.

---

1 ـ انظر الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: 2/1، الرسالة الفقهية مع غرر المقالة، مقدمة التحقيق: ص41.

2 ـ الفكر السامي: 219/2.

3 ـ انظر البيان والتحصيل، ابن رشد، مقدمة التحقيق.

والمعايشة المستمرة لهذه المراجع أكسبته ملكة فقهية وقدرة كبيرة على خوض المسائل المستجدة في عصرنا، فكان فارسا لا يُشق له غبار إن في القديم أو الحديث، وكان ممثل الجزائر في المؤتمرات والملتقيات العلمية وخصوصا الفقهية، حيث أزاح عن الأمة الجزائرية الغمة ورفع عنها الحرج ورفع رأسها عاليا بين الأمم.

فجزاه الله عنا جميعا خير الجزاء، وأجزل له الثواب، وأسكنه أعلى الجنان.

والحمد لله رب العالمين .

فتاوى العلامة الشيخ أحمد حماني
مثال لرشد التحليل وسداد التعليل

أ.عثمان أمقران
جامعة جيجل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله البر الرحيم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الشيخ حمّاني- رحمه الله- من علماء الجزائر المرموقين الذين سخّروا نعمة العلم والفقه في جمع كلمة أمة الإسلام على سواء في الجزائر وفي غيرها من بلاد وأرض الله، وفي شحذ الهمم لمواجهة تحديات ورهانات العصر في صفّ لا صدع فيه ولا يرقّع بالكسالى.

وفتاواه في معظمها تصبّ في هذا المجرى – مجرى توحيد الصف والهدف- دونما تأثر باختلاف الاجتهادات الفقهية في فروع العقيدة والعبادات وفي رحاب المعاملات الحيوية في مناحي الحياة الاقتصادية والتجارية والسياسية وما إليها ممّا قعدت له شريعتنا الغرّاء القواعد، وأصلت له الأصول وأقامت له الأركان والأسس تاركة للعقل المسلم أمر الاجتهاد فيه في ضوء كل هاتيك .

كان فضيلة الشيخ أحمد حماني – رحمه الله – عالما مجتهدا بحق في كنف الأصول الفقهية التي قررها وضبط مسالكها فقهاء المذهب المالكي المبرّزون من أمثال " الزرقاني والباجي وابن فرحون وأبي بكر بن العربي والقرطبي والشاطبي، وأبي عمر بن عبد البر والقرافي وابن رشد الجد وابن رشد الحفيد وغيرهم و غيرهم ....

فهو من مجتهديّ المذهب ولم يبلغ إلى مصف الاجتهاد المطلق الذي بلغ إليه بعض السابقين إليه، ولعل ابن عبد البر وأبا بكر ابن العربي وابن القاسم وسحنون هم أصلا من يمثل هذا المصف بما حققوه لمدرسة المالكية من اتساع الأمداء واستطراق الأرجاء بناء على ما يغشى حياة البشر ومجتمعاتهم من تغيرات وتطورات .

لكن الشيخ الجليل – رحمه الله- وهو من هو – شرف انتساب إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقوة تبلّغ من فقه الأصول وعلوم العربية وعلوم التفسير والحديث – قد نحا – في كثير من الأحيان – نحوهم في بيان أحكام الشريعة من خلال الفتوى بالخصوص، معتمدا على التحليل الصارم لمعطيات القضايا المعروضة عليه من المستفتين والتعليل الحازم للأوضاع النفسية والاجتماعية التي قضت بانطراحها على نحو من الأنحاء متبوّئا بذلك مبوّأ الفقيه النحرير الحرّيت الذي بنى فقهه الفارع على ثلاث دعائم :

1- التأصيل .

2- التنزيل .

3- والتفعيل .

فكل قضية تعرض على نظره الثاقب يستفتيه صاحبها في الحكم الشرعي المناسب لها، يأخذ الشيخ الجليل أولا في تأصيلها عائدا بها إلى مباءتها الطبيعية لتحديد سياقاتها و سباقاتها و لحاقاتها قبل أن يسلط عليها أشعة الوحي الوهاجة بنصوصه القرآنية والسنية، فيتم له تنزيلها بعد تأصيلها ليأخذ- في نطاسيّة باهرة- في تفعيل حكم الشرع غير وأن في استنطاق اجتهادات السلف الصالح من صحابة وتابعين و تابعيهم بإحسان . والشيخ مالك من هؤلاء بالذات، وفي استدعاء نظرات وأنظار أبرز مجتهدي فقه المذهب من مثل "خليل ابن إسحاق المصري بمختصره وشراحه الدردير والخرشي وعليش ومن

مثل ابن رشد الجد والحفيد وابن العربي بأحكامه والقرافي بفروقه وابن عاصم بتحفته وشرح التاودي والتسولي وابن فرحون واللخمي بتبصرتيها .

وأنت إذا قرأت فتواه – رحمه الله- رأيت فيضا من العلم دفاقا وسيلا من الفقه رقراقا يحتملان زبدا رابيا من حقائق التاريخ ورقائق الموعظة وفصوص الحكمة ونصوص الشريعة ودفعات الواقع الحيوي الشاخص، فكأنما أنت أمام مبحث فقهي قائم الذات لا أمام فتوى عادية يقصرها المفتي أو المستفتى على بيان الحكم من الكتاب والسنة أو مما يقتضيه فقه المقاصد في أحسن الأحوال، وفصّص القول فيه بمهابذة هذا الفقه كالشاطبي والقرافي ولا يزيد ولا ينقص .

أما شيخنا حماني فهو يطلق العنان لقلمه التّهان يصول ويجول غير وهنان ولا وسنان في علوم الشريعة وعلوم آلاتها وأدواتها وفي التاريخ وفي متون الفحول للاسترشاد بالأصول وفي رياض الأدب الناضرة كذالك .

تلكم في إجمال أهم معالم وملامح الفتوى عند شيخنا العلامة أحمد حماني – رحمه الله- وقد كان ومازال – بإقرار علماء المذهب عندنا – المرجع والمآب لكثير مما يفتون به العوامّ والخواص على السواء، وكم كان مصيبا – ويم الله فضيلة الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله- حين قال في شيخنا قولته السديدة العتيدة (الشيخ حماني فقيه مسدد في مذهبه عميق الغور، ينحت من صخر ويغرف من بحر)[1] ولننظر بعد هذا في بعض فتاويه نستجلي بها حقائق ما قررنا آنفا عن منهجه الرشيد السديد في استصدار أحكام الشرع لمختلف القضايا المحالة إليه للإفتاء فيها.

إن أول ما شدني إلى فتاوى الشيخ وأنا أسيح في رحابها العامر المعمور (والرحاب يذكّر ولا يؤنث فتنبه) اطلاعه الواسع على المذاهب الاجتهادية المخالفة، وتوقيره الشديد لأصحابها وذكره لهم بكل تجلة وإكبار غير شاغب عليهم

1- قال هذا في إحدى محاضراته الأربعائية التي كنت أحضرها دائما في مدرج مالك بن نبي بالجامعة الإسلامية (الأمير عبد القادر) .

ولا مخطّئ لاجتهادهم، ودعوتهم- في لين وكياسة ولباقة- إلى بيان أن قولهم ليس هو الصواب وحده وأن هناك أقوالا قد تكون خطأ يحتمل الصواب وأضرب على ما أقول مثلا مما جاء في فتوى له – رحمه الله- صدرت من فضيلته يوم 19 مارس من عام 1993م، وفيها يرد على مستفت قرأ للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي – حفظه الله ونفع به- فتوى وردت له في " فتاويه المعاصرة" وبالذات في باب (فقه الصيام) طالبا من شيخنا رفع لبس لابس فتوى الدكتور يوسف .

و مضمون هذه الفتوى (أن من أفطر نهار رمضان بغير جماع و من غير عذر فلا كفارة عليه، و انما يكون قد ارتكب اثما عظيما على ولي الأمر أن يعزره و يؤدبه و لا حد و لا كفارة.

و هكذا - بناء على هذا- يكون على من أكل وشرب أو دخن أو باشر فيما دون البضع فينزل أو يستمني فينزل- عامدا متعمدا مختارا عالما بالتحريم القضاء فقط لأن الله تعالى أوجب هذا القضاء على المريض والمسافر مع وجود العذر فلأن يجب مع عدم العذر أولى ويجب الإمساك بقية اليوم لأنه أفطر بغير عذر، فلزمه ذلك ولا تجب عليه الكفارة لأن الأصل عدم الكفارة إلا فيما ورد به الشرع.

وقد ورد في وجوب الكفارة في السفاد وما سواه ليس بمعناه لأن السفاد أغلظ فيبقى على الأصل

وفي هذه الفتوى أيضا يقول الدكتور القرضاوي : وبعض السلف غلظ عليه ولم يكتف بقضاء يوم عليه بل أوجب عليه كفارة " الجماع" قياسا لشهوة البطن على شهوة الفرج، وهو مذهب أبي حنيفة والزهري والأوزاعي والثوري وإسحاق والمشهور من مذهب مالك) انتهى نص فتوى الدكتور يوسف القرضاوي.

ويجيء جواب شيخنا متسما برزانة وزكانة العالم البصير بأقوال الرجال والخبير بمآتيها ومراجعها فيبدأ بتعيين نص الفتوى بنسبتها إلى صاحبها أولا وهو الشيخ الشافعي" رضي الله عنه" ذاكرا الشيخ القرضاوي بما هو له أهل وبه جدير فهو – كما يقول شيخنا حماني- علامة متمكن فيما يكتب ولا يتهم بشيء في دينه ولا في خلقه، ثم يناقشه قبل أن يدلي بالحكم البات فيها فيقول: (لا عيب على أي امرئ أن يعتنق أي مذهب فرعي فيدافع عنه بحجج أهله أو بحجج من عنده بشرط أن يكون أمينا منصفا في النقل، و يترك الحكم لغيره، لكن يعاب عليه إن قال عن مذهبه هذا إنه هو الحق والصواب والصحيح وخلافه باطل ضعيف أو سخيف. ويبلغ في علو المقام القمة إن أنصف ونصر قول خصمه لأنه أقوى حجة من مذهبه كما رأينا في بعض مواقف علمائنا كابن العربي أو القرطبي أو ابن رشد، فإنهم إذا تكلموا في الفروع المختلف فيها عرضوا حجج المذاهب واتخذوا موقفا قد يعترف للمخالفين بقوة حجتهم ويفضلون مذهبهم) وأنا أتذكر هنا موقف الشيخ أبي بكر ابن العربي من فتوى أبي حنيفة النعمان ابن ثابت فيما أخرجت الأرض ومناصرته لها قائلا " إنها أوفق مع منطوق ومفهوم القرآن " وترك فتاوي المالكية في هذا الشأن مما هو مبسوط في دواوينهم الفقهية الثرة .

ويقرر شيخنا بعد ذلك أن الدكتور يوسف ناقل لمذهب الشافعية أمين في نقله عنهم و أيده فيما ذهب إليه أولا من أن الإفطار عمدا من غير عذر بالوقاع، حكمه الكفارة بلا خلاف كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة " رضي الله عنه" وفيه أن رجلا جاء إلى النبي "صلى الله عليه و سلم" فقال: هلكت وأهلكت قال: وما الذي أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان قال: هل تجد ما تعتق به رقبة؟ قال: لا قال: هل تجد ما تطعم به ستين مسكينا؟ قال: لا قال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، ثم جلس فأتي النبي "صلى الله عليه وسلم بعذق فيه تمر فقال: تصدق

بهذا قال: أو فيها أفقر منا يا رسول الله فما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا إليه فضحك النبي " صلى الله عليه وسلم" حتى بدت أنيابه ثم قال: اذهب وأطعمه أهلك ."

قال شيخنا بعد عرض هذا الحديث الصحيح (إذن فقد صدر الحكم من النبي " صلى الله عليه وسلم فيمن أفطر بجماع فلا كلام لأحد في مخالفة أمره) ويأخذ مباشرة بعد هذا في عرض أقوال المذاهب الاجتهادية المخالفة لمذهب الشافعي – رحمه الله- مقررا في جلاء واجليلاء أن من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين من مالكية وحنفية وغيرهم من نص – صراحة – على أن ليس في الحديث أي تصريح ولا تلويح بأن حكاية هذا الرجل خاصة به أو بالوقاع أو السفاد .

واستظهر – فضيلته- بقول الشافعي في الأصول – وهو – بلا منازع ولا مدافع- أبو فقه وعلم الأصول – حكاه عنه العلامة المالكي – القرافي في (التنقيح) يقول فيه أي: الشافعي (ترك الاستفصال في حكاية الأحوال يدل على العموم في المقال) .

ومن هنا يتبين أن(الشارع لم يبين أن هذا حكم مختص بهذا الرجل وبأنه خاص بمعصية الجماع في نهار رمضان فقط، بل ترك هذا التفصيل يدل على العموم في المسلمين وفي المفطرات).

وبهذا ينقض شيخنا فتوى الشافعية بأصل من الأصول قرره الشافعي نفسه ثم انظر معي كيف عقب على هذا بقوله(فمن أخذ من الناس بمذهب الشافعي فإن له سندا من عدم النص فيما عدا الجماع، ومن أخذ بمذهب المالكية والحنفية فله سند هو هذا، ومادام المؤلف يتحدث إلى الشافعية فلا ضير عليه أن يحدثهم عن مذهبهم فإن خاطب عموم الناس ومنهم المالكية الحنفية فالواجب عليه أن يبين لهم حتى لا يربكهم ويثير شكهم واستغرابهم، ثم إن شاء لزم الحياد

وعرض الحجج وترك الحكم للمنصفين، وإن شاء أعلن انحيازه لرأي بعينه بعد بيان غيره و بيانه هو) .

أرأيت تحليلا أرشد وتعليلا أسد من ذاك وذا؟ ثم تابع ما قرره بعد هذا بقوله (ولكن المؤلف لم يسلك هذه الطريقة، فقد أوهم قارئه بأن مذهب الشافعي الذي نقله بأمانة هو حكم الشرع وأن غيره إنما هو مذهب لبعض السلف كالزهري وأبي حنيفة والأوزاعي وإسحاق والثوري ومشهور أقوال المالكية، وأن قولهم هذا سيق مساق التغليظ وهذا خطأ بين من صاحب الكتاب. فليس القول من باب التغليظ بل هو من باب الاستنباط والاجتهاد ثم إن القائلين به ليس بعض السلف بل قول علماء الصحابة، وعليه جمهور الخلف إلى اليوم .)

ولقد ساءلت نفسي – أنا كاتب هذه السطور- ساءلتها المرار العديدة : ماذا يبقى من حرمة لهذه الشعيرة التي نسبها الله الى نفسه فقال : " إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به " اذا هونا من أمر الأكل والشرب بغير عذر في النهار وقلنا يكفي فيه القضاء أفليس في ذلك مظنة لكل عبيد شهوات النفوس أن يتجرؤوا على عدم الصيام في شهور الحر ليقضوها في شهور القر تفاديا لمشقة طول النهار واحترار أجوائه واستحرارها. وهذا هو بالذات ما لم ينفك ينادي به عرابو العلمانية عندنا وإلى الله المشتكى.

وينهى شيخنا فتواه الجليلة بقوله – رحمه الله- (والذي يدل على تحيزه لمذهب الشافعي دون غيره هو قوله - في تأييده - بوجوب التعزير بعد عدم وجود الحد والكفارة ونحن نمنع هذا بل نقول إن الكفارة موجودة من تبليغ الرسول " صلى الله عليه وسلم " فيمن أفطر عمدا دون عذر، فيجب أن نقف عند حدها، أما القول بلزوم التعزير فهو الذي يحتاج إلى دليل فإن الرسول "صلى الله عليه وسلم لم يحكم به على من جاء يسأله مع أنه ارتكب هذه الخطيئة العظمى ولم يوجه له أدنى كلمة تجرح شعوره لأنه جاء تائبا معلنا ندمه

يضرب صدره وينتف شعره ويقول: هلكت وأهلكت أو احترقت كما في بعض الروايات الصحيحة، فوصف له المرهم ثم لما علم عجزه رحمه وأشفق عليه ثم ضحك في وجهه وأذن له في أكل كفارته، وهذه هي الرحمة المهداة إلى العالمين والنعمة المسداة إلى بني آدم أجمعين، ومن عجيب ما يؤخذ على علامتنا الفاضل أنه منحاز القول إلى مذهبه في تعليل التغليظ في الجماع دون سواه وما سواه ليس بمعناه، لأن الوقاع أغلظ فيبقى على أصله) ومعنى هذا الكلام كما يقول الشيخ أحمد - رحمه الله – أن سقوط الكفارة في غير الوقاع تؤيده البراءة الأصلية كما في هذا فقد غلظ فيه بالخصوص تغليظا لأن غيره ليس بمعناه وهذا لا يستقيم كما يدل عليه كلامه نفسه .

فما قول الدكتور في مقدمات الجماع من التقبيل والملامسة والملاعبة والمداعبة حتى الإنزال بل المباشرة فيما دون البضع. أليست هذه كلها بمعنى الجماع أيضا، أفلم يقل رب العالمين:" ولا تقربوا الزنى " أي لا تقربوا وتأتوا مقدماته ودواعيه، فلمّا حرم الفعل حرم أسبابه.

هذا إن سلمنا له – وهيهات – أن الأكل والشرب ليسا بمعنى الجماع في غلبة شهوة البطن كشهوة البضع، وفي انتهاك الحرمة والإعراض عن حكم الشرع وأمره في قوله: (**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) [1] .

ويمكن للناظر البصير أن يتملّى قوله تعالى: في هذا الصدد بالذات – (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْابْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْاَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَيْلِ**)[2] . وفي هذا ما فيه من استشناع واستفظاع لانتهاك حرمة رمضان بالأكل والشرب في نهاره حيث أمر أمرا صريحا بالصيام على أتم وجه وأكمل صورة قائلا : (**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَيْلِ**) وما تمام وجهه وكمال صورته إلا بالامتناع عن الأكل والشرب بغير عذر شرعي، وكان السياق قد تحدث عن الرفث إلى

1- سورة البقرة، الآية 185

2- سورة البقرة، الآية 187

النساء في الليل خلال رمضان ناصا على حليته ودالا - في السياق نفسه بمفهوم المخالفة- على حرمته أثناء النهار فتبين بهذا أن شهوتي البطن وما تحت البطن ينبغي كفكفتها بعزم وحزم في النهار وكل إطلاق لهما من غير عذر شرعي موجب للقضاء و الكفارة معا[1].

ومن دلائل نطاسية ولوذعية الشيخ العلامة أحمد حماني- رحمه الله- تجاوزه لموقف مذهبه المالكي إلى مذهب غيره كما فعل قبله علماء وفقهاء هذا المذهب ممن أشرنا إليهم آنفا، وذلك في مسألة قراءة القرآن جماعة: هل هي سنة أو بدعة؟ وحري بنا أن نقف مليا عند إجابته الفذة على ملقيها عليه وقد حواها المجلد الثالث من فتاواه وبالذات في الصفحة العاشرة منه، وصدرت له يوم 22 جانفي 1990 م، والذي ينبغي لفت النظر إليه هنا هو عناية شيخنا بما أسماه فقهاؤنا القدامى بـ : محاسن الفتوى مستظهرين بالحديث الصحيح المتفق عليه بين البخاري ومسلم عن أبي هريرة "رضي الله عنه" والذي فيه أنه " صلى الله عليه وسلم" سئل عن ماء البحر: ' أيتوضأ به؟ قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته'، ووجه الاستشهاد هنا قوله (الحل ميتته) فهو قد سئل كما نرى عن طهوريته للوضوء فقط بيد أنه – عليه الصلاة والسلام- زاد ما يفيد علما جديدا رآه ضروريا للمستفتي من شأنه أن يوسع مداركه لفهم بعض أسرار خلق الله في البحر .

وفي فتوى شيخنا هذه من المحاسن ما فيها، عظّمت في قلب مستفتيه أمر التعامل مع كتاب الله –تلاوة وتدبرا- فأفاض أولا في كون القرآن ذكرا وقرر أن الذكر يقظة وحياة، وأن النسيان غفلة وممات. والقرآن ما أنزل إلا ليكون تذكرة لمن يخشى، وما نهى الله عباده عن الغفلة إلا لأن عاقبتها – ولو للحظة قصيرة كما قال – قد تكون وخيمة فينتهزها الشيطان عدو الإنسان ليوقعه في الموبقات،

1- انظر تفسير زاد المسير لابن الجوزي وتفسير الآلوسي وغيرهما.

واستظهر شيخنا بالحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه وفيه: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) فلو كان ذاكرا لما وقع في هذه الفواحش.

ولما أجمع العلماء على أن أفضل أنواع الذكر وأوفاها أجرا هو تلاوة القرآن إذ لقارئه بكل حرف منه عشر حسنات، ثم هو يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه كما جاء في صحيح مسلم – اهتموا في هذه الناحية بكيفية تلاوته على النحو الذي يرضي الله) وقبل أن يسوق الشيخ حكم الشرع في تلاوته جماعة نص على أن تلاوته مباحة للمتوضئ وغير المتوضئ ما لم يكن جنبا، وللجنب هنا كما للحائض والنفساء أن يتلو بعض آياته للتعوذ، أما التلاوة من الكتاب مباشرة فلا تجوز إلا للمتطهر من الحدثين الأصغر والأكبر .

كل هذا يسوقه شيخنا لزيادة الفائدة ما دامت تتعلق بقراءة القرآن المسؤول عنها حين تكون جماعية فقط، ويأتي إلى موضوع الاستفتاء فيفتي بأن التلاوة الجماعية لها أصل في السنة القولية وبرهان هذا حديث مسلم في صحيحه ونصه (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) .

قال - رحمه الله - و في هذا الحديث النص على الاجتماع في المسجد للتلاوة، وظاهر النص يحتمل أن يقرأ بعضهم ويستمع الآخرون كما يحتمل أن يشتركوا في القراءة ولو كانت القراءة لواحد فقط لقيل - "يتلى عليهم كتاب الله "- لكن قوله صلى الله عليه وسلم-" يتلون كتاب الله "- يفيد أن الذين يتلون جماعة لا واحد . ويتمّ فضيلة الشيخ شطر فقهاء المذاهب فيقول: (فهم الإمام الشافعي من الحديث جواز القراءة جماعة وهو أفصح من تكلم بالعربية وصاحب الفضل في تقعيد علم أصول الفقه قرأ على مالك ثلاث سنوات)،

والشيخ مالك بن أنس إمام المذهب الذي يفتي به شيخنا غالبا مجتهدا في إصدار فتاويه على ضوء قواعد مدرسته الاجتهادية يرى كراهة القراءة الجماعية، لكن شيخنا هنا يستنجد سريعا بفقه الأصول ليقول: (ومعلوم أن المكروه عند المالكية كما عند الأصوليين هو ما يثاب المؤمن على تركه امتثالا ولا يعاقب على فعله فمن أخذ بقول الشافعي رجا الثواب الكامل على قراءته الجماعية، ومن أخذ بالرواية عن مالك فقد ارتكب مكروها يثاب على تركه ولكن لا يعاقب على فعله بإجماع الأصوليين، فالمكروه لا يكون بدعة لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ومن أقوال مالك رضي الله عنه أن يضرب بقوله عرض الحائط إذا خالف قوله السنة، ولما كان ذلك كذلك أهمل أصحابه قوله هذا، وخصوصا المتأخرين منهم .

وفي موقف شيخنا هذا من الشجاعة و الجراءة ما ينفي عنه – بيقين – بدعة التعصب المذهبي ولو على حساب الحقيقة الشرعية اللائحة كفلق الصبح . وهذا هو ديدن جهابذة العلماء في كل عصر ومصر يقدرون الأئمة المجتهدين ولا يقدسونهم، فأقوالهم عندهم موقرة مقدرة، بيد أن النص الشرعي القطعي الثبوت والقطعي الدلالة أولى بالإتباع، فما داموا أوصوا وتواصوا بأن أقوالهم إذا عارضت نصا معصوما قطعي الثبوت قطعي الدلالة، يجب استبعادها .

وأين هذه الآفاق العوالي من مطارح بعض المذهبيين الضيقي الأفق الذين يشنشنون ويدندنون بأن قول إمامنا إذا عورض بنص وحيي معصوم توجب تأويله ليتفق مع قوله وأن قواعدنا الأصولية مقدمة على النصوص المعصومة وحاكمة عليها، وهو ما أحدث في الأمة – عبر مراحل الزمن- ذلك الشرخ الكارثي في جدار وحدتها حتى تعددت المنابر في بيوت الله، فكان لكل مذهب منبره ومحرابه و طرح بعض المريضة قلوبهم بالعصبية المذهبية سؤالا غريبا وعجيبا مؤداه: (هل يجوز للمالكي أن ينكح شافعية ؟) ونحو ذلك مما يندى له جبين التاريخ خجلا ويصفر له وجه الزمن وجلا .

لكن شيخنا استدعى التاريخ ليعضد فتواه السديدة بجواز قراءة القرآن جماعة بما يجعل المستفتي شديد الاقتناع بصوابها. وساح بنا فضيلة الشيخ في شعاب التاريخ ليقرر أن فطاحل علماء المالكية من ليبيا إلى الرباط قد أجمعوا على جواز هذه القراءة الجماعية وكيف وظفوها لترسيخ القرآن في الصدور، وتعليم العامة طريقة التلاوة بلا تصحيف ولا تحريف، وتمكين السامعين من الحفظ بعد المداومة، والحنفية والإباضية على مثل هذا المنهج من عدة قرون، وكانوا يحيطون ختم التلاوة كل شهر بأحفال شعبية مشهودة يوصل فيها ما أمر الله به أن يوصل، ولقد حرص العلماء على أن تكون حلقات التلاوة الجماعية بإشرافهم متبوعة بدروس في التفسير والحديث قصيرة ليتدبرها القراء فيزدادوا فقها لمراد الشرع .

وذكر الشيخ أن هذه السنة الحميدة عني بها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس – رحمه الله – وسائر اخوانه في جمعية العلماء، فكان يشجعها وأدخل عليها بعض التعديل إذ جعل طلابه يقرؤون الورد اليومي بالوقف على عادة أهل الجزائر ووهران، إذ كان أهل قسنطينة يقرؤون مسترسلين دون وقف، ثم يدلف فضيلة الشيخ إلى الإقرار في النهاية بأن التلاوة لكتاب الله جماعة إنما تكون بالوقف لأنه أضبط للقراءة وأعون على الأداء الصحيح، وينتهي فضيلته إلى أن القراءة – جماعة - سنة قولية كما مر بناء على الحديث الصحيح المذكور أعلاه، وسنة عملية أجمع عليها علماؤنا فعلا وإقرارا منذ القرن الرابع الهجري أي منذ أكثر من ألف سنة، أما الحكم بحرمتها أو القول ببدعيتها فهو البدعة اليقينية لا الوهمية.

ولقد أصاب فضيلته أيما إصابة حين ختم فتواه السديدة هذه لقوله: (وأما قراءة الواحد بصوت رخيم، وسماع الآخرين له فهو المختلف فيه ولا شك في حرمته إذا كان في صوت القارئ تطريب وفتنة يشغلان عن تدبر القرآن وتصحبهما من السامعين تراجيع منغمة توائم مقامات القانون الموسيقائي .

وكم في فتاوى شيخنا - بمختلف مواضيعها وتنوع وتعدد أبوابها من العقيدة إلى العبادات إلى علم الفرائض- وهو فيه من المبدعين الفائقين - إلى الحدود إلى المعاملات إلى الاجتماعيات إلى الآداب والأخلاق إلى الزواج إلى الطلاق إلى الوصية والوقف والرضاع والحضانة والكفالة والتبني والأيمان والنذور والكفارات – كم فيها جميعا من رشاد التحليل وسداد التعليل أميز ما يميزها – كما قد مر بك – هو إحاطة الشيخ أحمد حماني بالموضوع المستفتى فيه من جميع جوانبه وحسن تنزيله على نصوص الكتاب والسنة المتعلقة به وقوة استمساكه بفقه المقاصد والموازنات، والترجيح للأدلة بناء على فقه عميق لمراد الشارع الحقيقي – وهو الله سبحانه وتعالى – ومراد الشارع المجازي – وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم – استخلصه من طول جوار وصحبة واعية لعلوم الشريعة بكل روافدها ووثوق محبة لأقطابها ورواداها من مختلف المذاهب الفقهية المعتمدة .

فجاءت مباحثه وفتاواه ممنهجة على نحو رائع يؤوب منها الباحث والمستفتي برصيد ثر من الفوائد الفقهية والعلمية واللغوية والتاريخية والاجتماعية والأدبية ينكشف له بها اتساع فقهه و انفتاح قلبه و إخلاصه للحق وحده أنه إذ هو أحب إليه من كل الأحبة، مما جعله - كشيخه العلامة ابن باديس – ناصرا فذا للسنة وقامعا صلبا للبدعة، لا يخشى في الله لومة لائم، وكم كانت تاريخية مواقفه باعتباره كان رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى في عهدي العالمين الجليلين "مولود قاسم نايت بلقاسم، وعبد الرحمن شيبان وزيري الشؤون الدينية والأوقاف في العقدين: السبعيني والثمانيني - رحمهما الله رحمة واسعة- أقول كم كانت تاريخية مواقفه من قضايا دينية ووطنية أفرزها تيار الحياة في كنف الانتصار لبعض المناهج الفكرية والوضعية فلقد كان صريحا في غير حدّة، مباشرا في غير مداجاة وهو يعرض لتلك القضايا من مثل تحديد النسل أو تنظيم الأسرة أو التقنين للنظم الفكرية الأرضية بعقلية الأصيل الذي أشرب قلبه حب وطنه فدافع دفاعا

مستميتا عن الوطنية الجزائرية المعجونة بهدايات الدين وتوجيهات وتنظيمات رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا.

فتاوى الأزمة وأزمة الفتاوى في الواقع الإسلامي المعاصر

أ.مولود محصول
جامعة جيجل

مدخل

عنوان هذه يشي بالمحتوى، فهي تحاول طرح سؤال الفتوى في الحياة الإسلامية، و الاقتراب من أدوارها التاريخية و الاجتماعية، والوقوف على متى كانت تمثل حلولا ومخارج لمختلف الأزمات التي تواجه الأفراد والجماعات في مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية و السياسية والاقتصادية وغيرها، ومتى كانت هي في حد ذاتها تثير الأزمات وتسبب المشاكل للأفراد والجماعات والدول، ونحاول تخصيص أكبر مساحة في هذه الورقة لهذا الشطر الأخير أي لفتاوى الأزمة التي تضخم حجمها في الآونة الأخيرة، وكادت تكون هي الأصل وليس الاستثناء أو الشذوذ وأصبحت تؤطر قطاعات واسعة من الجماهير وتصنع أفكارهم، وتوجهاتهم وأذواقهم وأصبحت تساهم في إشعال حروب وإسقاط أنظمة وتقسيم دول، من خلال الحديث عن مفهومها وأمثلتها وآثارها وانعكاساتها ومن يقف وراءها، والحالات التي تنتجها وكيف يكون المخرج منها مع محاولة تقديم فتوى الشيخ "أحمد حماني" كنموذج ومثال للفتوى المخرج التي ينبغي أن يقاس عليها ويقتدى بها، وينسج على منوالها، والوصول إلى محاولة تقديم خطة لإصلاح الفتوى وجعلها في خدمة الدين والوطن والتنمية واحتواء فتاوى الأزمة والسيطرة عليها.

أولا: مركز الفتوى في الحياة الإسلامية

يتجلى مركز الفتوى بإبراز المقام الذي تشغله في الميدان والوجدان .

1- **مقامها في الميدان :**

عندما نتحدث عن الفتوى، فإننا لا نتحدث عن شيء طارئ عن الحياة الإسلامية، بل نتحدث عن كائن له وجود قديم وطويل طول عمر الإسلام، وعن حاجة حيوية من الحاجات التي يبحث عنها المسلمون دوما، فقد ظهرت الفتوى مبكرا منذ الفجر الأول للإسلام وعرفت مراحل وتطورت في حياتها، يمكن إجمالها في الآتي:

أ- مرحلة الظهور أو النشأة :

يعود ظهور الفتوى إلى العهد الأول للإسلام أي إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فمنذ نزول الوحي ظهرت الحاجة لدى المسلمين إلى معرفة أحكام الشارع الحكيم، والسؤال عن الحكم الشرعي فيما يظهر في حياتهم من حوادث ومواقف لا يعرفون حكم الله فيها، وإذا علمنا بأن المرحلة المكية كانت مرحلة بداية نزول الوحي، ومرحلة بناء العقيدة والإيمان، ومعظم ما نزل من القرآن في هذه المرحلة يصب في هذا الاتجاه، أمكننا القول أن الفتوى إنما توسعت ونشطت في المرحلة المدنية، لأن هذه الأخيرة هي مرحلة التشريع ومرحلة الأحكام الفقهية العملية، وهي الحالة التي أدت إلى اتساع أسئلة الصحابة، ووصلت إلى حد أن اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ مكانا للفتوى، فبنوا له دكانا من طين كان يجلس عليه أو كانوا يجلسون بجنباته وهو ما يشبه ربما دار الفتوى بالتعبير المعاصر. وهناك من يذهب إلى أن القيام بالإفتاء في هذه المرحلة لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم وحده، بل إن بعض الصحابة قد مارس الفتوى كذالك و قد أرخ القرآن الكريم لهذه المرحلة وذكر الكثير من الأسئلة التي كان يطرحها الصحابة كما في الآيات ﴿ **وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ** ﴾ سورة النساء، الآية 127، ﴿ **يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ سورة البقرة، الآية 189 ، ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ**

﴿ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ سورة البقرة، الآية 219، ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ سورة النساء، الآية 176 وغيرها.

ب- مرحلة التدوين والكتابة (اكتمال البناء):

وهي المرحلة التي تلت عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وجاءت بعد أن تم انقطاع الوحي وتدوين القرآن و امتداد الفتوحات واتساع رقعة الإسلام، وتغير الأحوال وتجدد الحوادث التي أدت إلى بروز الاجتهاد فيما لم يعرف عند الصحابة رأي فيه، وهو ما أدى إلى ازدهار حركة الفتوى وظهور كبار الأئمة و المفتين من أمثال "سعيد بن المسيب" وغيره. ثم بلغت الفتوى مداها من الذيوع والانتشار في عصر الأئمة الأربعة، حيث دونت الفتوى في الكتب و الآثار، وأصبح تلاميذ المذاهب يحفظون فتاوى الشيوخ وينقلونها وينشرونها بين الناس، وتوسعت الفتوى في هذه المرحلة في كل الاتجاهات وعالجت جميع الموضوعات حتى وصلت إلى إثارة مسائل افتراضية من باب ما يمكن تسميته بالاستشراف الفقهي.

ويمكن القول أن السقف العلمي والمعرفي الذي بلغته الفتوى في ذلك العصر هو السقف الأعلى الذي وصلته في التاريخ، فبالرغم من استمرارها بعد ذلك إلا أن حركتها بقيت دائما تدور داخل ذلك السقف ولم تستطع أن تتجاوزه أي بقيت دائما تعيد فتاوى المذاهب و تجدد صياغتها و إنتاجها وتحكيمها في الوقائع والأحداث.

ت- مرحلة المأسسة :

وهي المرحلة المعاصرة، فبالرغم من أن مؤسسة الفتوى بدأت في وقت مبكر مع إقامة الصحابة دكانا للنبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه للفتوى، وعرفت تطورات في مختلف فترات التاريخ من خلال اشتهار المفتين، وتخصيص حلقات للفتوى في المساجد ودور العلم و ألقاب مثل شيخ الإسلام وحجة الإسلام وسلطان العلماء وغيرها، إلا أن هذه العملية وصلت ذروتها في العصر الحديث،

حيث أصبحت هناك أجهزة ومؤسسات خاصة بالفتوى، وأصبحت لا تكاد تجد دولة إلا ولها ما يسمى بـ "مفتي الجمهورية" والعملية في تطور دائم، وهناك رغبة رسمية وشعبية في مواصلة عملية تنظيم وضبط ومأسسة الفتوى وما يدور في الجزائر حول الموضوع خير دليل على ذلك .

2- **مقامها في الوجدان :**

إلى جانب الحيز الذي تشغله في الواقع المادي فهي تحتل مكانة بارزة في الحيز العقلي والوجداني عند كل المسلمين، مكانة ترقى إلى أعلى المراقي، فالإمام "ابن القيم" يجعلها في مقام التوقيع عن الله يقول: (وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب السموات والأرض). يعني الإفتاء. والإمام "الشاطبي" يجعل القائم بها في الأمة قائما مقام النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(المفتي قائم في الأمة مقام النبي). و قد اشترط العلماء لتبوء منصب الإفتاء شروطا صارمة لا توجد إلا في العلماء الراسخين وهو ما يبين المكانة التي تحتلها الفتوى في الوعي والوجدان الإسلامي، وما تمتع به من توقير واحترام وسلطان عند المسلمين، وذلك لما لها من دور عظيم في حياتهم، فهي وسيلتهم لمعرفة حكم الله في كل شأن من شؤون حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وللفتوى الصادرة عن أهلها أثر كبير في بيان حقائق الإسلام، وتفنيد أباطيل خصومه، وتأكيد أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وصالحة لتنظيم مختلف نواحي الحياة الخاصة والعامة .

ثانيا: **الفتوى و توجيه التاريخ:**

كانت الفتوى دائما في قلب الحراك الاجتماعي والتاريخي الإسلامي، ولعبت دورا بارزا في صناعة التاريخ وتوجيهه، بما تقدمه للناس من توجيهات تتحول إلى سلوك ديني واجتماعي وحتى خلال تتبعنا لآثارها ومآلاتها على حركة التاريخ الإسلامي، نستطيع أن نقول أن الفتوى في معظم الأحيان كانت تقدم الحلول

والمخارج، للأزمات التي يواجهها الأفراد والجماعات في مختلف نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وفي بعض الأحيان كانت هي التي تصنع المشاكل والأزمات وتسبب في إرباك الحركة التاريخية. وبناء على ذلك نستطيع أن نقول أن التاريخ عرف نوعين أو جنسين من الفتوى؛ الفتوى المخرج، والفتوى الأزمة، ونحاول تسليط الضوء عليهما فيما يأتي:

1- **الفتوى المخرج** :

ونعني بها تلك الفتوى المفيدة النافعة التي تخدم الدين في مقاصده العظيمة، وتربط الناس به ربطا معتدلا وسطيا فعالا وفيا للذات ومنفتحا على العالم بكل علومه ومعارفه ومنجزاته، ويقدم لهم الحلول والمخارج للمشكلات التي يواجهونها في حياتهم، وترشدهم إلى طريق التنمية والتقدم والعز والمجد وصناعة التاريخ والحضارة، وهذا النوع من الفتاوى هو الغالب والمهيمن في تاريخ الإفتاء، وأمثلته لا تعد ولا تحصى ولا تستقصى، فكل ما وضعه العلماء الثقاة العدول من فتاوى على مر العصور يدخل في هذا الباب، وكل ما وضعوه يصلح للتدليل والتمثيل على ذلك، وهذه عينة منها:

سنذكر هنا أمثلة من التاريخ و أمثلة من فتاوى "**الشيخ حماني**"

- **من التاريخ** :

أ- الفتوى بجواز جمع القرآن ثم السنة في عصر الصحابة والتابعين، فإن هذه الفتوى شكلت مخرجا للمسلمين من مأزق إمكانية تعرض القرآن والسنة للضياع، وحققت لهم مصلحة عظيمة بحفظ الكتاب والسنة.

ب- ما قضى به عمر بن الخطاب من تعليق الحكم بقطع يد السارق عام المجاعة، ومن عدم تقسيم أرض سواد العراق حفظا لحق الأجيال اللاحقة من المسلمين، ومن قتل الجماعة بالواحد مما يعصم الدماء ويضيق من مسالك الجريمة، وغيرها من الفتاوى والأقضية والاختيارات الفقهية التي قاده

اجتهاده إليها لمسوغات شرعية هو سيد العارفين بها، وشكلت حلولا ومخارج ليس لجيل و احد من المسلمين و إنما لكل الأجيال .

ت- فتوى العز بن عبد السلام برفض حكم المماليك لعدم توفر شرط الحرية الذي يخول لهم الوصول إلى السلطة، فطلب إليهم أن يباعوا ثم يحرروا ثم يحكموا، وحينما حاول الحاكم نفيه خرجت القاهرة برمتها للحاق به، وكان أن تحقق المبدأ الإسلامي في الحكم بنزول المماليك عند فتوى "العز بن عبد السلام".

ث- موقف الأمير "عبد القادر" من المسيحيين في سوريا الذي حمى فيه دماء المسيحيين ومنع قتلهم، وهو الموقف الذي لا يزالون إلى اليوم يذكرونه كمفخرة في تاريخه.

ج- فتوى الشيخ "عبد الحميد بن باديس" في تحريم التجنس بالجنسية الفرنسية أيام الاستعمار الفرنسي التي حمت الشعب الجزائري من حملة الإدماج القصري، فكان موقفا شرعيا ووطنيا يؤكد تميز الشعب الجزائري عن الشعب الفرنسي، وحقق بذلك المصلحة الشرعية التي حفظت للجزائر شخصيتها ودينها.

ح- فتوى "ابن تيمية" بأن الطلاق الثلاث في المجلس الواحد يقع طلقة واحدة، وهو ما وسع على الأمة ووضع لها مخرجا يضيق من دائرة الطلاق وقد أصبحت في هذا العصر هي الحل السحري الذي يلجأ إليه المفتون لمواجهة حالات الطلاق الثلاث في المجلس الواحد التي أصبحت لا تعد ولا تحصى نتيجة الأمية الفقهية المنتشرة بين المسلمين.

خ- ما ذكره "الإمام الشاطبي" وغيره، من أن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع، وأن عليا –رضي الله عنه- قال: (لا يصلح الناس إلا ذاك) .

د- فتوى جواز التبرع بالأعضاء ونقلها بشروط وضوابط التي فتحت أمام المرضى آفاقا للتخلص من أمراضهم.

ذ- فتوى العلماء اليوم بإطالة وقت رمي الجمار وجوازه ليلا ونهارا، وهو ما وضع مخرجا وحلا لحالة التزاحم والتدافع التي تعرفها الجمرات أيام منى من أداء مناسك الحج.

من فتاوى الشيخ "أحمد حماني"

أ- الفتوى بجواز إفطار العمال الذين يعملون في مواجهة الفرن العالي حيث الحرارة و الحديد المصهور أو المحمى إلى درجة عالية إذا جاء رمضان حيث يتعرضون لمشقة كبرى لا تطاق وأن عليهم القضاء و الفدية احتياطا قياسا على الحبلى و المرضعة، واعتبر الشيخ أن هذه الفتوى ليست إقليمية و لا إدارية ولكنها فتوى مبنية على قواعد صحيحة من الدين وأقوال العلماء، وعللها بضرورة قيام صناعة إسلامية ثقيلة لكل مواد الحديد و الصلب تستعمل في السلم والحرب.

ب- الفتوى بجواز صلاة الجمعة في الثكنات العسكرية إذا كانت هذه الثكنات توجد في أماكن معزولة وخالية من السكان معتبرا الثكنات في هذه الحالة بمثابة مدن مستقلة كما ذهب إلى ذالك شيخ الإسلام "ابن تيمية" و ذلك لعلم الشيخ أن الشروط التي و ضعها الفقهاء لصلاة الجمعة كلها اجتهادية.

ت- الفتوى بأنه لا حرج على سكان المناطق الحارة مثل سكان تمنراست في تأخير صلاة الظهر أو الجمعة إلى آخر وقتها بسبب الحرارة الشديدة في أغلب أيام السنة و قد ورد التأخير عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا ينبغي الميل بالناس من شيء ألفوه إلى شيء مستحب يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

2- الفتوى الأزمة :

وهي تلك الفتوى التي تعود بالضرر على المسلمين في دينهم أو في دنياهم، في عبادتهم أو في معاملتهم، أو في وحدتهم واستقرارهم، أو في سلوكهم وأخلاقهم أوفي تقدمهم أو في غيرها من الجوانب مهما كانت طبيعتها ومهما كان

مصدرها، والحقيقة أن معظم الفتاوى من هذا النوع هي عبارة عن آراء شاذة ومتطرفة في الدين صادرة عن أنصاف العلماء أو أشباههم، وفي بعض الأحيان حتى من طرف من لا علم لهم. وقليل ما تصدر عن العلماء الثقاة العدول الراسخين في العلم، ولذلك فإنه لا يصدق عليها اسم الفتوى، وإن أطلق عليها فمن باب التعبير الشائع بين الناس ليس إلا، ومع ذلك فهي موجودة وتجد من يروج لها ويشغل الناس بها، وبالتالي ينتشر ضررها. ووجودها ليس حديث، بل قديم يعود إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن أمثلته قصة الأعرابي الذي كان في سفر أو في غزو مع أصحابه وأصبح على جنابة والماء بارد فأراد أن يتيمم فاستشار أصحابه فقالوا له لا نرى أو لا نعلم لك غير الغسل فاغتسل فمات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قتلوه قتلهم الله أو كما قال). غير أن وجودها اليوم ربما أصبح أكثر ومساحتها أوسع لذلك سنركز على ذكر نماذج عنها من الواقع المعاصر فهو يغنينا عن العودة للتاريخ والنبش فيه.

نماذج عن الفتوى الأزمة في الواقع المعاصر ،

وأكتفي هنا بذكر بعض النماذج من بعض الأحداث الكبرى التي كان لها الأثر الكبير في توجيه الأحداث:

أ- **الفتوى وأزمة الخليج الأولى:** حيث انقسم علماء الإسلام إلى جبهتين كبيرتين:

جبهة أفتت للرئيس العراقي الراحل "صدام حسين" بشرعية العمل العسكري الذي قام به لغزو الكويت.

وجبهة ثانية أفتت للمعارضين للغزو بشرعية الاستعانة بغير المسلمين لإخراجه من الكويت.

والسؤال الغريب هنا هو كيف يكون الله ضد الله والقرآن ضد القرآن والشريعة ضد الشريعة، ليس هناك جواب مقنع سوى أن هذه الفتاوى هي

فتاوى أزمة ساهمت في صناعة أزمة واشتعال حرب مقدسة بين المسلمين وبأموال المسلمين وعلى أرض المسلمين.

ب- **الفتوى وفتنة الجزائر:** لعبت الفتوى الأزمة دورا رئيسيا في تأجيج نيران الفتنة التي عصفت بالجزائر خلال العقدين الأخيرين، حيث كانت الفتوى تصدر من الداخل وتأتي معلبة من الخارج بشرعية الجهاد في الجزائر بجواز قتل أفراد الجيش والشرطة وإطارات الدولة والمواطنين رجالا ونساء أطفالا وشيوخا، وبجواز اغتصاب النساء وهو ما ساهم في تجنيد فئات من أبناء المجتمع ضد المجتمع والدولة ودفعهم إلى حربها، وآخر إنتاج مصانع الفتوى الأزمة هو الفتوى بحرمة الوقوف للنشيد الوطني التي اعتنقها حتى أئمة داخل السلك الديني وعملوا بمقتضاها في بعض المناسبات الرسمية

وهي الاتجاهات التي خالفها الشيخ "**أحمد حماني**" ووقف على النقيض منها يقول (لما نودي بالجهاد من مناراتنا ومن أبواق الدعاة في شوارعنا نادينا بأننا أمة مسلمة و لا يصح أن يكون الجهاد فينا فان اتفقنا فذاك وإن اختلفنا وجب علينا أن نحكم كتاب الله وسنة رسوله كما قال ربنا﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾، سورة النساء، الآية 59، فإن أصرت طائفة على عنادها فإنها الفئة الباغية التي جاء فيها ﴿**..فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ..**﴾، سورة الحجرات- الآية 09، وأجاب عن سؤال جريدة المساء حول موقفه من الأزمة الجزائرية يقول- بأن الأزمات يمكن أن تقع في حياة الشعوب لكن أرشد إلى أن حلها في كتاب الله الذي نهى عن التنازع وأخبر بأن الصلح خير ولو بالتنازل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، ووصف فتنة الجزائر بأنها أزمة شيطانية ناتجة عن انعدام الثقة بين الإخوان، وفقدان الصبر وذهاب العقل، يقول: فمتى استعذنا بالله من الشيطان الرجيم سهل علينا الخروج من كل

أزمة*. كما وقف مدافعا عن الرموز الوطنية مثل النشيد والعلم وغيرها مجيزا احترامها في وجه من يجهل قيمتها و معناها، فقد سأله أحدهم عن الوقوف للعلم الوطني فرد مستنكرا ومستهجنا(من قال لك أن تحية العلم والقيام للضابط يتنافيان مع الدين الإسلامي، إن هذا الكلام هو الذي يتنافى مع الدين الإسلامي وهو كلام مغشوش، المراد منه احتقار علمنا، ومن فرض تحية العلم أراد أن يحترم وإرادته صحيحة، فإن العلم هو رمز الأمة والسيادة –ويضيف- وقد كان أصحاب رسول الله يعظمون قدره ولا يعطونه في المعارك إلا لأقواهم شجاعة و تدينا ...)*.

وهذا هو النظر الشرعي السليم إذ كيف يكون الجهاد بين الإخوة في الدين والوطن، وكيف يجوز قتل الأبرياء واغتصاب النساء وكيف يكون احترام رموز الدولة حراما؟ ليس هناك جواب سوى أن هذه الفتاوى فتاوى أزمة فتاوى شر وليست فتاوى شرعية.

ت- الفتوى وأحداث الربيع العربي:

منذ اللحظة الأولى كانت الفتوى في قلب أحداث الربيع العربي، التي اندلعت في كثير من دول العالم العربي، حيث انخرط في الأحداث كبار العلماء عن طريق فتاويهم وخطبهم، وتصريحاتهم الإعلامية، ولكن السؤال هو كيف تصرفت الفتوى، وما هو الموقف الذي كان مطلوبا منها أن تقفه وما هو الموقف الذي وقفته إزاء الأحداث، أزعم أن الموقف الذي كان مطلوبا منها أن تقفه هو أن تكون حكما وليس خصما وأن تصنع المخارج ولا تغذي الأزمات، وأن تعمل على حقن دماء المسلمين وتعمل على لم شملهم وتوحيد كلمتهم، وتلعب دور الوسيط الإيجابي الذي يقرب وجهات النظر ويدعو إلى تحقيق طموحات الشعوب التي يفترض أن يتفق عليها الجميع عن طريق الحوار والتعاون والتعايش، إلا أن العكس هو الذي حدث، حيث لعبت الفتوى دور الخصم وعملت على تغذية الفتن والخلافات لما انتصرت لمعسكر على حساب معسكر

آخر داخل البلد الواحد، فكانت هناك الفتوى التي أباحت قتل الحكام وقلب أنظمتهم بالقوة ودعوة الجيوش إلى التمرد على قيادتها، وكانت هناك الفتوى التي باركت للأنظمة والحكام خيارتهم وبررت لهم مواجهة المطالب المشروعة لشعوبهم، وهو ما أضفى صفة القدسية على الفتن الداخلية والحروب الأهلية التي اندلعت في البلدان العربية والتي أكلت الأخضر واليابس، وهكذا كانت الفتوى فتوى أزمة في هذه الأحداث بدل أن تكون فتوى حل ومخرج.

آثار الفتوى الأزمة على الأمة الإسلامية:

ولقد تركت فتاوى الأزمة آثارا سلبية وخيمة على مسيرة الأمة لا يمكن حصرها والإحاطة بها وتقدير حجم أضرارها في مختلف مناحي الحياة، ويمكن الإشارة إلى بعضها في الآتي:

1- عملت على تحريف قيم الدين ومفاهيمه وتشويه صورته في عيون الناس وتنفيرهم منه.
2- عملت على تشويه صورة الحياة، وطمس معالم الحق والخير والجمال فيها.
3- عملت على صناعة وعي زائف وإنتاج تدين مغشوش مسيء للدين والدنيا، وصناعة الشخصية المختلة التي تعاني الضغوطات والإحباطات ولا تستطيع التكيف مع المحيط الاجتماعي.
4- ساهمت في فك عرى الروابط الاجتماعية والإنسانية داخل المجتمعات الإسلامية.
5- ساهمت في إثارة الفتن والأزمات و صناعة الموت وإشعال نيران الحروب والنزاعات المسلحة بين المسلمين.
6- عرقلت حركة الحياة والتطور الحضاري للمسلمين وساهمت في تغذية الجمود والتخلف.
7- ساهمت في توفير الذرائع والمبررات وإيجاد المناخات التي تسمح بالتدخل الأجنبي في بلاد المسلمين، كما بدت في حرب الخليج .

إلى غير ذلك من الآثار والانعكاسات.

الحالات المنتجة لفتاوى الأزمة

إن ما عرضناه عن الفتوى الأزمة وما سقناه عنها لا سيما في الواقع المعاصر يؤشر على أن الفتوى اليوم تعيش أزمة عميقة، تدعو إلى دراسة علمية جادة من أجل اكتشاف مكامن الخلل فيها والوقوف على الحالات المنتجة لها وأعتقد أنها تنبع أساسا من الحالات الآتية:

1- الانفصال عن المنهج: وهي الحالة التي تصدر فيها الفتوى منفصلة عن أصلها، بعيدة عن المعايير الشرعية المطلوبة، فهنا تكون هذه الفتوى فتوى أزمة.

2- الانفصال عن الإنسان والمجتمع: ونقصد هنا تلك الحالة التي تصدر فيها الفتوى من غير فهم أو مراعاة لطبيعة الإنسان وظروفه وللمجتمع وعاداته وتقاليده وتاريخه وأنماط التفكير والتواصل فيه يقول القرضاوي (ولا يجوز أن يفتي الناس من يعيش في صومعة حسية أو معنوية لا يعي واقع الناس و لا يحس بمشكلاتهم) ويقول (إن أسوا الأشياء خطرا على المفتي أن يعيش في الكتب و ينفصل عن الواقع).

3- الانفصال عن العصر: و المقصود بالانفصال عن العصر هنا هو الانفصال عن الجوانب الايجابية فيه مثل العلوم و المعارف و التكنولوجية والأجوبة التي قدمها و الأسئلة التاريخية التي حسم فيها و الأفاق التي فتحها أمام الإنسان وغيرها و ليس الجوانب السلبية فإذا صدرت فتوى منفصلة عن عصرها، غير مدركة لأبعاده أو مستوعبة لتطوراته ومنجزاته غير مقدرة لتحدياته، فعندها لن تكون إلا فتوى أزمة و من نماذجها الفتوى بعدم جواز قيادة المرأة للسيارة و الديمقراطية كفرو الانتخابات حرام.

4- الانفصال عن العلم والمعرفة الإنسانية: لقد بلغ العلم شأوا بعيدا في التطور وفي فهم الإنسان والكون، وأي فتوى لا تستفيد من آلياته هي فتوى

جاهلة بالإنسان والكون، ولن تكون إلا فتوى أزمة.و من نماذج هذه الفتاوى الكلام الذي مازال يتردد حول أن المرأة الحامل تحيض و أن أطول مدة للحيض 15 يوما مع أن العلم اليوم تجاوز هذه الآراء الفقهية القديمة المعروفة عند السادة المالكية و أكد أن الحامل لا تحيض و أن أقصى مدة للحيض هي 10 أيام و غيرها

5- الخلل في الموقف من الأحداث: فإن ساحة الاجتماع البشري تعج بالأحداث المختلفة، وإن الفتوى ينبغي أن تحسن التموقع من الأحداث، متى تتصل بالأحداث ومتى تنفصل عنها، متى تنحاز لطرف من أطرافها ومتى لا تنحاز، فإذا لم تعرف ذلك كانت فتوى أزمة.

انتشار فتاوى الأزمة ودور الوسائط الاتصالية الحديثة في ذلك:

وتجد فتاوى الأزمة ذيوعا وانتشارا بسبب غرابتها وبسبب الجهل والأمية والفقر والاستبداد السياسي ومختلف المناخات الاجتماعية المتردية التي توفر البيئة الملائمة لظهورها وانتشارها، ويبقى العامل الأبرز في ذلك هو الفرص التي توفرها الوسائط الاتصالية الحديثة مثل الفضائيات والإنترنت التي قربت المسافات وألغت الحدود، وخلقت عالما افتراضيا يسمح بالنشر والتواصل الحر المتملص من الرقابة، وهو العالم الذي غير طرق التلقي والمعرفة، ونقل الناس إلى تعليم افتراضي قائم على تلقي العلوم والمعارف عن بعد، فأصبحت الأنترنت هي المنبع الأول للتكوين والمعرفة ولصناعة الشخصية والهوية والسلوك، وظهر بذلك الإنسان الأنترنوت الذي يستخدم الانترنت ويستقي منه معارفه وربما قيمه، وظهر المفتي الأنترنوت الذي يقدم الفتوى عن طريق الأنترنت، وظهرت الفتوى الأنترنوتية التي هي من صنع الأنترنت وهكذا، ويحتل تجار الدين وصناع فتاوى الأزمة مساحات من هذا الفضاء وهو ما يمكنهم من الترويج لبضاعتهم وتجارتهم، وبهذه الطريقة أصبحت فتاوى الأزمة تجوب العالم وتصل إلى كل الناس.

المخرج من فتاوى الأزمة وأزمة الفتوى:

والسؤال الكبير هنا هو كيف الخروج من معضلة فتاوى الأزمة وأزمة الفتوى وإعادة الاعتبار لوظيفة الإفتاء –كوظيفة جليلة- تضع المخارج للناس من الأحداث والوقائع والمشاكل التي يقعون فيها، والجواب هو أنه لابد من رؤية جديدة للفتوى على مستوى التنظيم و الوظيفة تقوم على مرتكزات منها:

1- المفتي المؤسسة لا المفتي الفرد: فلا بد من وضع حد للفتاوى الفردية خاصة في القضايا المتعلقة بمصير الأمة، فإن الاستقراء يقول بأن جل فتاوى الأزمة إن لم تكن كلها آتية من الفتاوى الفردية التي تتحكم فيها الأمزجة والأهواء والانتماءات السياسية والمذهبية وغيرها يقول عبد الوهاب خلاف(إن التاريخ اثبت ان الفوضى التشريعية في الفقه الإسلامي كان من اكبر أسبابها الاجتهاد الفردي)

2- المفتي المتخصص لا المفتي الموسوعي أو المطلق: إننا نعيش عصر التخصص الدقيق في كل مجالات العلم والمعرفة، وبالتالي فإن المفتي المطلق أو الموسوعي الذي يفتي في كل المجالات قد انتهى ولا بدأن نمر إلى مرحلة المفتي المتخصص، الذي يتخصص في جانب واحد من الشريعة ، فيكون هناك مفتي العبادات ومفتي المعاملات المالية ومفتي الأحوال الشخصية ومفتي الشؤون السياسية ومفتي الجنايات وهكذا.

3- تحييد الفتوى: ومن الإجراءات المطلوبة بإلحاح تحييد الفتوى عن كل التنظيمات والقوى والجماعات الأخرى، مثل السلطة والأحزاب، والجمعيات والنقابات والمذاهب وعن كل العصبيات الإثنية أو الجهوية وغيرها، وجعلها جهة مستقلة تنطق بحكم الله فيما يعرض عليها من مسائل، ولا تخضع في ذلك لأي تأثير آخر، لأن اتصالها بهذه القوى والتنظيمات يجعلها تتأثر بهم وربما تنحاز لهم، وإذا انحازت الفتوى صنعت الأزمة غالبا، وقد طرحت هذه المشكلة بحدة من قديم، وبسببها ظهر مصطلح **علماء السلطان** أو **علماء**

البلاط ويقصد به العلماء المرتبطون بالحكام وهي لا تزال مطروحة في الواقع المعاصر بالحدة نفسها وربما أكثر وبسببها تصنع الكثير من الفتاوى الأزمات وخير مثال على ذالك فتاوى الربيع العربي.

4- ربط الفتوى بالعلوم و المعارف الحديثة الإنسانية و الاجتماعية و حتى التجريبية، ونعني بذلك أن تستفيد الفتوى في أجوبتها من نتائج العلوم كلها في فهم الأسئلة و القضايا المطروحة عليها.

5- ربط الفتوى بالمصادر المؤسسة الأولى المعصومة الكتاب و السنة و ليس بالنصوص التاريخية القائمة حولها.

6- جعل الفتوى مقياسا مستقلا ضمن برامج تخصصات العلوم الشرعية في الجامعات و المعاهد و إقامة دورات تدريبية على كيفية ممارستها لفائدة أئمة المساجد.

في تجربة الشيخ "حماني" القدوة الحسنة:

إن المحطة الأخيرة التي يمكن أن يقف عندها الدارس لظاهرة فتاوى الأزمة وأزمة الفتوى هي هذا السؤال الكبير وهل هناك تجربة ناجحة في الفتوى يمكن أن يقاس عليها ولا شك أن تجارب الفتوى الناجحة كثيرة وإن أقربها إلينا هي تجربة الشيخ أحمد حماني فقد توفرت فتواه على كثير من مزايا الفتوى النموذج التي يمكن أن يقاس عليها و ينسج على منوالها، وعلى رأسها ما كنا نذكر فهي فتوى منضبطة ومؤطرة شرعيا وتاريخيا واجتماعيا تتحرك في فضاءات وتحكمها سياقات وليست منفلتة وهي فتوى مخرج وحل ولم تسبب يوما الأزمات والمشاكل وهي فتوى منحازة للأمة والدولة أما الأطراف الأخرى بما في ذالك السلطة فكانت علاقتها بها مدارها على الحق و الشرع ليس إلا.

خاتمة

وفي الختام نسجل النتائج الآتية

1- الفتوى لها مقام عظيم في حياة المسلمين
2- الفتوى يمكن أن تكون فتوى مخرج و يمكن أن تكون فتوى أزمة
3- الفتوى المخرج كان لها دور في صناعة التاريخ الإسلامي
4- الفتوى الأزمة كان لها دور سلبي في حياة المسلمين
5- لابد من خطة لإصلاح واقع الإفتاء
6- فتاوى الشيخ حماني كانت أنموذجا للفتوى المخرج التي نحتاج إليها في كل حين

حلق علا الخلد

شعر الأستاذ: محمود بن حمودة

حلق علا الخلد في أنواره صاروا ... حلق رحابا وطف حفتك أبكار؟
حلق حماني فالتحليق منتره ؟ ... يغريك فضل وإطراء [1] وإكبار
حلق مع جعفر الطيار مرتفقا [2] ؟ ... يا ابن الجزائر في الخمسين[3] يختار
الكأس مغرية والحوض[4] فد برزت ... والمصطفى ضاحك يهفو[5]، لا وأنصار
في ملتقاك[6] تظل الكائنات به ... هوى بأحمد[7] هذا تحتفي الدار
بدر أضاءت به الدنيا فضا وطن ... صوت النضال هنا غذاه أحرار
ففي "أزيار"[8] نبض راح يسألني ... بحر العلوم الذي في فلكه ساروا
مجاهد قام يدعو في الشهاب فتى ... وفي البصائر إحراق وإقباروا
لكل مستعمر درس يلقنه ... للسلم نجنح حبا فيك يا دار ؟
"تمنجرو"[9] يا مفاتيح الرؤى عجبا؟ ... أرسى لثورتنا الكبرى هنا الثار[10]
فهذه العنصر الهامات آن لها ... أن تفخر اليوم في ذكراه إكبار

1- مدح وثناء
2- الجنة, قال تعالى : " نعم الثواب وحسنت مرتفقا" سورة الكهف الآية : 31.
3- عقد ملتقاه وافق الذكرى الخمسين للاستقلال, وهو عيد عظيم تفخر به الأمة الجزائرية باسترجاع سيادته
4- هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم , خص به أمته .
5- يتطلع
6- الملتقى الثاني
7- الشيخ أحمد حماني .
8- مسقط رأس الشيخ احمد حماني
9- **هكذا بالإشباع:** الدوار الذي توجد به قريته
10- القصاص من الجاني .

ربوعها أنجبت "دود "[1] الأديب ولحبباتني[2] له في الفكر أنصار

وجيجل الطهر قد زانت وحق لها أن تزدهي احتفاء عاداها البار

يعود أحمد مرحى حل من دور تثرى ملامحه[3]، للمرء آثار[4]

دراية[5] يفصل الفتوى بها علنا كل على نهجه في الدرب ساروا

قل لي بماذا هنا استتن يا علما؟ والمذهب السائد[6] المشهور أنوار

قل لي بربك كم عانت مجامعنا ؟ والقول فصل كمثل السيف بتار

كتبت في السجن تثري مذهبا بدم[7] كأن مفذي إلهام وأشعار !

مواقف كلها في الله ما انحرفت يوما ولا حاد فيما كنت تختار

مؤيدون وفي أقطارنا سند فتواكم حرما[8] تحظى بها الدار

أين التي في دمي يجري بها وتر ؟ والحب يا لغتي بالوصل ينهار

إني أحبك من قال الجنون به ؟ يا عابر في دمي للنبض إصرار

تسلقت أضلعا يا قلب تفضحني؟ فالله فيمن هنا أهوى لأسرار

يا أحمد العلماء الراسخين أجل؟ إذا تصدرت يوما مجلسا حاروا ؟

أو تعتلي حبرا في الناس ذكركم لبثت دهرا, خليل[9] فيك أفكار

1- هو الأديب أبو العيد دود من نفس المنطقة , مترجم ومؤلف , وأستاذ بجامعة الجزائر , متوفي , من مؤلفاته : بحيرة الزيتون وكتب مترجمة من الألمانية إلى العربية , والعكس , وكذا اللغة السويسرية واللاتينية

2- عالم جليل بنفس الدوار ومن علماء المنطقة مشهود له بالعلم

3- زار طيفه الملتقى

4- صوره وأثاره وما خلفه لنا من كتب

5- علم الدراية بالأمور العلمية والفقهية

6- المذهب المالكي لسكان المغرب العربي

7- شبهنا الشيخ أحمد حماني بالشاعر مفدي زكرياء الذي كان يكتب الشعر في السجن بدمه

8- مكة المكرمة كانت أراء الشيخ الفقهية لا تناقش إنما تنفذ

9- الشيخ خليل رحمه الله

باع لك اليوم فينا صولة بأبي زيد[1] رسالته نور وأنوار
وبابن عاشر تضفي متنه أبدا ولم تخبره درسا لمن صاروا
أراذل الرأي فينا منهم نفر أما لكم في الألى بعد وإقرار
وكابن يوسف[2] والحطاب كم لكم في الفقه بعد وأراء وإصدار؟
رفضت بالأمس إملاءات مرتزق وفتنة[3] عصفت فينا وإعصار
بحكمة تاجها عقل تصون به حقن الدماء لمن في الرأي قد جاروا
مجامع العلم في الأقطار تبهرها يا قدوة الوطن الغالي إذا احتاروا
منبع بلقاسم الصوفي منزلة تبوأ الدار علما يا لها الدار
وشيخنا الساحلي المرتضى خلقا إذا بدا راجلا تجلوه أبصار
وغاية الناس كم كانت فأدركها واستحوذت أبدا في عقرها الدار
الحب جيجل، أنت الحب مصدره والسحر خصك ربي فيه إبحار

1- رسالته هي رسالة أبي زيد القيرواني
2- عالمان فقيهان من علماء المالكية
3- هو رفضه لفتوى طرحت عليه تتعلق بالجهاد في الأمة الجزائرية فرفضها.

البيان الختامي

بسم الله، والحمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد ،

تحت الرعاية السامية لمعالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف، والسيد والي ولاية جيجل، وفي إطار الاحتفالات المخلدة للذكرى الخمسين لعيد الاستقلال.

انعقد ملتقى وطني بقاعة المحاضرات للحي الإداري بولاية جيجل، وذلك يومي : 6 و7 شعبان 1433 هـ، الموافق لـ : 26 و27 جوان 2012، تحت عنوان **" المرجعية الدينية والاستقرار الاجتماعي في فكر وفتاوى الشيخ أحمد حماني "** حضرة أساتذة وعلماء، وأمناء المجالس العلمية بالولايات، وأئمة وإطارات، ورجال إعلام، وبحضور جمهور كبير من المهتمين، وذلك في إطار القافلة العلمية الثقافية لسنة 2012، التي تنظمها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دعما للمرجعية الدينية والاستقرار الاجتماعي عبر الوطن .

وبعد الاستماع إلى المحاضرات، والشهادات، والمداخلات والتعقيبات.

وبعد الإطلاع على ما ورد إلى لجنة التوصيات من اقتراحات وملاحظات، يوصي الملتقون بما يلي :

1- إطلاق اسم الشيخ أحمد حماني على إحدى المؤسسات العلمية أو الدينية الوطنية.

2- جمع كل أعمال الشيخ أحمد حماني، المكتوبة والمسموعة والمرئية والمخطوطة، وتحقيقها وطبعها ونشرها وتوزيعها، لتستفيد منها جماهير الأمة، ويوجه الملتقون نداء إلى عائلة المرحوم، ومعارفه وأصدقائه، وإلى كل الأشخاص والمؤسسات الذين يملكون وثائق أو مخطوطات، أن يتفضلوا بتقديمها إلى مصالح وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

3- إنشاء جمعية باسم الشيخ أحمد حماني تتولى التعريف به والمساهمة في جمع أعماله ونشرها، وإحياء مآثره وإبرازها.
4- تخصيص جائزة باسم الشيخ أحمد حماني، تمنح لأفضل البحوث والدراسات حول أعلام الجزائر ومآثرهم.
5- اختيار مجموعة من فتاوى الشيخ أحمد حماني ذات الطابع الوطني، وطبعها على شكل مطويات وتوزيعها على الأئمة والمساجد ومختلف المؤسسات والجهات دعما وترقية للمرجعية العلمية والفقهية الوطنية .
6- ترسيم هذا الملتقى ليكون سنويا، ثم الارتقاء به إلى مصاف الملتقيات الدولية .
7- إنجاز وإنتاج فيلم وثائقي عن الشيخ أحمد حماني، باعتباره شخصية جزائرية دينية وعلمية مؤثرة.
8- طبع ونشر أعمال هذا الملتقى العلمي الثاني حول الشيخ أحمد حماني، في أقرب الآجال الممكنة، أسوة بطبع أشغال الملتقى الوطني الأول، المنعقد في السنة الماضية، وتوزيعه وإهداؤه إلى جميع الأساتذة والمؤسسات والمهنيين.

وفي الأخير يتقدم الملتقون بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف،الدكتور بوعبد الله غلام الله على رعايته السامية لهذا الملتقى وللقوافل العلمية الثقافية، كما يتقدمون بخالص الشكر إلى السيد والي ولاية جيجل على إشرافه الشخصي على هذه الفعاليات، والشكر موصول إلى جميع السلطات الدينية والعسكرية، وللمشرفين على قطاع الشؤون الدينية والأوقاف بالولاية، وإلى كل مواطني ولاية جيجل على حسن الاستقبال والضيافة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .